معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى
المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه
محمد محيى الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية



عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، و بإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

شاهد سرقة الشعر المذمومة

١٨٤ – إذا أنتَ لم تُنصِفْ أخاكَ وجدْتَهُ
على طَرَفِ الهجْرانِ إنْ كانَ يعقِلُ
وَيركبُ حدَّ السَّيفِ منْ أنْ تَضيمَهُ
إذا لمْ يكنْ عنْ شَفْرَةِ السَّيفِ مَزْحَلُ

البيتان لمعن بن أوس المزنى ، من قصيدة من الطويل [١] ، قالها فى صديق يستعطفه ، وكان معن متزوجاً بأخته فطلقها ، فأقسم أن لا يكلمه ، وأولها :

لَعمرُكَ ما أدْرى وَإنى لأوْجَلُ — على أينا تعدو المنيةُ أوَّلُ
وَإنى أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أحُلْ — إنْ أبزاكَ خصمٌ أونبا بكَ منزلُ [٢]
أحاربُ منْ حاربْتَ منْ ذى عداوةٍ — وأحبسُ مالى إنْ غرِمْتَ فأعقِلُ [٣]
وَإن سُؤْتنى يوماً صفحتُ إلى غدٍ — ليُعقبَ يوماً منكَ آخرُ مُقبلُ
كأنكَ تَشفِى منكَ داءَ مساءتى — وَسُخطى ومافى رَيثتى ما تَعجّلُ [٤]
وَإنى على أشياء منكَ ترِيبُنى — قديماً لذو صَفْحٍ على ذاكَ مُجْمِلُ
سَتقطعُ فى الدُّنيا إذا ماقَطعتَنى — يمينَكَ فانظرْ أىَّ كفٍّ تبدّلُ
وَفى الناسِ إنْ رَثّتْ حبالُكَ وَاصلٌ
وَفى الأرضِ عنْ دارِ القِلَى مُتحوَّلُ

---

(١) اقرأها فى ديوان معن (٥٧) وفى ديوان الحماسة (٢/١٣٢ من شرح التبريزى بتحقيقنا)

(٢) فى الحماسة « لم أخن » فى مكان « لم احل » وذكر هذه الرواية فى الشرح ، وفى المطبوعتين « أباراك خصم » وأثبتنا ما فى الحماسة والديوان .

(٣) أعقل : يريد أنه يغرم الدية معه

(٤) فى الديوان « وما فى ريبتى ما تعجل » وكذلك هو فى الحماسة وذكر فى شرح الحماسة أنه يروى مثل ماهنا ، والريثة : ضد العجلة ، ومثله الريث .

و بعده البيتان ، و بعدهما :

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنتى وَبدّل سوءاً بالذى كنتُ أفعلُ

قَلَبْتُ لهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فلم أدُمْ على ذاكَ إلا رَيْثما أتحوّلُ

إذا انْصَرفَتْ نفسى عَن الشىءِ لم تكَدْ

إليْهِ بوجْهٍ آخرَ الدهرِ تُقبلُ

وهذا البيت الأخير ، مثل قول حسان بن ثابت ، رضى الله عنه [من الطويل] :

إذا انصرَفتْ نفسى عَن الشىء مرّةً

فلستُ عليهِ آخرَ الدَّهرِ مُقبلاَ

وشفرة السيف : حده ، والمَزْحل - بالزاى المعجمة والحاء المهملة — من زحل عن مكانه زحولاً إذا تنحى وتباعد ، والمزحل : مصدر بمعنى الزحول ، ومعناه : أنه لا يبالى أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه ضيم ، أو يلحقه هضم ، أو احتقار ، متى لم يجد عن ركوبه مبعداً ولا معدلا .

والشاهد فيهما : سرقة الشعر المذمومة ، وهى : أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظة ، و يسمى نسخاً وانتحالاً .

حكى أن عبد الله بن الزّبير دخل على معاوية ، فأنشده هذين البيتين ، فقال : لقد شَعرتَ بعدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عبدُ الله المجلس حتى دخل معنُ ابن أوس ، فأنشد القصيدة ، وفيها البيتان المذكوران ، فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير ، وقال له : ألم تخبرنى أنهما لك ؟ قال : اللفظ له ، والمعنى لى ، و بعدُ فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره .

ومن السرقة المذمومة أن يبدل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها ، كما يقال فى قول الحطيئة [من البسيط] :

دَعِ المكارمَ لاَ ترْحَلْ لِبُغْيتِها
وَاقعُدْ فانكَ أنتَ الطاعمُ الكاسى

ذَرِ المآثرَ لاَ تذهَبْ لِمَطْلَبِهَا
وَاجلسْ فانكَ أنتَ الآكل الكاسى

وكقول امرىء القيس [من الطويل] :

وُقوفاً بِها صحبى علىَّ مَطِيَّهُمْ يقولون لاتهلكْ أسىً وتجمَّلِ

وقد أورده طرفة فى داليته ، إلا أنه أقام « تجلد » مقام « تجمل » .

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه [من الطويل] :

وَمَا الناسُ بالناسِ الذينَ عهدتَهُمْ وَلاَ الدَّارُ بالدَّارِ التى كنتَ تعلمُ

فأورده الفرزدق فى شعره ، إلا أنه أقام « تعرف » مقام « تعلم » .

وقريب من هذا أن يبدل بالألفاظ ما يضادّها فى المعنى ، مع رعاية النظم والترتيب ، كقول ابن أبى فنن [من الكامل] :

ذَهَبَ الزمانُ برهط حسّانَ الأُلىٰ كانَتْ مَناقبهم حديثَ الغابرِ
وَبَقيتُ فى خَلْفٍ تحلُّ ضيوفُهُمْ فيهمْ بمنزلةِ اللئيمِ الغادرِ
سُودُ الوُجُوهِ لَئيمةٌ أحسابهمْ فُطْسُ الأُنوفِ من الطرازِ الآخرِ

فانه عكس قول حسان بن ثابت الأنصارى [من الكامل] :

بيض الوجُوهِ كريمةٌ أحسابهمْ شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأوَّلِ

وهى من أبيات يمدح بها أولاد جَفْنَةَ ، وهم ملوك الشام :

أولادُ جفنةَ حولَ قبْرِ أبيهمُ قبرِ ابنِ مارِيَةَ الكريمِ المُفْضِلِ

يُغْشَوْنَ حتى ما تهرُّ كلابهمْ لا يسألونَ عن السَّوادِ المقبلِ
يسقونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمُ بَرَدَى يُصفَّقُ بالرَّحيقِ السلسلِ

وأخذ قوله « وبقيت فى خاف » من قول لبيد [من الكامل] :

ذهَبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافهمْ وَبقيتُ فى خَلْفٍ كجلدِ الأجْرَبِ

وعلى ذكره فما أحسن قول السراج الوراق [من الكامل] :

زعمُوا لبيداً قالَ فى عصرٍ لهُ وَبقيتُ فى خلفٍ كجلدِ الأجرَبِ
وأرَاهُ أعدَى خلفهُ من خلفهِ جرَباً وأعيا الدَّاء كلَّ مُجرِّبِ
وتضاعفَ الجربُ الذى عدوَاهُ لاَ تنفكُّ عن ماضٍ ولا مُتعقِّبِ
وتفاقمَ الداءُ العُضالُ فخلفنا بلغَ الجذامَ وعصرناعصرُ وَبِي

وليت شعرى ماذا يقول الناظم أو الناثر فى عصرنا هذا والخلف الذى فيه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهمندار العرب [من السريع] :

كنا إذَا جئنا لِمنْ قبلكمْ أنصفَ فى الترحيبِ بعدَ القيامْ
والآنَ صِرْنا حِينَ نأتيكمُ نقنعُ منكم بلطيفِ الكلامْ
لاَ غَيَّرَ اللهُ بكمْ خشيةً مِنْ أن يجى مَنْ لا يردُّ السلامْ

وسرقة الشعر مذمومة ، حتى قال فيها الحريرى ، فى إحدى مقاماته : واستراق الشعر عند الشعراء ، أفظع من سرقة البيضاء والصفراء ، وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبكار.

وأول من ذم ذلك طرَفَةُ بقوله [من البسيط]:

وَلاَ أُغِيرُ عَلَى الأشعارِ أسْرِقها
عنها غَنِيتُ ، وشرُّ الناسِ مَن سَرَقَا

وأبو تمام الطائى ضجَّ من سرقة محمد بن يزيد الأموى شعره ، فقال (١)
[من الخفيف] :

مَنْ بنو بحدل من ابنُ الحُبابِ   مَنْ بَنُو تغلب حُدَاةُ الكلابِ
مَنْ طُفيل وعَامرٌ وَمَنِ الحا   رثُ أو مَنْ عُتَيْبة بن شِهابِ (٢)
إنما الضيغم الهصُورُ أبو الأشـ   ـبالِ جبَّارُ كل خِيسٍ وغابِ (٣)
منْ عَدَت خيلهُ على سَرْحِ شعرِى   وَهوَ للحَيْنِ رَاتعٌ فى كتابى (٤)
غارَة أسخنَتْ عيونَ المعانى   وَاستباحت محارم الآدابِ (٥)
لو ترَى منطقى أسيراً لأصبحـ   ـتَ أسيراً لعبرةٍ وَانتحاب (٦)
ياعذَارَى الأشعار صِرتن من بعـ   ـدى سَبايا تُبعنَ فى الأعرابِ (٧)
طَالَ رَغبى إليكَ يا رَبُّ يا رَبُّ   وَرَهبى لديكَ فاحفظ ثيابى (٨)

(١) اقرأها فى الديوان (٤٨٧ بيروت) وفيه فى أولها «غداة الكلاب »
(٢) فى الديوان « من طفيل من عامر » وفيه « أم من عتيبة »
(٣) فى الديوان « مناع كل خيس »
(٤) فى المطبوعتين « وهو للجبن راتع » وأثبتنا مافى الديوان ، والحين – بفتح الحاء المهملة – الهلاك
(٥) فى الديوان « أسخنت عيون القوافى » وفيه « واستحلت محارم الآداب »
(٦) فى الديوان « أسيرا ذا عبرة واكتئاب »
(٧) فى الديوان « يا عذارى الكلام »
(٨) روى هذا البيت فى الديوان هكذا :

طال رغبى يارب مما ألاقيـــه ورهبى إليك فاحفظ ثيابى

وكان البحترى قال قصيدة ، فى أبى العباس بن بسطام (١) . أولها [من المنسرح] :

مَن قائل للزمان ما أربُهْ   فى خُلُقٍ منه قد بدا عجبُهْ

فعارضه فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة ، يمدح بها الموفق أولها (٢) [من المنسرح] :

أجدّ هذا المقال أم لعبُهْ   أم صدق ما قيل فيه أم كذبه

فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحترى (٣) فيه ، [من المنسرح] :

ما الدهرُ مستنفد ولا عجبه   تسومنا الخسفَ كلهُ نُوبه (٤)

نالَ الرضى مادحٌ وممتدحٌ   فقل لهذا الأمير ماغضبُهْ

أجلى لصوصَ البلاد يطردهمْ   وظلّ لصّ القريض ينتهبه (٥)

أردُدْ علينا الذى استعرت وقل   قولكَ يعرفْ لغالب غَلَبُهْ

وقد ذم ابن الرومى البحترى بالسرقة ، قال (٦) [من البسيط] :

قبحاً لأشياء يأتى البحترىّ بها   من شعره الغثّ بعد الكدّ والتعب

كأنها حينَ يُصغى السامعونَ لها   ممن يُميِّزُ بين النَّبْعِ والغَرَبِ (٧)

---

(١) اقرأها فى الديوان (١-٣٢)

(٢) هى فى ديوان البحترى منسوبة لعبيدالله بن عبدالله (١-٣٤ مصر)

(٣) اقرأها فى الديوان (١- ٣٧ مصر)

(٤) فى الديوان « لا الدهر مستنفد »

(٥) فى الديوان « أجلى لصوص البلاد يطلبهم » وفيه « وبات لص القريض »

(٦) اقرأها ضمن قصيدة فى الديوان (١-٤٠٨-٤٢٦)

(٧) النبع - بفتح فسكون - شجر تصنع منه القسى والسهام . والغرب - بفتح الغين والراء - ضرب من الشجر

رُقى العقارب أو هذرُ البُناة إذا
أضحوا على شعب الجدران فى صخب (١)

سمين ما انتحلوه من هنا وهنا والغث منه صريح غير مؤتشب (٢)

يسى به عفا فان أكدت مسائله أجاد لصا شديد البأس والكلب (٣)

حتى يغير على الموتى فيسلبهم حر الكلام بجيش غير ذى لجب (٤)

ما إن تزال تراه لابسا حللا أسلاب قوم مضوا فى سالف الحقب

شعر يغير عليه باسلا بطلا فينشد الناس إياه على رقب

حتى إذا كف عن غاراته فله شعر يئن مقاسيه من الوصب

شعر كنافض حمى الخيبرى له برد وكرب فمن يرويه فى كرب

قل للعلاء أبى عيسى الذى نصلت به الدواهى نصول الآل فى رجب (٥)

أيسرق البحترى الناس شعرهم
جهرا وأنت نكال اللص ذى الريب

وتارة يترز الأرواح منطقه والخلق ما بين مقتول ومغتصب (٦)

---

(١) فى المطبوعتين «أو هذر البنات» وأثبتنا مافى الديوان، وفى الديوان «أضحوا على شعف الجدران» والبناة: جمع بان، وشعف الجدران: أعاليها

(٢) فى الديوان «سمين ما نحلوه» وفيه «صريح غير مجتلب» وهو خير مما هنا

(٣) فى الديوان «أكدت وسائله»

(٤) فى الديوان «عبد يغير على الموتى»

(٥) فى المطبوعتين «قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت» وفيهما «نصول الآل» وكلاهما تحريف، وأراد أبا عيسى العلاء بن صاعد الوزير، ونصلت: ذهبت، والآل: جمع آلة، وهى الحربة، يشير إلى ما كان العرب عليه من ترك القتال فى شهر رجب

(٦) فى المطبوعتين «وتارة يبرز الارواح» وأثبتنا ما فى الديوان، ويترز: اراد به يزهق الارواح

نسكله إن أناساً قبله ركبوا ... بدون ماقد أتاه باسق الخشب
إذا أجاد فأوجب قطع مقوله ... فقد رمى شعراء الناس بالخرب(١)
وإن أساء فأوجب قتله قوداً ... بمن أمات إذا أبقى على السلب(٢)

ولا يخفى على ذى لب ما فى هذه الأبيات من التشنيع على البحترى والانتقاص من حقه ، وفيه يقول ابن الحاجب أيضاً [من الخفيف] :

والفتى البحترىُّ سارقُ ما قا ... لَ ابنُ أوسٍ فى المدح والتشبيبِ(٣)
كلُّ بيتٍ له يجــود معنًا ... ه فمعنـاه لابن أوسٍ حبيبِ

وللسرى الرفاء من قصيدة خاطب فيها(٤) أبا الخطـاب المفضل بن ثابت الضبي ، وقد سمع أن الشاعرين الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك فى أيام الوزير المهلبى [من الكامل] :

بكرتْ عليك مُغيرةُ الأعرابِ ... فاحفظ ثيابكَ يا أبا الخطابِ
وردَ العراقَ ربيعةُ بن مُكدَّمٍ ... وعُتيبةُ بن الحارثِ بنِ شهابِ
أفعنـدنا شك بأنهما هما ... فى الفتكِ، لا فى صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه ... جَلَبَ التجار طرائفَ الأجلابِ
فبـدائعُ الشعراءِ فيما جهزا ... مقرونة بغرائب الـكُتَّاب
شنَّا على الآداب أقبحَ غارةٍ ... جرحتْ قلوبَ محاسن الآدابِ
فحذارِ من حركات صِلَّىْ قفرةٍ ... وحذارِ من وثبات ليثَىْ غابِ(٥)

---

(١) فى الديوان « فقد وهى شعراء الناس »
(٢) فى الديوان « بمن يميت إذا أبقى »
(٣) ابن أوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس .
(٤) اقرأها فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢-١٤٥ بتحقيقنا)
(٥) فى اليتيمة « وحذار من حركات ليثى غاب »

لا يَسْلَمان أخا الثراء ، وإنما ... يتناهبانِ نتائجَ الألبابِ

إنْ عزَّ موجودُ الكلامِ عليهما ... فأنا الذى وقفَ الكلامُ ببابى

أو يهبِطا من ذِرْوَةٍ فأنا الذى ... ضُرِبتْ على الشرفِ المطلِّ قِبابى

كم حاولا أمدى فطال عليهما ... أن يُدْرِكا إلا مُثارَ تُرابى

عَجزَا ولن تقفَ العبيدُ إذا جرتْ ... يومَ الرهانِ مواقفَ الأربابِ

ولقد حميْتُ الشعرَ وَهْوَ لمعْشَرٍ ... رمم سِوَى الأسماء والألقاب(١)

وضَرَبْتُ عنه المدَّعِينَ وإنما ... عن حَوْزَةِ الآداب كان ضِرابى

فغدَتْ نبيطُ الخالدِيةِ تدَّعى ... شعرى وترْفُل فى حَبِيرِ ثيابى

قومٌ إذا قصدوا الملوكَ لمطْلَبٍ ... نُقضت عمائمُهم على الأبواب

من كل كَهْلٍ تستطيرُ سبالُهُ ... لوْنين بين أنامل البواب

مُنْفَضٍ على ذلِّ الحجاب يردُّه ... دامى الجبين تجهُّمُ الحجاب

ومُفَوَّهين تعرَّضا لِحرابتى ... فتعرضت لهما صدورُ حِرابى

نظرا إلى شِعْرى يروق فترَّبا ... منهُ خدود كواعبٍ أتراب(٢)

شرباهُ فاعترفا له بمثوبةٍ ... ولرُبَّ عذبٍ عادَ سوطَ عذاب

فى غارةٍ لم تنثلم فيها الظُّبا ... ضرباً ولم تندَ القنا بخضاب

تركَتْ غرائبُ منطِقى فى غُرْبةٍ ... مسْبِيَّةً لا تهتدى لاياب

جَرْحى وما ضُرِبتْ بحدِّ مُهنَّدٍ ... أسْرى وما حُمِلَتْ على الأقتاب

لفظ صقلْتُ متونه فكأنه ... فى مُشْرِقات النَّظْمِ درُّ سحاب

---

(١) الذى فى اليتيمة «وهو لمعشر ذم سوى الأسماء»

(٢) فى اليتيمة «نظرا إلى شعر يروق»

وكأنما أجريْتُ فى صفحاته ... حرّ اللُّجينِ وخالص الزِّرْياب(١)
أغربت فى تحبيره فرواته ... فى نزهةٍ منهُ وفى استغراب
وقطعتُ فيه شبيبة لم تشتغل ... عن حُسْنه بصِباً ولا بتصابى
وإذا ترقرق فى الصَّحيفة ماؤه ... عبقَ النسيمْ فذاك ماء شبابى
يُصغى اللَّبيبُ له فيقسم لبَّه ... بين التعجُّب منه والاعجاب
جِدّ يطير شَرارُهُ ، وفكاهة ... تستعطفُ الأحبابَ للأحبابِ
أعززْ على بأن أرى أشلاءَهُ ... تَدْمى بظفْرِ للعدوِ وناب
أفنٌ رماه بغارةٍ مأفونةٍ ... باعتْ ظِباء الروم فى الأعراب
إنى أحذِّر من يقول قصيدةً ... غرّاء خِذْنَىْ غارةٍ ونهاب
إنى نَبَذْتُ على السَّواء إليكما ... فتأهَّبا للقادح المنتاب
وإذا نبذْتُ إلى امرئ ميثاقَهُ ... فليستعدَّ لسطوتى وعقابى

وهى طويلة متناسبة فى الحسن والعذوبة .

وله من قصيدة يمدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة ويتظلم إليه من الخالديين وقد ادعيا شعره (٢) ومدحا به المهلبى وغيره [من البسيط] :

يا أكرمَ الناسِ إلا أن يعدَّ أباً ... فاتَ الكرامَ بآباء وآثار
أشكو إليكَ حَليفَىْ غارةٍ شَهرَا ... سيفَ الشِّقاق على إنتاج أفكارى(٣)
ذئْبين لو ظفرا بالشِّعر فى حرمٍ ... لمزّقاه بأنياب وأظفار

---

(١) اللجين : الفضة ، والزرياب : الذهب

(٢) فى يتيمة الدهر (٢/ ١٠٢ بتحقيقنا) « وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبى وغيره »

(٣) فى اليتيمة « على ديباج أفكارى » .

سلاً عليه سيوفَ البغى مُصْلَتَةً ... فى جَحْفل من شنيع الظُّلم جرَّار(١)
وأرخصاه فقلَّ فى المطر مُمْتَهِناً ... لديهما يُشترَى من غير عطار
لطائمُ المسك والكافور فائحةٌ ... منه ومُنْتَخب الهندِىِّ والغار(٢)
وكلَّ مُسْفِرة الألفاظ تحسبها ... صحيفةً بين إشراق وإسفار
أرقتُ ماء شبابى فى محاسنها ... حتى ترقرق فيها ماؤها الجارى
كأنها نفَسُ الريحانِ تمزجُه ... صبا الأصائل من أنفاس نوَّارِ
إن قلّدَتْكَ بدُرٍّ فهو من لُجَجى ... أو ختَّمتك بياقوتٍ فأحجارِى
باعا عرائسَ شِعرى بالعراق فلا ... تبعد سباياه من عُونٍ وأبكار
مجهولةَ القدرِ مظلوماً عقائلُها ... مقسومةً بين جُهَّالٍ وأغمار
ما كان ضَرَّهما والدرُّ ذو خطرٍ ... لو حلَّياه ملوكا ذاتَ أخطارِ
وما رأى الناسُ سبياً مثلَ سبيهما ... بيعتْ نفيستهُ ظلماً بدينار
والله ما مدَحا حيًا ولا رثيا ... ميْتًا ولا افتخرَا إلا بأشعارى
هذا وعندىَ من لفظٍ أشعشعهُ ... سُلافةً ذاتَ أضواء وأنوارِ
كريمةً ليس من كَرْم ولا التشمت ... عروسُها بِخِمارٍ عند خمَّارِ
تنشا خلالَ شِغافِ القلب إن نشأت ... ذاتُ الحباب خِلال الطِّين والقار
لم يبقَ لى من قريض كان لى وزَراً ... على الشدائد إلا ثقْلُ أوزارى
أراهُ قد هُتكت أستارُ حُرْمتِهِ ... وسائر الشعر مستُوراً بأستار

---

(١) فى اليتيمة «فى جحفل من صنيع الظلم جرار»
(٢) اللطائم: جمع لطيمة وهى وعاء المسك، والهندى والغار: من الأعواد ذات الريح الطيبة، وقال الشاعر:

رب نار بت أرمقها ... تقضم الهندى والغارا

كأنه جنة راحت حدائقها من الغبيين فى نار وإعصار[١]
عار من النسب الوضاح منتسب فى الخالديين بين العر والعار

وله من قصيدة [٢] فى أبى إسحاق الصابى، وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران إلى بغداد فى سرعة [من الخفيف] :

قد أظلتك يا أبا إسحاق غارة اللفظ والمعانى الرقاق[٣]
فاتخذ معقلاً لشعرك يحميـــه مروق الخوارج المراق
قبل رقراقة الحديد تريق النـ ـم فى صفو مائه الرقراق
كان شن الغارات فى البلد القفـــر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تكن بسمر العوالى حين شنت ولا السيوف الرقاق
جال فرسانها على جلوسا لا أقلتهم ظهور العتاق
فجعت أنفس الملوك أبا الهيـ جاء حرباً بأنفس الأعلاق
بقواف مثل الرياض تمشت بين أنوارها جياد السواقى[٤]
بدع كالسيوف أرهفن حسناً وسقاهن رونق الطبع ساقى
مشرقات تريك لفظاً ومعنى حمرة الحلى فى بياض التراقى
يا لها غارة تفرق فى الحو مة بين الحمام والأطواق
تسم الفارس المقدم بالعا ر وبعض الاقدام عار باق[٥]

(١) الاعصار : ريح شديدة تصحبها نار غالبا
(٢) اقرأها فى يتيمة الدهر (٢/٤٦ : بتحقيقنا)
(٣) فى اليتيمة « والمعانى الدقاق » وهى خير لئلا تتكرر كلمة « الرقاق » مع قافية الخامس
(٤) فى الأصول «جياد السواقى» وأثبتنا ما فى اليتيمة
(٥) فى اليتيمة «تسم الفارس السميدع بالعار»

لو رأيتَ القريض يُرعَدُ منها بين ذاك الارعاد والابراق

وقلوب الكلام تخفق رُعباً عنْ تَدَنّى لوائها الخفاق(١)

وسيوفَ الضلالِ تفتِكُ فيها بمذارى الطُروس والأوراق

والوجوهَ الرِّقاق داميةَ الأبْشار فى معرك الوُجوه الصِّفاق

لتنفسْتَ رحمةً للخدود الـحُمْر منهُنّ والقدود الرِّشاق (٢)

والرياض التى ألحّ عليها كاذِبُ الوَدْق صادقُ الاحراق

والنجوم التى تظلُّ نجومُ الـأرض حُسّادَها على الاشراق

بعد ما اُحْنَ فى سماء المعالى طُلّعًا وانتشرْن فى الآفاق

وتخيرْتُ حليَهُنّ فلم يعـدُ خيار النحور والأعناق(٣)

وقطعتُ الشبابَ فيه إلى أن همَّ بُرْدُ الشباب بالاخلاق(٤)

فهوَ مثلُ المدامِ بين صَفاء وبهاء ونفحةٍ ومذاق

منطق يُخجِلُ الرَّبيعَ إذا حلَّ عليه السحابُ عقدَ نطاقِ

ياهلالَ الآداب يا ابن هلالٍ صرَفَ اللهُ عنكَ صَرْفَ المحاق!

سوف أُهْدِى إليك من خدَم المجـد إماءً تعافُ قُبْحَ الاباق

كلُّ مطبوعةٍ على اسمك بادٍ وَسْمُها فى الجباه والآماقِ

وما اشتملت عليه هذه القصيدة وما قبلها من الرقة والانسجام وحسن الأسلوب وجودة السبك يمهد العذر فى الاطالة بهما ، مع ما فيهما من التزيد من السرى وكثرة التشنيع على الخالديين وسلبهما من التحلى بالآداب ، إذ مقامهما

---

(١) فى اليتيمة «تحت تنى لوائها الخفاق»

(٢) فى اليتيمة « للخدود السمر »

(٣) فى اليتيمة « فلم تعد »

(٤) الاخلاق - بكسر الهمزة - مصدر «أخلق الثوب» أى بلى ورث

فيه مشهور، ومحلهما منه على الألسنة مشكور ومذكور، وناهيك بأبي إسحاق الصابي نقداً للأدب، وقد قال فيهما مادحاً [من الطويل] :

أرى الشاعرين الخالديين سيّرا قصائد يفنى الدهر وهى تخلّدُ

جواهر من أبكار لفظ وعونه يُقصّر عنها راجزٌ ومقصّدٌ

تنازعَ قومٌ فيهما وتناقضوا ومرّ جدالٌ بينهم يتردّد

فطائفة قالت : سعيدٌ مقدّمٌ وطائفة قالت لهم : بل محمدُ

وصاروا إلى حُكمى فأصلحتُ بينهم وما قلتُ إلا بالّتى هى أرشدُ

هُما فى اجتماع الفضلِ زوجٌ مؤلف ومعناهما من حيث يثبت مفرد

كذا فرقدا الظلماء لما تشاكلا علا أشكلاً هل ذاك أم ذاك أحمدُ

فزوجهما ما مثله فى اتفاقه وفردُهما بين الكواكب أوحدُ

فقاموا على صلح وقالوا جميعهم : رضينا، وساوى فرقدَ الأرض فرقدُ

وما أحسن وأعدل هذه الحكومة من أبى إسحاق، فإنهما إلا محسن ينظم فى سلك الابداع ما فاق وراق، ويكاثر ببدائعه ومحاسنه الأفراد من الشام والعراق وقد مر فى أثناء هذا المؤلف من بديع عجائبهما، ورفيع صنائعهما، ما يحق له أن يكتب بالنضار واللجين [1] ، على آماق العين .

ترجمة معن ابن أوس

ومعن هو [2] ابن أوس بن نصر بن زيادة [3] بن أسحم، ينتهى نسبه إلى مزينة، وهى امرأة، وأبوها كلب بن وبرة، وأبو بنى مزينة عمرو بن أدبن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار، وهو شاعر مجيد فحل، من مخضرمى الجاهلية

(١) النضار ــ بضم النون، بزنة الغراب ــ الذهب . واللجين ــ بصورة المصغر ــ الفضة

(٢) تجد لمعن بن أوس ترجمة فى الأغانى (١٠ ــ ١٦٤ بلاق)

(٣) فى الأغانى «بن زياد» بغير تاء

والإسلام، وله مدائح في جماعة (١) أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وقد وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعيناً به على بعض أمره، وخاطبه بقصيدته التي أولها [من الطويل]:

تأوَّبَهُ طيفٌ بذاتِ الجراثم ... فنامَ رفيقاه وليس بنائمِ (٢)

وعُمِّرَ بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم

وحدث محجن الخزاعي قال: كان معاوية يفضِّل مزينة في الشعر، ويقول: كان أشعر الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس.

وحدث العتبي قال: كان معن بن أوس مئناثاً (٣)، وكان يحسن صحبه بناته وتربيتهن، فولد لبعض عشيرته بنت، فكرهها، وأظهر جزعاً من ذلك، فقال معن (٤) [من الطويل]:

رأيتُ رجالاً يكرهونَ بناتِهمْ ... وفيهنَّ لا تُكذَبْ نساءٌ صوالحُ

وفيهنَّ والأيامُ تعثُرُ بالفتى ... نوادِبُ لا يمللنَهُ ونوائِحُ

وحدثنا [أبو] (٥) سعيد بن عمرو الزبيدي، قال: كانت لمعن بن أوس امرأة يقال لها نور، وكان لها محبا، وكانت حضرية نشأت في الشام، وكانت في معن أعرابية ولوثة، فكانت تضحك من عجرفته، فسافر إلى الشام في بعض أعوامه

---

(١) في الأغاني «وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم»

(٢) في الأصول «بذات الحرائم» وأثبتنا ما في الأغاني والديوان المطبوع بمصر (ص ٣٠) وقد روى في الديوان هذا البيت مطلع قصيدة في مدح عاصم ابن عمر بن الخطاب

(٣) مئناث: أي كثير البنات

(٤) اقرأهما في الأغاني وفي الديوان (ص ٣٩)

(٥) الزيادة عن الأغاني

فضلت الرفقة عن الطريق ، وعدلوا عن الماء ، فطووا منزلهم ، وساروا يومهم وليلتهم ، فسقط فرس معن في وجار ضب : سقطت يده فيه ، فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله الرفقة حملا فأنهضوه ، وجعل معن يقوده . ويقول (١) [من الرجز] :

لَوْ شهِدَتْنى وجَوادِى ثورُ　　والرأسُ فيهِ مَيَلٌ ومورُ

* لضحكَتْ حتَّى يميلَ الكورُ *

وحدّث العتبىُّ قال : قدم معن بن أوس مكةَ على ابن الزبير ، فأنزله دار الضيفان ، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان ، فأقام يومه لم يطعم شيئاً ، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتَيْس هرم هزيل ، فقال : كلوا من هذا ، وَهُم نيف وسبعون رجلا ، فغضبَ معن ، وخرج من عنده . فأتى عبد الله ابن عباس ، فقراه وحمله وكساه . ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم رحل ، وقال يهجو عبد الله بن الزبير ويمدح عبد الله بن جعفر وابن عباس ، رضى الله عنهم (٢) [من الطويل] :

ظللنا بمستنّ الرياح غُدَيَّةً　　إلى أن تعالى اليومُ فى شرِّ محضرِ (٣)

لدَى ابن الزبير جالسين بمنزلٍ　　من الخير والمعروف والرّفدِ مُقفِرِ (٤)

رَمانَا أبو بكرٍ وقد طالَ يومُنا　　بتيسٍ من الشاء الحجازىّ أعفرِ (٥)

---

(١) ليس هذا الرجز فى ديوان معن

(٢) اقرأ الأبيات فى الديوان (ص٦٩) وهى مع الخبر فى الأغانى

(٣) فى الديوان «إلى أن تعالى الليل» وهى أوفق بالقصة ، ومحضر : أصله مصدر بمعنى الحضور ، وأراد منه القوم الحاضرين معه .

(٤) مقفر : خال ، وهو وصف المنزل

(٥) الشاء : اسم جمع للضأن من الغنم ، والأعفر : الذى لونه العفرة ، وهى لون أبيض تخالط بياضه حمرة

وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة وسبعون إنساناً فيا لؤم مطعم
فقالت له : لا تقربن فأمامنا جفان ابن عباس العلا ابن جعفر
وكن آمناً وارفق بنيك إنه له أعنز ينزو عليها وأبشر[1]

وحدث محمد بن معاوية الأسدي ، قال : قدم معن بن أوس المزني البصرة ، فقعد ينشد في المربد ، فوقف عليه الفرزدق ، فقال : يا معن ، من الذي يقول [من الوافر] :

لعمرك ما مزينة رهط معن بأخفاف يطأن ولا سنام[2]

فقال معن : أتعرف يا فرزدق الذي يقول [من الوافر] :

لعمرك ما تميم أهل فلج بأرداف الملوك ولا كرام

فقال له الفرزدق : حسبك ، فإنما جربتك . قال : جربت وأنت أعلم ، فانصرف وتركه .

وحدث الأصمعي ، قال : دخلت خضراء روح[3] ابن حاتم المهلبي ، فإذا أنا برجل من ولده على فاحشة يوما[4] ، فقلت : قبحك الله ! هذا موضع كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويعطي اللُّها ، وأنت تفعل فيه ما أرى ، فالتفت إليّ من غير أن يزول عنها ، وقال [من الوافر] :

---

(١) وقع في الديوان «له أعين ينزو عليها» محرفا شنيع التحريف ، ووقع في أصل هذا الكتاب في آخر هذا البيت « وأبسر » بالسين مهملة ـ وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغاني

(٢) وقع في الأغاني « بأخفاف تطاق » ووقع في الديوان « بأجفان تطاق ولا سنام »

(٣) في الأصل « دخلت قصرا روح بن حاتم » وأثبتنا ما في الأغاني

(٤) في الأصول « على فاحشة يؤتى » وأثبتنا ما في الأغاني ، وهو الذي يصلح مع قوله « وأنت تفعل » وقوله بعد « من غير أن يزول »

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا الحسب الرفيع تواكلته ... بناة السوء أوشك أن يضيعا[1]

قال: والشعر لمعن بن أوس المزني.

وحدث الحرمازي، قال: سافر معن بن أوس إلى الشام، وخلف ابنته ليلى في جوار عمر بن أبي سلمة[2]، وأمه أم سلمة رضي الله عنها، وفي جوار عاصم ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقال له بعض عشيرته: على من خلفت ابنتك ليلى بالحجاز، وهي صبية، ليس لها من يكفلها؟ فقال معن[3] [من الطويل]:

لعمرك ما ليلى بدار مضيعة ... وما شيخها إن غاب عنها بخائف

وإن لها جارين لن يغدرا بها ... ربيب النبي وابن خير الخلائف

وحدث عبد الملك بن هشام، قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيته وولده: ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به، فذكروا لامرئ القيس، والأعشى، وطرفة، فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبد الملك: أشعرهم والله الذي يقول[4] [من الطويل]:

وذي رحم قلّمتُ أظفارَ ضغنه ... بحلميَ عنه، وهو ليس له حلمُ

إذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها، تلكَ السفاهةُ والظلمُ[5]

---

(١) وقع في الأصول وفي الأغاني «بنات السوء» بالتاء المفتوحة وهو في شعر معن «بناة» على أنه جمع بانٍ جمع تكسير ككثرة ورماة وقضاة

(٢) في الأصل «عمر بن أبي سلمة» وأثبتنا ما في الأغاني

(٣) البيتان في الديوان (ص٥٦)

(٤) الأبيات في الديوان ضمن قصيدة (ص ١) وهذه الأبيات ليست متصلة هناك

(٥) في الديوان «تلك السفاهة والإثم» وفي الأغاني مثل ما هنا

فأسعى لكى أبنى ويهدم صالحى   وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم(١)
يحاول رغمى لا يحاول غيره   وكالموت عندى أن ينال له رغم(٢)
فما زلت فى لين له وتعطف   عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته   وإن كان ذا ضغن يضيق به الحلم

قالوا : ومن قائلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معن بن أوس المزنى .

وحدث سليمان بن عياش(٣) السعدى عن أبيه ، قال : خرج معن بن أوس المزنى إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاً له ، فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته ، فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها : ليلى ، وكانت ذات جمال ويسار فخطبها فأجابته ، فتزوجها ، وأقام عندها حولا فى أنعم عيش ، فقال لها بعد حول : يا ابنة عم ، إنى قد تركت ضيعة لى ضائعة ، فلو أذنت لى فأتيت أهلى ورأبت مالى(٤) فقالت : كم تقيم ؟ قال : سنة ، فأذنت له ، فأتى أهله ، فأقام عندهم وأزمن عنها ـ أى طال مقامه — فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة ، فسألت عنه ، فقيل لها : إنه بعمق ، وهو ماء لمزينة ، فخرجت حتى إذا كانت قريباً من عمق ، نزلت منزلا ، وأقبل معن فى طلب ذود له قد أضلها ، وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر ـ قال : والبت الطيلسان — وعمامة غليظة . فلما رفع له القوم مال إليهم ليستسقى ، ومع ليلى ابن عم لها ، ومولى من مواليها جالس أمام خباء له . فقال له معن : هل من ماء ؟ قال : نعم ، وإن شئت سويقاً ، وإن شئت

---

(١) صدر هذا البيت فى الديوان «فيسعى إذا أبنى ليهدم صالحى» وهى خير مما هنا وفى الأغانى

(٢) حفظى فى عجز هذا البيت «وكالموت عندى أن يحل به الرغم»

(٣) فى الأغانى «سليمان بن عباس السعدى»

(٤) رأبت ـ بالباء الموحدة ـ أصلحت ولعل أصله «رأيت مالى» مع أن لما هنا معنى جيداً ، ووقع فى الأغانى «وزممت من مالى»

لبناً ، فأناخ معن ، وصاح مولى ليلى : يا منهلة : وكانت منهلة وصيفة : تقوم على معن عندهم بالبصرة . فلما أتته بالقدح وعرفها وحسرَ عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح في يده وأقبلت مسرعة إلى مولاتها . فقالت : يا مولاتى هذا والله معن ، إلا أنه فى جُبة صوف و بتّ صوف . فقالت : هو والله عيشهم إلحق مولاى ، فقولى له : هـذا معن فاحبسه ، فخرجت الوصيفة مسرعة له ، فأخبرت المولى ، فوضع معن القدح من يده ، وقال : دعنى حتى ألقاها فى غـير هذا الزىّ ، فقالت له : لست بارحاً حتى تدخل عليها . فلما رأته قالت : أهذا العيش الذى نزعت إليه يا معن ؟ قال : إى والله ياابنة عم ، أما إنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الخُزَامى والرُّخَامى والسَّخْبَر والكمأة لأصبت عيشاً طيباً ، فغسلت رأسه وجسده وألبسته ثياباً لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع يحدثها(١) . ثم غدا متقدما بها إلى عمق ، حتى أعدّ لها طعاما ، ونحر ناقة وغنما ، وقدمت على الحىّ ، فلم يبق فيهم امرأة إلا أتتها وسلمت عليها ، فلم تدع منهنّ امرأة إلا وصلتها . وكانت لمعن امرأة بعمق يقال لها أمّ حقة ، فقالت لمعن : هذه والله خير لك منى فطلقنى ، وكانت قد حمات ، فدخله من ذلك همٌّ وقام ، ثم إن ليلى رحلت إلى مكة المشرفة حاجةً ومعن معها ، فلما فرغا من حجهما انصرفا فلما حاذيا منعرج الطريق قال معن : يا ليلى كأن فؤادى يعرّج إلى ماهنا(٢) ، فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل إلى البصرة ، فقالت : ما أنا ببارحة مكانى حتى ترحل معى إلى البصرة أو تطلقنى ، فقال : أما إذ ذكرت الطلاق

---

(١) في الأصول «يهرجها» وأثبتنا ما فى الأغانى ، إذ كانت هذه الترجمة مأخوذة عنه بحروفها .

(٢) فى الأغانى «كأن الفؤادى ينعرجن إلى هنا» وأكبر الظن أنه محرف عما ثبت فى أصول هذا الكتاب

فأنت طالق ، فمضت إلى البصرة ومضى إلى عمق ، فلما فارقته ندم على ذلك وتبعتها نفسه ، فقال فى ذلك[١] [من الطويل] :

توهَّمتُ رَبْعاً بالمعبَّرِ واضحا ... أبَتْ قرّتاه اليوم إلا تَرَاوحا

أرَبَّتْ عليه رَادة حضرَمية ... ومرتجز قد كان فيه المضابحا[٢]

إذَا هي حلت كرْبلاء فَلعلعاً ... فجوزَ العذيب دُونها فالنوائحا[٣]

وبانتْ نواها منْ نواكَ وطاوعتْ ... مع الشانئين الشامتات الكواشحاَ[٤]

فقولا لليلى هل تعوِّضُ نادماً ... لهُ رجعةً قال الطلاق ممازحاَ

فإنْ هى قالَتْ لا فقولا لها بلى ... ألاَ تتقين الجاريات الذوابحاَ[٥]

وهى طويلة .

ولما انصرف وليست ليلى معه ، قالت له امرأته أم حقة : ما فعلَت ليلى ؟ قال : طلقتها ، قالَت : والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك ، فطلقنى أنا أيضاً فقال لها من [من الوافر] :

أعاَذلَ أقصرِى ودَعى بَتاتى ... فإنكِ ذاتُ لومات حماتِ[٦]

---

(١) الأبيات في الديوان « ص٧٧»

(٢) فى الديوان «أربت عليها» وفى الأغانى «أريت عليها» وفى الأصل « كأن فيه المصالحا » وأثبتنا مافى الأغانى والديوان

(٣) فى الأصل « لحوز العذيب » بالحاء مهملة ، وأثبتنا في هذه الكلمة مافى الديوان والأغانى وفيهما « بعدها » فى مكان «دونها»

(٤) فى الأغانى والديوان « مع الشاميين الشامتين الكواشحا » وما هنا أحسن

(٥) فى الأغانى والديوان «ألاتتقين الحادثات الذوابحا» وهي بمعنى ماهنا

(٦) فى الأغانى والديوان «ودعى بياتى» وأحسب أن ماهنا خير . والبتات: الطلاق ، والبيات : الغارة على الأعداء ليلا ، وأراد بلومات حمات شديدة

وإنّ الصبحَ مُنتظرٌ قريب   وإنكِ بالملامة لنْ تُفَاتِي
نأت ليلى فَليلى لنْ تُواتى   وضنَّتْ بالمودّة والثبات(١)
وحلّتْ دارُها سفْوانَ بعدى   فذا قار فمنحرفَ الفرات(٢)
تُراعى الريف دَائبةً عليها   ظلالُ اللف مختلط النبات(٣)
فَدَعها أوْ تناولها بعنسٍ   من العيدىّ فى قُلُصٍ شحاتِ(٤)

وقال أيضا فى مطالبة أم حقة له بالطلاق [من الطويل] :

كأن لم يكن ياأمّ حقة قبل ذا   بميطان مصطافٌ لنا ومرابعُ
و إذْ نحن فى عصر الشباب وقد عفا   بنا الآن إلا أن يعوّض جازعُ(٥)
فقدْ أنكرته أمُّ حقةَ حادثاً   وأنكرها ماشئتَ والودُّ خادعُ
وَلوْ آذَنتنا أمُّ حقةٍ إذ بنا   شبابٌ و إذ لما تَرُعنا الرّوائعُ(٦)
لَقلنا لها بيني بِليل حميدَةً   كذاكَ بلا ذمٍ تؤدّى الودائعُ(٧)

ومر عبد الله بن عباس بمعن بن أوس وقد كف بصره ، فقال له : يا معن ، كيف حالك ؟ فقال له : ضعف بصرى ، وكثر عيالى ، وغلبني الدين ، قال :

---

(١) فى الأغانى « وليلى لاتواتى »
(٢) فى الأغانى « بمنخرق الفرات »
(٣) فى الأغانى روى هذا البيت هكذا :
تراعى الريف دانية عليها   ظلال أنف مختلط النبات
(٤) روى هذا البيت فى الأغانى :
فدعها أو تناولها بعس   من العودى فى قلص سحات
(٥) في الأغانى « غصن الشباب » وفيه « نعوض جارع »
(٦) فى الأصل « وإذ لما تروع الروائع » وأثبتنا ما فى الأغانى
(٧) فى الأغانى « تؤدى الصنائع »

وكم دينك؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فبعث بها إليه ، ثم مر به من الغد ، فقال له : كيف أصبحت يامعن ؟ فقال [من الطويل] :

أخذتُ بعين المال حتى نهكتهُ وبالدَّين حتى ما أكاد أُدانُ
وحتى سألتُ القرض عند ذوى الغنى وردَّ فلانٌ حاجتى وفلانُ

فقال له عبدالله : الله المستعان ، إنا بعثنا لك بالأمس لقمة فما لكتها حتى انتزعت من يدك ، قال : فأى شيء للأهل والقرابة والجيران ؟ فبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى ، فقال معن يمدحه [من الطويل] :

وإنك فرعٌ من قُريش وإنما تمجُّ النَّدى منها البحورُ الفوارعُ
ثَوَوْا قادة للناس ، بطحاء مكة لهم ، وسقاياتُ الحجيج الدوافعُ
فلما دُعُوا للموت لم تبك منهم على حادثِ الدَّهْر العيونُ الدوامعُ

ومن شعره أيضاً قوله [من مجزوء الخفيف] :

رُبما خُيِّرَ الفتى وَهْوَ للخير كارهُ

***

شاهد حسن الاتباع

١٨٥ ـ مَنْ رَاقَبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته وفاز بالطيباتِ الفاتكُ اللهجُ

***

١٨٦ ـ مَنْ راقب النـاس ماتَ غما وفاز باللذةِ الجَسُورُ

البيت الأول لبشار بن برد من أبيات[1] من البسيط منها :

لو كنتِ تلْقَيْنَ مانلقى قسمْتِ لنا يوماً نعيشُ به فيـكُمْ ونبتَهِجُ
لا خيرَ فى العيش إن دُمنا كذا أبداً لا نلتقى وسـبيلُ الملتقى نَهَجُ

---

(١) روى فى المختار من شعر بشار بيتين أولهما بيت الشاهد وثانيهما ثالث هذه الأبيات بتغيير سنذكره

قالوا حرَام تلاقينـا فقلتُ لهم ... مافى التلاَقى ولا فى غيره حرج[١]

وبعده البيت، وبعده:

أشكو إلى الله همًّا لايفارقنى ... وشرًّعافى فؤادى الدّهْر تمتلجُ

والفاتك اللهج: الجرىء الشجاع الذى له ولوع بالقتل

والبيت الثانى لسَلْم الخاسر من أبيات من مخلع البسيط أولها:

بانَ شبابى فما يحورُ ... وطالَ من ليلىَ القصيرُ

أهدى لى الشوق وهو خلوٌ ... أغَنُّ فى طرفهِ فتُورُ

وقائل حين شَبَّ وَجْدِى ... واشتعلَ المضمرُ السَّتيرُ

لو شئت أسلاكَ عن هواهُ ... قلبٌ لأشجانه ذكُور

فقلتُ لا تَعجلَنْ بلومى ... فانمـا يُنبىء الخبـيرُ

عذّبنى والهوى صغيرٌ ... فـكيفَ بى والهَوى كبيرُ

وبعده البيت

ووقفت فى الدر الفريد على بيتين من مديحها وهما:

كأنهُ والقنا دَوَانٍ ... يومٌ على ليلةٍ مغيرْ

يُريك تحت العجاج وجها ... يضلُّ فى نوره البصيرُ

والجسور: الشديد الجرأة

والشاهد فيهما: حسن أخذ الثانى من الأول، ويسمى حسن الاتباع، فان بيت سَلْم أجود سبكا، وأخصر لفظا

حدَّث أحمد بن صالح قال: لما بلغ بيت سَلم الخاسر بشاراً غضب وأشط

---

(١) روى هذا البيت فى المختار هكذا:

قالوا حرام تلاقينا، لقد كذبوا ... مافى التزام ولا في قبلة حرج

وحلف لايدخل إليه ولا يفيده ولا ينفعه مادام حيا ، فاستشفع سلم إليه بكل صديق له وكل من يشتمل عليه رده ، فكلموه فيه ، فقال : أدخلوه ، فاستدناه ثم قال : ياسلم من الذى يقول :

* من راقب الناسَ لم يظفر بحاجته *

قال : أنت يا أبا معاذ جعلنى الله فداك ، قال : فمن الذى يقول :

* من راقبَ الناسَ مات غما *

قال : تلميذك وخِرِّيجك وعبدك يا أبا معاذ ، فاجتذبه إليه وقنّعه بمخصرة كانت فى يده ثلاثا ، وهو يقول : لا أعود يا أبا معاذ إلى ماتنكره ، ولا آتى شيئاً تذمه ، إنما أنا عبدك وصنيعك ، وهو يقول له : يا فاسق ، أتتجرأ على معنى سهرت له عينى وتعب فيه فكرى وسبقتُ الناس إليه فتسرقه ثم تختصر لفظاً تقربه به لتزرى على وتذهب ببيتى ؟ وهو يحلف له أن لا يعود ، والجماعة يسألونه ، فبعد جهد ما شفعهم فيه وكف عن ضربه ، ثم رجع له ورضى عنه

وحدث أبومعاذ النميرى ، قال : لما قال بشار بيته « من راقب الناس إلخ » قيل له : يا أبا معاذ ، قد قال سلم بيتا هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا قال : وما هو ؟ فأنشد بيت سلم هذا ، فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله وددت أنه ينتمى فى غير ولاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأنى أغرم ألف دينار ، محبة منى لهتك عرضه وأعراض مواليه ، قال : فقيل له : ما أخرج هذا القول منك إلا غم ، قال : أجل ، فوالله لاطعمت اليوم طعاما ولاصمت

ومن حسن الاتباع قول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

من شواهد حسن الاتباع

خلقنَا بأطراف القنا فى ظُهُورهم عيوناً لها وقعُ السيوف حواجبُ

فانه أحسن اتباع قول بعضهم [من الطويل] :

خلقنا لهم فى كلِّ عين وحاجب • بسُمر القنا والبيض عَيْناً وحاجبا

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة إلى انهزامهم ، حيث أوقع الطعن والضرب على ظهورهم

ومن الشواهد الحسنة على حسن الاتباع قول منصور النميرى فى زينب أخت الحجاج وأترابها ، وهو [من الطويل] :

وهُنَّ اللواتى إن برَزْنَ قتلننى وإن غِبن قطّعن الحشى حسراتِ

فأحسن اتباعه ابن الرومى بقوله [من الكامل] :

ويلاه إن نظَرت وإن هى أعرضت وقعُ السهام ونزعهن أليم

وقول البحترى [من الكامل] :

أخجلتنى بِندَى يديك فسوّدت ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ

صِلة غدت فى الناس وهىَ قطيعةٌ عجبٌ ، وبرٌّ راح وهو جفاءُ

فأحسن أبو العلاء المعرى اتباعه فقال [من البسيط] :

لو اختصَرتم من الاحسان زرتكمُ والعذبُ يُهجَر للافراط فى الخَصَرِ

لأنه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته ، وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان

وقول عنترة العبسى [من الكامل] :

إنى امرؤ من خير عبْسٍ منصباً شَطْرِى ، وأحمى سائرى بالمُنْصُلِ

فأحسن اتباعه الفقيه منصور المصرى فى شريف سبه وكان شرفه من جهة أبيه دون أمه ، فقال [من المجتث] :

من فاتنى بأبيه ولم يفُتنى بأمهْ

ورامَ شتمىَ جهلا سكتُّ عن نصف شتمهْ

وحسن الأخذ فيهما ظاهر لايخفى

ولمؤلفه فى عكس هذا [من مجزوء الرجز] :

من فاتنا بأمه ولم يفتنا بأبه
سكت عن جليه وقولنا فى المشتبه

وفى معنى البيتين الأولين قول بعضهم [من الوافر] :

لقد نلتَ المفاخرَ من قُريش كما نلتَ الرذلة من نمار
فنصفُكَ كاملٌ لاعيبَ فيه ونصفُكَ كاملٌ من كل عار

وقول ابن الرومى [من الطويل] :

تخذتكمْ درعا حصينا لتدفعُوا نبالَ العدى عنى فكنتم نِصالَهَا
وقد كنتُ أرجُومنكم خير ناصر على حين خذلانِ اليمين شمالَها
فان كنتُمُ لا تحفَظُون مودتى ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لهَا
قفُوا وَقْفة المعذور عنى بمَعْزِل وخلُّوا نِبالى للعِدَى ونبالَها

فأحسن ابن سناء الملك اتباعه بقوله [من الكامل] :

أعددتكم لدفاع كلّ مُلمة عوناً فكنتم عون كل ملمةِ
وتخذتكم لى جُنَّةً فكأنما نظر العدوّ مقاتلى من جُنتى
فلأ نفضَنَّ يَدىَّ يأساً منكم نَفْضَ الأنامل من تراب الميت

وقال ابن الرومى [من البسيط] :

مد السّداد فمى عما يريبكُمُ لكن فَمُ الحال منى غير مسدود

فأحسن ابن أبى الاصبع اتباعه فقال [من الكامل] :

هَبنى سكت أما لسانُ ضرورتى أهْجَى لكلٌ مقصّر من منطقى

وقول سُليك بن سُلَكة [من الطويل] :

تبسَّمُ عن ألْمَى اللّثات مُفلّج خَليقِ الثنايا بالعُذُوبة والبردِ

وما ذقته إلا بعيني تفرُّساً كما شِيمَ ماء في السحابة من بُعْدِ

وقال نُصَيب [من الطويل] :

كأن على أنيابها الخمرَ شجَّها بماء النَّدى في آخر الليل غابقُ

وما ذقته إلا بعيني تفرُّساً كما شِيمَ في أعلى السحابة بارقُ

وأحسن بشار اتباعهما بإيجازه فقال [من البسيط] :

يا أطيب الناس ريقاً غير مُخْتَبرٍ إلا شهادةَ أطراف المساويكِ

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى ، فمنه قول ابن الرومي [من الطويل] :

وما سرُّ عيدان الأراك بريقها تناوحها في أيكها تتهصَّرُ

لئن عدمت سقيا الثرى إن ريقَهَا لأعذبُ من هاتيك سقياً وأخصَرُ

وما ذقتُه إلا بشَيْمِ ابتسامها وكم مَخْبَرٍ يبديه للعين مَنظرْ

بدا لي وميضٌ شاهد أن صَوْبه عريضٌ وما عندي سوى ذاك مُخْبِرُ

وقول أحمد بن إبراهيم الكاتب [من الخفيف] :

فمتى ترشفي سواكَ أراكٍ يبطل المسك نشرُ ذاك السِّواك

بأبي ثغرُكِ النقيُّ الذي نمَّتْ على طيبه فروعُ الأراك

وقول بعضهم [من المتقارب] :

وثغر لها طيبٌ واضحٌ لذيذ المقبَّلِ والمبتَسَمْ

وما ذقته غير ظني به وبالظنِّ يقضي على ما اكتتم

وقول المتوكل الليثي [من الوافر] :

كأن مُدامة صهباءَ صِرْفاً تُصفَّق بين راووق ودَنٌّ

تُعَلُّ بها ثنايا أم سلمى فراسة مُقلتي وصحيحُ ظني

وما أعذب قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل] :

ياظبية تخشى إذا نظرت فتكات سود لحاظها الأسد
إن قلت ريقك خمرة شهدت قضب الأراك بأنه شهد

وقول البهاء زهير [من الطويل] :

وتبسم عن ثغر يقولون إنه حباب على صهباء كالمسك تنفح
وقد شهد المسواك عندى بطيبه ولم أر عدلاً وهو سكران يطفح

وقول السموأل بن عادياء اليهودى [من الطويل] :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

وقال أبو الطيب [من البسيط]

* أفنام الصبر إذ أبقاهم الجزع *

وقال الأسود بن يعفر [من الكامل] :

يسعى بهـا ذو تومين كأنما قنأت أنامله من الفرصاد

فأحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن فقال [من السريع] :

تبكى فتذرى الدر من نرجس وتلطم الورد بعناب

وتقدم ذكره فى شواهد التشبيه

وقال أبو تمام يصف قصائده [من الطويل] :

يراها عياناً من يراها بسمعه ويدنو إليها ذو الحجى وهو شاسع
يود وداداً أن أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقاً إليها مسامع

وقال الأخطل يصف بعض القيان[1] [من المنسرح] :

جاءت بوجه كأنه قمر على قوام كأنه غصن

---

(١) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية .

حتى إذا ما استوتْ بمجلسها وصار فى حجرها لها وَثَنْ
غَنَّتْ فلم تَبْقَ فىَّ جارحةٌ إلا تَمَنَّتْ أنها أُذُنُ

والمرقص المطرب فى هذا المعنى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل]

إذا ما بَدَتْ ليلى فكلى أعينٌ وإن هى ناجتنى فكلى مسامع

وقال مسلم بن الوليد [من البسيط] :

تجرى محبَّتُها فى قلب عاشقها مجْرَى الْمُعَافاةِ فى أعضاءِ مُنْتَكِسِ

فأحسن أبو نواس اتباعه فقال [من المديد] :

فتمشَّتْ فى مَفَاصلهم كتمشّى البُرْءِ فى السقَمِ

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض ملوك اليمن [من الكامل] :

منعَ البقاء تقلُّبُ الشمْسِ وطلوعُهَا من حيثُ لا تُمسى
تجرى على كبدِ السماء كما يجرِى حِمَامُ الموْتِ فى النَّفْسِ

وقد مر طرف من هذا المعنى فى ترجمة أبى نواس فى أوائل الفن الأول

وحدث أبو بكر ابن هارون بن عبد الله المهلبى ، قال : كنا فى حلقة دعبل الشاعر ، فجرى ذكر أبى تمام ، فقال دعبل : كان يتبع معانىَّ فيأخذها ، فقال له رجل فى مجلسه : ما من ذاك أعزك الله؟ فقال : قلت [من الطويل] :

وإن امرأ أسْدَى إلىَّ بشافعٍ إليهِ ويَرْجو الشكر منى لأحْمَقُ

فأخذه أبو تمام فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسْدَى إليكَ صَنيعةً مِنْ جَاهِهِ فكأنها من مالِهِ

فقال الرجل : أحسن والله ، فقال دعبل : كذبت والله ، قبحك الله ! فقال الرجل : إن كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى ببيتك فى الحالتين ، فغضب دعبل وقام .

وقد أخذ ابن قلاقس هذا المعنى فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أهدى إليك بشائع   خيرا فذاك الخير خير الشافع

ولا يعرف للمتقدمين معنى شريف لانازعهم إياه المتأخرون ، وطلبوا الشركة معهم فيه . إلا قول عنترة [من الكامل] :

وخلا الذباب بها فليس ببارح   غرداً كفعل الشارب المترنم

هزجاً يحك ذراعه بذراعه   قدح المكب على الزناد الأجذم

وقال الجاحظ : نظرنا فى الشعر القديم والحديث فوجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض ، غير قول عنترة فى الأوائل ، وأنشد البيتين ، وغير قول أبى نواس فى المحدثين [من الطويل] :

تدار علينا الراح فى عسجدية   حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفى جنباتها   مها تدريها بالقسى الفوارس

فللراح ما زرت عليه جيوبها   وللماء ما دارت عليه القلانس

فانه أراد بالعسجدية كؤوسا مذهبة فيها صور منقوشة ، وهى صورة كسرى ، وصور المها والفوارس ، ومعنى البيت الأخير منها أن حد الخمر من هذه الصور التى فى الكؤوس إلى التراقى والنحور ، وأنها مزجت بالماء فانتهى المزاج فيها إلى مافوق رؤوسها ، وقد يكون الحباب هو الذى انتهى إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت ، والمعنى الأول أبدع ، وفائدته معرفة حدها صرفاً من حدها ممزوجة ، وزعم بعضهم أن أبا نواس اهتدى إليه من قول امرئ القيس [من الطويل] :

فلما استطابوا صب فى الصحن نصفه   ووافوا بماء غير طرق ولا كدر

جعل الماء والشراب قسمين ، فتسلق أبو نواس عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصور .

وذكرت بأبيات أبى نواس هذه تضمين أبى الحسين الجزار لها فى يوم نوروز

وكتب به إلى بعض أصحابه ناقلا المعنى من وصف الكأس المصورة إلى وصف الصفاع يوم النيروز ناقلا الراح من اسم الخمر إلى جمع راحة ، وهى اليد ، وهو [من الطويل] :

كتبتُ بها فى يوم لَهْوٍ وهامتى تمارسُ من أبطاله ما تمارسُ
وعندى رجالٌ للمُجُون ترجَّلَتْ عمائمُهم عن هامهم والطيالسُ
فللراح ما زرَّتْ عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانسُ
مساحبُ من جرِّ الزقاق على الصفا وأضغاثُ أنطاعٍ جَنىٌّ ويابس

وما زال العلماء بالشعر وجهابذة المعانى يرون أن قول عنترة السابق أوحد فَرْدٌ ويتيمٌ فذٌّ ، وأنه من المعانى العقْم التى لا تولد ، على أن ابن الرومى قد تعلق بذيله فى معنى البيت الأول وزاد عليه بقوله [من الطويل] :

إذا ارتفعت شمسُ الأصيل ونَفَّضَتْ على الأفُقِ الغربىِّ وَرْساً مُذعذعا
وودَّعَتِ الدنيا لتقضى نَحْبَهَا وشوَّل باقى عُمْرِها فتشعشعا
ولاحظَتِ النُّوَّار وهى مريضةٌ وقد وضعَتْ خدا إلى الأرض أضرعا
كما لاحظت عوَّادها عيْن مُدْنَفٍ توجَّع من أوصابها ما توجعا
وبين إغضاء الفراق عليهما كأنهما خلاَّ صفاء تودَّعا
وقد ضَرَبَتْ فى خُضْرَةِ الروض صفرةٌ من الشمس فاخضرَّ اخضراراً مُشَعْشَعا
وظلَّتْ عيونُ الروض تخضلُّ بالندى كما اغْرَوْرقَتْ عينُ الشجىِّ لتدمعا
وأذكى نسيمُ الرَّوض رَيْعَانَ ظلهِ وغَنَّى مُغَنِّى الطيرِ فيه فَرَجَّعَا
وغرَّدَ ربعىُّ الذباب خلاله كما حَثْحَثَ النشوان صنجاً مشرَّعا
فكانت أرانينُ الذباب هناكم على شدَوات الطير ضَرْباً مُوَقَّعا

وقال أبو محمد عبد المجيد بن عبدون [من البسيط] :

روا ومسك الدياجى غير منهوب وطرة الشرق غفل غير تذهيب
على ربا لم يزل شادى الذباب بها يلهى بآنق ملفوظ ومضروب
كالنيد فى قبب الأزهار أذرعه قامت له بالمثانى والمضاريب

وقال أبو بكر بن سعيد البطليوسى [من الطويل] :

كأن أهازيج الذباب أساقف لها من أزاهير الرياض محاريب

وقال السلامى فى وصف زنبور [من الطويل] :

إذا حك أعلى رأسه فكأنما بسالفتيه من يديه جوامع

وتعرض حازم فى مقصورته لتشبيه عنترة بقوله [من الرجز] :

ألقى ذراعاً فوق أخرى وحكى تكلف الأجذم فى قطع السنى
كأنما النور الذى يفرعه مقتدح لزنده سقط ورى

فقصر عنه التقصير البين ، وأخل بذكر الاكباب والحك ، ولهما فى هذا التشبيه موقع بديع ، مع التكلف البادى على قوله «تكلف الأجذم فى قطع السنى» ثم رام أن يزيد فيه فقال «كأنما النور — البيت» وقوله « يفرعه » أى يعلوه عند إلقاء ذراعه على الأخرى ، والسقط — مثلث السين — ما يسقط من النار عند القدح .

ولا خفاء فى أن المعانى الشهيرة البارعة الحسن كتشبيه عنترة هذا لا ينبغى أن يتعرض لأخذها متعرض إلا بالزيادة البينة البديعة الموقع ، والعبارة الناصعة السهلة ، حتى يتبين الفضل للثانى على الأول ، والشفوف[1] للآخذ على المأخوذ منه ، وإلا كان فاضحاً لنفسه ، وماسخاً للمعنى الذى تعرض لأخذه

(١) كذا ، ولعله «والتفوق»

ترجمة سلم الخاسر

وسلم الخاسر (١) هو ابن عمرو مولى بنى تَيْم بن مرة (٢) ثم مولى آل أبى بكر الصديق رضوان الله عليه ، وهو شاعر بصرى مطبوع متصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو راوية بشار بن برد وتلميذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر ، ولقب بالخاسر - فيما يقال - لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، وقيل : لأنه لما مات أبوه واقتسم ورّاثه ماله وقع فى قسم سلم مصحف فرده وأخذ مكانه دفاترشعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر لذلك ، وقيل : لأنه ورث عن أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب و بقى لا شىء عنده ، فلقبه الجيران ومن يعرفه سلماً الخاسر . وقالوا : أنفق ماله على ما لا ينفعه ، ثم مدح المهدى والرشيد وقد كان بلغه اللقب الذى لقب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : أكذب بهذا المال جيرانك ، فجاءهم بها وقال لهم : هذه المائة ألف التى أنفقتها ، وربحت الأدب ، فأنا سلم الرابح ، لا سلم الخاسر ، وقيل : إنه لما باع المصحف واشترى بثمنه طنبوراً فكان يقال له : ويلك هل فعل أحد ما فعلت ؟ فيقول : لم أجد شيئاً أسر به به إبليس وهو أقر لعينه من هذا .

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال : كان سلم تلميذ بشار إلا أنه تباعدما بينهما فكان سلم يقدم أبا العتاهية و يقول : هو أشعر الجن والانس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما [من الوافر] :

تعالى الله ياسلمُ بْنَ عمْرٍو أذَلَّ الحرصُ أعناق الرجالِ

(١) لسلم الخاسر ترجمة فى الأغانى (٢١ /٧٣-٨٤ الساسى) وفى مهذب الأغانى (٩/ ٤٥)

(٢) فى الأصول « مولى بنى تميم بن مرة » محرفا ، والذى يوضح تحريفه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أحد بنى تيم

هَبِ الدُّنيا تصيرُ إليكَ عفْواً أليسَ مصيرُ ذاكَ إلى الزَّوالِ ؟

قال : وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه ، وقال : لعمرى لقد صدق ، إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا ، وما فتشت عن حريص قط بعيبة إلا انكشف لى عما أذمه به ، وبلغ ذلك سلما ، فغضب على أبى العتاهية وقال : ويلى على الجرار ابن الفاعلة الزنديق ، زعم أنى حريص وقد كنز البدر ، وهو يطاب ، وأنا فى ثوبىَّ هذين لا أملك غيرهما ، وانحرف عن أبى العتاهية .

وحدث القضاعى أن سلما كتب إلى أبى العتاهية [من السريع] :

ما أقبح التزهيد من واعظٍ يزهِّدُ النـاسَ ولا يزهَدُ
لو كان فى تزهيدِهِ صادقاً أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ
ورَفضَ الدنيا فلم يلقَها ولم يكن يَسْعَى ويسترْفِدُ
يخـاف أن تَنفَدَ أرزاقُه والرزقُ عندَ اللهِ لا يَنْفَدُ
الرزقُ مقسومٌ على مَنْ تَرَى ينـالُه الأبيضُ والأسوَدُ
كلٌّ يوفَّى رزْقَه كامـلاً من كفَّ عن جَهْدٍ ومن يَجْهَدُ

وحدث العباس بن عبد الله قال : كنا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان ، وهو يومئذ أمير البصرة ، وعنده أبو العتاهية ينشد شعره فى الزهد ، فقال لى قُثَمُ : يا عباس ، اطلب لى الجماز الساعة حيث كان وجئنى به ، ولك شىء ، فطلبته فوجدته جالسا ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان ، فقلت له : أجب الأمير ، فقام حتى أتى قثَمَ فجلس فى ناحية مجلسه . وأبو العتاهية ينشد ، ثم قام إليه الجماز فواجهه ، وأنشده أبيات سَلْمٍ هذه ، فقال أبو العتاهية : مَنْ هذا أعز الله الأمير؟ قال : هذا الجماز ، وهو ابن أخت سلم الخاسر انتصر لخاله حيث تقول له ، وأنشد البيتين السابقين ، قال : فقال أبو العتاهية للجماز : يابن أخى ، إنى لم أذهب فى شعرى الأول حيث ذهب خالك ، ولا أردت أن أهتف به ، ولا أذهب فى حضورى

وإنشادى حيث ذهب من الحرص على الرزق ، والله يغفر لكما ، ثم قام وانصرف

وحدث أبو محمد اليزيدى أنه حضر مجلس عيسى بن عمرو ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أبا محمد ، اهجنى على روى قصيدة امرىء القيس [من المديد]:

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَلٍ ... مُخْرِجٍ كفَّيْه من سُتَرِهْ

قال : فقلت له : ماذا دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أريد ، فقلت : أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر ، فلتمسك العافية ، فقال : إنك لتحتجر غاية الاحتجار منى . وأريد أن توهم عيسى أنى مفحم لا أقدر على ذلك . فقال لى عيسى : أسألك يا أبا محمد بحقى عليك إلا فعلت ، فقلت [من المديد] :

رُبَّ مغمورٍ بعافيةٍ ... غَمط النعماء من أشَرِهْ
وامرئٍ طالت سلامته ... فرماه الدهرُ من غِيَرِهْ
بسهامٍ منه مقْوِيةٍ ... نقضَتْ منه قوى مِرَرِهْ
وكذاك الدهر منْقَلِبٌ ... بالفتى حالين من عُصُرِهْ
يخلطُ العُسْرَى بميْسَرَةٍ ... ويسارَ المرء فى عُسُرِهْ
عقَّ سَلْم أمَّه صِغَراً ... وأبا سَلْم على كِبَرِهْ
كلَّ يومٍ خلفهُ رجلٌ ... رامحٌ يسعى على أثَرِهْ
يولج الغُرْمُولَ سُبَّتَهُ ... كولوج الضبِّ فى جُحُرِهْ

قال : فاغتم سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغى والتعرض للشر ، فضحك عيسى وقال : قد جَهِدَ الرجل أن تدعه وصيانته ودينه ، فأبيت إلا أن يدخلك فى حر أمك .

وحدث محمد النوفلى ، قال : كان المهدى يعطى مروان(١) وسلما الخاسر عطية واحدة ، فكان سلم يأتى باب المهدى على البرذون الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام ، ولباسه الخز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ،

---

(١) يريد مروان بن أبى حفصة ، وسيتمم اسمه فى تمام الحديث

ورائحة المسك الطيب والغالية تفوح منه، ويجئ مروان بن أبي حفصة عليه فرو كبل وقميص وسراويل وعمامة من كرباس وخف كبل وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلا ، فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله ، فقال له قائل : أراك لا تأكل إلا الرأس ، قال : نعم ، أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ، ولا أشترى لحما فيأكله و يطبخ منه ، والرأس آكل منه ألوانا : آكل من عينيه لونا ، ومن غلصمته لونا ، ومن دماغه لونا .

وحدث الحسن الربيعي ، قال : كان سلم الخاسر قد بلي بالكيمياء ، فكان يذهب بكل شيء له باطلا ، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا ، وأنه لا يصل له أحد إلا ليلا ، فسأل عنه ، فدلوه عليه ، قال : فدخلت إليه إلى موضع مغور ، فدققت الباب ، فخرج إلى ، فقال : من أنت عافاك الله ؟ فقلت له : رجل معجب بهذا العلم ، قال : لا تشهرني فاني رجل مستور ، و إنما أعمل للقوت ، قال: فقلت : إني لا أشهرك ، و إنما أقتبس منك ، قال: فاكتم ذلك ، قال : و بين يديه كوز شبه صغير ، فقال لي : اقلع عروته ، فقلعتها ، فقال : اسبكها في البوتقة ، فسبكتها ، فأخرج شيئا من تحت مصلاه ، فقال: ذره عليه ، ففعلت ، فقال : أفرغه ، فأفرغته ، فقال: دعه معك فاذا أصبحت فاخرج به و بعه وعد إلى ، فأخرجته إلى باب الشام فبعت المثقال بأحد وعشرين درهما ، ورجعت إليه وأخبرته ، فقال : اطلب الآن ما شئت ، فقلت : تفيدني ، قال : بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحد ، فأعطيته ، وكتب لي صفة ، فامتحنتها فاذا هي باطلة ، فعدت إليه ، فقيل لي : قد تحول ، فاذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه ، والكوز شبه ، ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه ، فانصرفت، وعلمت أن الله تعالى أراد بي خيرا ، وأن هذا كله باطل .

وحدث أبو المستهل الأسدى قال : كان سلم الخاسر يُهاجى وَالبةَ بن الحباب فأرسلنى إليه سلم فقال : قل له [من المنسرح] :

والبةَ بن الحُباب يا حَلَقى لستَ منَ اهلِ الزِّنا، فانطلق

تدخلُ فيك الفرمول تولجهُ مثلَ ولوج المِفتاحِ فى الغَلَقِ

فأتيت إليه فقلت له ذلك ، فقال : قل له : يا ابن الزانية سَلْ عنك ريمان التميمى ، يعنى أنه ناكه ، وكان ريمان لوطيا آفة من الآفات ، وكان غلامه ظريفا ، وكان يقول : نكت الهيثم بن عدى ، فمن ترونه يفلت منى بعده .

وحدث أبو المستهل قال : دخلت يوما على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطيس برثى ببعضها أم جعفر وببعضها أقواما لم يموتوا ، وأم جعفر يومئذ باقية ، فقلت له : ويحك ! ما هذا ؟ فقال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد ، فنعد لهم مثل هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلنا فيه على أنه قيل فى الوقت .

وحدث زكرياء بن مهران ، قال : طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر أن يهب له شيئا ، وقد خرجت له جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق [من البسيط] :

يا أم سَلْمٍ هداكِ الله زُورينا كيما ننيكك فرداً أو تنيكينا

ما إنْ ذكرتك إلا هاجَ لى شَبَقٌ ومثلُ ذكراكِ أم السَّلْمِ يُشْجينا

قال : فجاء سَلْم ، فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أحب أن تعفينى عن استزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها .

وحدث محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه ، قال : دخل الربيع على المهدى ، وأبو عبيد الله الوزير جالس يعرض كتبا ، فقال له أبو عبيد الله : مر هذا أن يتنحى ، يعنى الربيع ، فقال له المهدى : تَنَحَّ ، قال : لا أفعل ، فقال : كأنك ترانى بالعين الأولى ، قال : لا ، بل أراك بالعين التى أنت بها ، قال : فلم لا تتنحى إذ

أمرك ؟ فقال له : أنت ركن الاسلام ، ومذ قتلت ابن هذا فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها . فقاء المهدى مذعورا ، وأمر بتفتيشه ، فوجد بين جوربه وخفه سكين فردت الأمور كلها إلى الربيع ، وعزل أبو عبيد الله ، وولى يعقوب بن داود فقال سلم الخاسر فيه [من مجزوء الكامل] :

يعقوبُ ينظرُ فى الأمو رِ وأنتَ تنظرُ ناحيه

أدخلته فعلا عليــــك كذاكَ شؤمُ الناصيهْ

قال : وكان بلغ المهدى من جهة الربيع أن ابن أبى عبيد الله زنديق ، فقال له المهدى : هذا حسد منك ، فقال : افحص عن هذا ، فان كنت مبطلا بلغت فى الذى يلزم مَنْ كَذَبَكَ ، فأتى بابن أبى عبيد الله فقرره تقريرا خفيا ، فأقر ، فاستتابه فلم يتب ، فقال لأبيه : اقتله ، فقال : لا تطيب نفسى بذلك ، فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله .

وكان ابن أبى عبيد الله هذا المقتول من أحمق الناس، وهب له المهدى جارية ثم سأله المهدى عنها ، فقال : ما وضعت بينى و بين الأرض خشبة أوطأ منها ، حاشا سامعى ، فقال المهدى لأبيه : أتراه يعنينى أو يعنيك ؟ قال : لا، بل يعنى أمه الزانية ، لا يكنى .

وحدث يحيى بن الحسن قال : حدثنى أبى قال : كنت أنا و الربيع نسير قريبا من محمل المنصور حين قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدعت ، وكأن رجلا جاء بحبل أسود فشدَّها ، فقال له الربيع : من الرجل ؟ فلم يجبه ، حتى إذا اعتل قال للربيع : أنت الرجل الذى رأيت فى نومى أنه شد الكعبة ؛ فأى شىء تعمل بعدى ؟ قال : ما كنت أعمل فى حياتك ، وكان من أمره فى أخذ البيعة للمهدى ما كان، فقال سلم الخاسر فى الفضل بن الربيع [من البسيط] :

وابنُ الذى جَبَرَ الاسلامَ يومَ وَهَى واستنقذ الناسَ من عمياء صيخُود

قالت قريشٌ غداةَ انهاضَ مِلْكهمُ أين الربيع؟ وأعطَوْا بالمقاليد
فقام بالأمرِ مئناساً بوَحْدَتِهِ ماضي الضريبة ضرّابُ القماحيد(١)
إنْ الأمور إذا ضاقت مَسالِكُها حلّتْ يدُ الفضل منها كلَّ معقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضل قد بَنيا رِوَاق مجدٍ على العباس ممدودِ

قال : فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار .

وحدث أبو دعامة قال : قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين [من الكامل] :

قد بايعَ الثقلانِ مهديَّ الهُدَى لمحمدِ ابنِ زُبيْدَةَ ابنةِ جعفرِ
ولّيته عهدَ الأنامِ وأمرَهُمْ فدمَغْتَ بالمعروف رأسَ المنكر

فأعطته زبيدة مائة ألف درهم .

وحدث ميمون بن هارون قال : دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نوروز ، والهدايا بين يديه ، فأنشده [من مجزوء الوافر] :

أمِنْ رَبْعٍ تسائلُهُ وقد أقوَتْ منازلُهُ(٢)
بقلبي مِنْ هَوَى الأطلا لِ حُبٌّ ما يُزايلُهُ(٣)
رويدكمُ عن المشغو فِ ، إنَّ الحب قاتلُهُ
بلا بلٌ صدره تَسْرِي وقد نامت عوَاذِلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتفضيـــلِ مَنْ تُرْجى فواضلُهُ

---

(١) في مهذب الأغاني «فقام بالأمر مئناس بوحدته» والقماحيد : جمع قمحودة وهي مؤخر القذال

(٢) أقوت منازله : أقفرت وخلت من الأنيس

(٣) يزايله : يفارقه ويغادره

رأيتُ مكارمَ الأخلا ... قِ ما ضمتْ حمائلهُ
ولستُ أرى فتى فى النا ... سِ إلا الفَضْل فاضِلهُ
يقول لسانُه خيراً ... فيفعلهُ أناملهُ
ومهما تَرْجُ من خيرٍ ... فانَّ الفضل فاعلهُ

وكان إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق حاضرين فقال لابراهيم : ما تسمع؟ قال : أحسن مسموع ، وفضلُ الأمير أكبر منه ، فقال : خذوا جميع ما أهدى إلىَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال ، فانى أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير ، ثم قال : لاوالله ، ما هكذا يفعل الأحرار ، يُقَوَّمُ ويدفع لهم ثمنه ، ثم نهديه ، فقوم بألفى دينار ، فحملها إلى القوم من بيت ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

وحدث الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه ، فمنعه ، فقال اسمع إذن ماقلته ، فأنشده [من مجزوء الرمل] :

حدثونى أن سَلْماً ... يشتكى جارة أيره
فهو لا يحسُدُ شيئاً ... غيرَ أيرٍ فى استِ غيرهْ
وإذا سَرَّكَ يوماً ... ياخليلى نَيْلُ خيرِه
قُمْ فمرْ راهبَكَ الأصـــلَعَ يقرَعْ بابَ ديرهْ

فضحك منه سلم ، وأعطاه خمسة دنانير ، وقال: أحب جُعِلت فداك أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا .

وحدث أبو دعامة قال : دخل سلم الخاسر على الرشيد فأنشده [من مجزوء الـكامل] :

* حَيِّ الأحبةَ بالسَّلامْ *

فقال الرشيد : حياهم الله ، فقال :

* أعلى وَداعٍ أم مقام *

فقال الرشيد : حياهم الله على أى ذلك كان ، فأنشده :

لم يبق منك ومنهُم غيرُ الجلود على العظام

فقال الرشيد : بل منك ، وأمر باخراجه ، وتَطَيَّر منه ومن قوله ، فلم يسمع باقى شعره ، ولا أثابه بشىء .

وقال القاسم بن موسى بن مزيد بن يزيد بن مزيد : ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغسانى ، فانى حسدته على قول سلم الخاسر فيه [من مجزوء الرجز] :

لعاصم سماء عارضها هتّانْ
أمطارُها الابريز واللُّجينُ والعقيان[1]
ونارهُ تنادِى إذ خبتِ النيرانُ
الجودُ فى قحطانٍ ما بقيتْ غسانُ
اسلَمْ ولا تُبالى ما فعلَ الاخوانُ
صلَتْ له المعالِى والسيفُ والسِّنانُ
ماضٍ مُرتجيهِ ما فعل الزّمانُ
مَنْ غاله مَخُوفٌ فهوَ له أمانُ

وعاصم بن عتبة هذا هو جد أبى الشمر الغسانى ، وكان صديقا لسلم الخاسر

(١) فى مهذب الأغانى روى هذا البيت هكذا :

مطارها اللجين والدر والعقيان

كثير البر به والملاطفة له ، فأعطاه على هذه الأبيات سبعين ألف درهم ، وكان جملة ما وصل إلى سلم الخاسر منه خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال : إنى ميت ، ولا وارث لى ، وإن مالى مأخوذ ، فأنت أحق به ، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم .

وحدث حماد عن أبيه قال : استوهب أبى من الرشيد تركة سلم الخاسر وقد مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث ، فحصل منها خمسين ألف دينار

وحدث أبو دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلماً الخاسر قد توفى ، وخلف مما أخذ منه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، سوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتده قديماً . فقبضه الرشيد ، فتظلم إليه مواليه من آل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال : هذا خادمى ونديمى والذى خلّفه من مالى فأنا أحق به ، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه .

ولما مات سلم الخاسر قال أشْجَعُ السُّلمى يرثيه [من السريع]:

يا سَلْمُ إن أصْبَحْتَ فى حفْرَةٍ مُوسداً ترباً وأحجارا

فرُبَّ بيتٍ حَسَنٍ قُلْتَهُ خَلَّفْتَهُ فى الناس سيارا

قلدته ترباً وسيرته فكان فخراً ذاك أو عارا

لو نطَقَ الشعر بكى عبرةً عليه إعلاناً وإسرارا

***

١٨٧ — هَيْهَاتَ أن يأتى الزَّمانُ بمثْلِهِ إن الزَّمانَ بمثلِهِ لَبَخِيلُ

* * *

١٨٨ — أعْدَى الزمان سَخَاؤه فَسخَا به ولَقَدْ يكونُ به الزمانُ بخيلا

البيت الأول لأبى تمام ، من قصيدة من الكامل يرثى بها محمد بن حميد ، وكان قد استشهد فى بعض غزواته ، وأولها (١) :

بأبى وغيرِ أبى ، وذاكَ قليلُ ... ثاوٍ عليه ثرَى السباخِ مَهيلُ
خذلتْهُ أسرتُهُ كأنَّ سراتهُ ... جهلوا بأن الخاذلَ المخذولُ
أكالُ أشلاءِ الفوارس بالقنا ... أضحى بهنَّ وشِلْوُهُ مأكولُ
كفى فقتْلُ محمدٍ لىَ شاهدٌ ... إنَّ العزيزَ مع القناءِ ذليلُ
إن يستضم بعد الإباء فانه ... قد يُستضامُ المُصْعَبُ المعقول (٢)
مستحسَنٌ وجهُ الردى فى معركٍ ... قُبْحُ الحياة بحومتيه جميل (٣)
أنَسِىَ أبا نَصْرٍ ؟ نَسيتُ إذن يدى ... فى حَيْثُ ينتصر الفتى ويُنيل

وبعده البيت ، وما أحسن ما قال بعده :

ما أنتَ بالمقتول صبراً ، إنما ... أملى غداةَ نعيكَ المَقْتُولُ

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر ابن عمار صاحب طرابلس الشام ، وكان قد خرج إلى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه وخرج إلى آخر فهرب منه ، وأولها :

فى الخد إنْ عزَمَ الخليطُ رحيلا ... مطَرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحُولاً
يا نَظْرَةً نفت الرقادَ فغادَرَت ... فى حدِّ قلبى ما حييتُ فُلولا (٤)

---

(١) اقرأها فى الديوان (٢٧٥ بيروت)

(٢) فى الأصل رواية هذا البيت هكذا :

إن يستضم بعد الاباء فانه ... يقتاد لخل الصرمة المعقول

وأثبتنا ما فى الديوان

(٣) فى الديوان « وجه الحياة بحومتيه جميل »

(٤) فى الديوان « يانظرة نفت الرقاد وغادرت »

كانت من الكحلاء سؤلى إنما أجلى تمثل فى فؤادى سولاَ

يقول فى مديحها:

محك إذا مَطَل الغريمُ بدَينه جعلَ الحسامَ بما أرادَ كفيلا (١)

نَطِقٌ إذا حط الكلام لثامهُ أعطى بمنطقه القلوب عقولا

و بعده البيت ، و بعده :

فكأنَّهُ بَرْقاً فى مُتون غمامةٍ هنديهُ فى كفهِ مسلولاَ

ومحل قائمه يسيلُ مواهباً لو كنَّ سَيْلاً ما وَجدْنَ سبيلاَ

رقَّتْ مضاربه فهنَّ كأنما يُبدين من عشقِ الرقابِ نُحولاَ

أمعفرَ الليثِ الهزَبْرِ بسوطهِ لمن ادَّخرْتَ الصارمَ المصقولا

واستمر فى وصف الليث إلى أن قال :

قبضتْ منيتهُ يديه وعُنقه فكأنما صادَفتهُ مغلولا

سمعَ ابنُ عمته به وبحالهِ فنجا يهرولُ أمس منكَ مهولاَ (٢)

وأمرُّ مما فرَّ منه فِرارُه وكقتلهِ أن لا يموتَ قتيلا

تلفُ الذى اتخذَ الجراءة خُلةً وعظَ الذى اتخذ الفرارخليلاَ

لو كان علمكَ فى الالهِ مُقَسَّماً فى الناس ما بعثَ الالهُ رسولاَ

لو كان لفظكَ فيهمُ ما أنزل التوارة والفرْقان والانجيلاَ

لو كان ما تعطيهمُ من قبلِ أن تعطيهمُ لم يعرفوا التأميلاَ

فلقد عُرفت وما عُرفتَ حقيقةً ولقد جُهلتَ وما جُهلت خُمولا

نطقتْ بسودَدِكَ الحمامُ تغنيا وبما تجشمها الجيادُ صهيلاَ

---

(١) محك ـ بفتح الميم وكسر الحاء ـ اللجوج ، وقالت أعرابية :

إذا الخصوم اجتمعت جثيا وجدت ألوى محكا أبيا

(٢) في الديوان « فنجا يهرول منك أمس مهولا »

ما كل مَنْ طَلَبَ المعالى نافذا فيهـا ولا كل الرجال فُحُولا

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو ، وأنا أستغفر الله تعالى لى وله .

والشاهد فى البيتين : كون المأخوذ دون المأخوذ منه فى البلاغة .

وهذا الأخذ مذموم مردود ، لفوات الفضيلة وعدم الفائدة ، فان المصراع الثانى من بيت أبى الطيب مأخوذ من المصراع الثانى من بيت أبى تمام ، لـكن مصراع أبى تمام أجود سبكا ، لأن قول أبى الطيب « ولقد يكون » بلفظ المضارع لم يصب محزّه ، إذ المعنى على الماضى ، والمراد « لقد كان » .

و ينظر إلى بيت أبى تمام قول الشريف الموسوى فى الصاحب بن عباد [من الـكامل] :

يا طالباً مِنْ ذا الزمان شبيهَهُ هيهات كلَّفْتَ الزمانَ مُحَالا

و ينظر إلى صدر بيت المتنبى قول السُّلامى فى الوزير سابور [من الـكامل]:

أعدَى الزمانَ نَدَى أبى نصر فلو مُمْنَاهُ أن يهَبَ الصبى لم يَبْخَلِ

وما أحسن قول القاضى الفاضل فى هذا المعنى [من الـكامل] :

مَضَتِ الدهورُ وما أتينَ بمثلِهِ ولقد أتى فعَجَزْنَ عن نُظَرائِهِ

ومن الأخذ المذموم قول بعض الأعراب [من السريع]:

وريحها أطيبُ من طِيبها والطيبُ فيه المسك والعَنْبَرُ

وقول بشار بعده [من الرمل] :

و إذا أدنَيْتَ منْهُ بصَلاً غلبَ المسْكُ على ريح البَصَلْ

وقول أشجع السلمى [من الـكامل] :

وعلى عدوِّكَ يا ابن عَمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ

فاذا تَنَبَّهَ رُعتَه و إذا غَفَا سلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحْلَامُ

وقول أبي الطيب بعده [من الوافر] :

يَرَى في النَّوْمِ رُمْحَكَ في كُلاَهُ ويخشى أن يَرَاهُ في السُّهَادِ

وكذا قول السري الرفاء ، وإن كان فيه زيادة المعنى وحلاوة السبك ، وهو [من البسيط] :

تَرُوعُ أحشاءَهُ بالكتب وَهْوَ لَهَا خوفَ الرَّدَى ورجاءَ السِّلْمِ مُسْتَلِمُ

لا يَشْرَبُ الماءَ إلا غَصَّ من حَذَرٍ ولا يَهُوِّمُ إلا راعَهُ الحُلُمُ

وقد ألم به الشهاب محمود فقال من قصيدة [من البسيط] :

كأن هاربهمْ والخوف يَطْلُبُهُ يبدو لديه مثالٌ منه أو مَثَلُ

فإن تنبهَ يوماً راعَهُ ، وإذا غَفَا جَلَتْهُ عليه في الكَرَى المقَلُ

وقول الخنساء [من الطويل]:

وما بلغ المُهْدُونَ للناس مدحَةً وإن أطنبُوا إلا وما فيك أفضَلُ

وقول أشجع [من الطويل] :

وما ترك المداح فيكَ مقالةً ولا قال إلا دونَ ما فيكَ قائلُ

وهذا الباب واسع لا طاقة لأحد على حصره ، وهذه النبذة كافية فيه إن شاء الله تعالى .

* * *

١٨٩ — لَوْ حَارَ مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لم يجدْ إلا الفِراقَ على النفُوس دَلِيلاَ(١)

* * *

شواهد ما فيه المأخوذ المأخوذ منه

١٩٠ — لولا مُفَارَقَةُ الأحبابِ ماوَجَدَتْ لَهَا المنَايا إلى أرْواحِنَا سُبُلاَ

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها نوح بن عمرو

---

(١) في الديوان (٢٤٢) « لو جاء مرتاد المنية »

السكسكى ، أولها :

يومَ الفرَاقِ لقد خُلِقتَ طويلا لم تُبْقِ لى صبراً ولا معْقُولا[١]

و بعده البيت ، و بعده[٢] :

قالوا الرحيل فما شككتُ بأنها نَفْسٌ عن الدنيا تُريدُ رَحيلاَ

الصبرُ أجملُ غيرَ أن تذلّلى فى الحب أحْرَى أن يكونَ جميلاَ

أتظنُنى أجِدُ السَّبيلَ إلى العزَا وَجَدَ الحِمامُ إذن إلىّ سبيلاَ

ردُّ الجمُوحِ الصعبِ أيْسَرُ مطلباً من رد دمعٍ قَدْ أصابَ مَسِيلاَ

وهى طويلة .

والارتياد : الطلب ، و إضافة المرتاد إلى المنية بيانية ، أى المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت فى الطريق إلى إهلاكها ولم يمكنها التوصل إليها لم يكن لها دليل عليها إلا الفراق .

ومثله قول الحِمَّانى [من الكامل] :

ولقدْ نَظرْتُ إلى الفراق فلم أجد للموْتِ لو فقِدَ الفراقُ سبيلا

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من البسيط ، يمدح بها سعيد ابن كلاب الطائى وأولها :

أحيا وأيْسَرُ ما لَاقَيْتُ ما قتلا والبينُ جارَ على ضعفى وما عَدَلا

والوَجد يَقْوَى كما يَقْوَى النوى أبداً والصبرُ ينْحلُ فى جسمى كما نَحلَا

و بعده البيت ، و بعده :

بما بجفنَيْكِ من سِحْرٍ صلى دنِفاً يهْوَى الحياة، وأما إن صَدَدت فَلَا

إن لا يَشِبْ فلقد شابَتْ له كبدٌ شَيْباً إذا خَضَبَتْهُ سلوة نَصلَا

يجنُّ شوقاً فلولا أن رائحةً تزورُه فى رياح الشرق ما عقَلاَ

(١) فى الديوان « لم تبق لى جلدا »

(٢) بيت الشاهد تال للبيت الذى أوله « قالوا الرحيل »

هاما نظرى أو فطنى بى ترى حرقاً   من لم يذق طرفاً منها فقد وألا[1]
على الأمير يرى ذلى فيشفع لى   إلى التى تركتنى فى الهوى مثلا

وهذا البيت من المخالص القبيحة التى عيبت على المتنبى ، وسبب القبح كونه جعل ممدوحه ساعياً بينه و بين محبو بته فى الوصال ، وفى ذلك ما فيه ، وقد سبقه أبو نواس إليه بقوله [من الطويل] :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد   هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما إلى ذلك قيس بن ذريح[2] حين طلق لبنى فتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها فى كل مغنى ، فرحمه ابن أبى عتيق ، فسعى فى طلاقها وأعادها إلى قيس ، فى خبر طويل ، فقال يمدحه [من الوافر] :

جزى الرحمن أفضل ما يجازى   على الاحسان خيراً من صديق
وقد جربت إخوانى جميعاً   فما ألفيت كابن أبى عتيق
سعى فى جمع شملى بعد صدع   ورأى حدت فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبى   أغصتنى حرارتها بريقى

فلما سمع ذلك ابن أبى عتيق قال لقيس : يا حبيبى ، أمسك عن هذا المدح فما سمعه أحد إلا وظننى قواداً .

ولنرجع إلى الكلام على البيتين .

والشاهد فيهما : مماثلة المأخوذ المأخوذ منه ، فيكون أبعد من الذم ، والفضل للأول إن لم يكن فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية ، وإلا فهو

---

(١) الحرق – بضم الحاء وفتح الراء – جمع حرقة ، وأراد لواعج الغرام وآلامه ، ووأل : نجا . تقول : وأل يئل ، مثل وعد يعد ووصف يصف

(٢) فى الأصول « قيس بن الذريح »

منموم جدا ، فأبو الطيب أخذ معنى بيت أبى تمام كله مع بعض الألفاظ كالمنية والفراق والوجدان ، و بَذْلَ النفوس بالأرواح .

ومنه قول أبى تمام [من الوافر] :

مقيمُ الظن عِندك والأمانى وإن قَلِقَتْ ركابى فى البلاد
ولا سافَرْتُ فى الآفاق إلا ومِنْ جَدْواكَ رَاحِلتى وزادى (١)

وقول المتنبى [من الوافر] :

محبك حيثما اتجهَتْ رِكابى وضيفُكَ حيث كنتُ من البلادِ

وقول القاضى الأرجانى [من الكامل] :

لم يُبكنى إلا حديث فِرَاقكم لما أَسَرَّ به إلى مُوَدِّعى
هو ذلك الدُّرُّ الذى أَوْدَعْتُمُ فى مَسْمَعى أَلقيته مِنْ مَدْمَعى

وقول الزمخشرى فى مرثية أستاذه [من الطويل] :

وقائلة ما هذه الدرر التى تُسَاقِطُها عيناك سِمْطَيْن سِمطين
فقلت هو الدرُّ الذى قد حَشَا به أبو مُضَرٍ أذنى تَسَاقطُ من عينى

وقول إبراهيم بن العباس فى ابن الزيات الوزير (٢) [من المتقارب] :

نَجَا بك لؤْمك منجى الذبابِ حَمَتْهُ مقاذيره أن يُنالا

وقول ابن حجاج بعده [من الوافر] :

على أنى أظنك كنتَ تنجو بعِرْضك من يدى مَنْجَى الذباب

وقول أبى نواس [من الطويل] :

تستَّرْتُ من دهرى بظلِّ جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرانى

---

(١) فى الديوان والموازنة :

* وماسافرت فى الآفاق إلا *

(٢) كذا ذكر جماعة منهم صاحب اليتيمة ، والذى فى أخبار أبى تمام أن المقول فيه محمد بن عبد الملك بن أبان

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

سترتُ بظله من رَيب دهرى فطال على النوائب أن ترانى

وقول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخَمَّارةٍ من بنات اليهود نرى الزق فى بيتها شائلاً

وزَنا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلاً

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

وخَمَّاراً أعدَّ الكأس ظئراً لطارقةٍ فلم ترضِعْهُ غيلاً

أوفِّيهِ خلاص التبر وزناً فيسكبه ويعطينيه كيلاً

ولابن حمديس فى مثله [من المتقارب] :

وضعتُ بميزانها درهمى فسيَّلَ بالكأس دينارَها

وقول جحظة البرمكى ، أو على بن جبلة [من الرمل] :

بأبى من زارنى مكتتما خائفا من كل شىء جزِعا

زائر نَمَّ عليه حسنه كيف يخفى الليل بدراً طلعا

راقبَ الغفلة حتى أمكنتْ ورعى السامرَ حتى هجعا

ركبَ الأهوالَ فى زورته ثُم ما سلَّمَ حتىَّ ودَّعا

وقول المتنبى [من الخفيف] :

بأبى مَنْ وَدِدْتُهُ فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

وافترقنا حولاً فلما التقينا كانَ تسليمهُ علىَّ وداعا

وقول الحسين بن الضحاك [من الرمل] :

بأبى زَورٌ تلفتّ له فتنفسْتُ عليهِ الصُّعَدَا

بينما أضحكُ مسروراً بهِ إذْ تقطَّعتُ عليهِ كمَدَا .

وقول الآخر أنشده الصولى [من الخفيف] :

زَائِرٌ زَارَنى يُشيِّعُهُ الشوْ قُ قَرِيبُ الهوَى بَعِيدُ المرَامِ
كانَ عَنىَّ أوْحَى انصرَافاً مِنَ اللحْـــظ وَأخفى مِنْ طَارِقٍ فى المنَامِ (١)

وقول العباس بن الأحنف [من الخفيف] :

سَألونا عنْ حَالِنا كيفَ أنتم فقَرَنَّا وَدَاعَنَا بالسؤالِ
ماَ حللنا حتىَّ افترَقنا فما نفـــرِقُ بينَ النزُولِ وَالارْتحالِ

وقول كشاجم ، و يُعزى لأبى الحسين بن طاهر بن محمد النسجرى الكاتب [من الكامل] :

بأبى وأُمى زَائِرٌ مُتقنِعٌ لَمْ يَخف ضوء البدر تحت قناعهِ
لَمْ أستتمَّ عِنَاقَهُ لِقدُومِهِ حتى ابتدأتُ عناقَهُ لوَدَاعِهِ
وَمَضى فأبقىَ فى فؤادى حسرَةً تركتهُ موْقوفاً على أوْجَاعِهِ

ومنه قول الآخر [من الخفيف] :

زار يهدِى السلاَمَ لم أرَ فصلاً بينَ توْدِيعهِ وَبينَ السلاَمِ

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

زَارَنا حتى إذا ماَ سرَّنا بالقرْبِ زَالاَ

ولأبى الشيص فى معناه [من السريع] :

يا حبذَا الزوْرُ الذى زَارَا كأنهُ مُقتبسٌ نارَا
نَفسى فِدَاءٌ لكَ منْ زَائِرٍ ماَحلَّ حتى قيلَ قدْ سارَا (٢)

---

(١) أوحى : أسرع

(٢) فى الأصل * نفسى فدا لك من زائر ، ولا يتم وزن الشطر حتى تضم إليه الهمزة

وقد عكس ابن أبي البشر الصقلي الكاتب بيت جحظة الأخير ، فقال : يهجو ثقيلا [من الرمل] :

وثقيلٍ قد شَنِئْنَا شخصهُ   مُذْ عرفناهُ مُلِحًّا مُبْرِماَ
ثقلَ الوطـــأة في زَوْرَتهِ   ثمّ ماَ وَدَّعَ حتى سَـــلَّمَا

* * *

شواهد السلخ ١٩١ ـ هُوَ الصنع إنْ يَعْجَلْ فخيرٌ ، وَإنْ يَرِثْ
فللرَّيثُ في بعضِ المَوَاضِعِ أنفعُ

* * *

١٩٢ - وَمِنَ الخيرِ بُطء سَيبكَ عَنيّ
أسرَعُ السحْب في المَسيرِ الجَهَامُ

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

أمَا إنهُ لوْلاَ الخليطُ المودّعُ   وَرَبْعٌ عفاَ منهُ مصيفٌ ومرْبعُ
لَرُدَّتْ على أعقاَبهاَ أريحِيـــةٌ
مِنَ الشوْقِ وَاديهاَ مِنَ الدّمْعِ مُترَعُ

وهي طويلة ، وسيأتي طرف منها في التلميح ، إن شاء الله تعالى .

والريث : الابطاء .

والبيت الثاني لأبي الطيب ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها عليّ ابن أحمد الخراساني المريّ أولها :

لا افتخارٌ إلا لِمنْ لا يُضاَمُ   مُدْرِكٍ أوْ مُحَارِبٍ لاَ ينامُ
ليسَ عَزْماً ما مرَّضَ المرء فيهِ   ليسَ همّا ما عاقَ عنهُ الظلاَمُ

وَاحتمالُ الأذَى وَرُؤيةُ جانيــهِ غِذاءٌ تَضوَى بهِ الأجسَامُ

ذَلَّ مَنْ يَغبطُ الذليلَ بعيشٍ رُبَّ عيشٍ أخفُّ منهُ الحِمَامُ

كلُّ حِلمٍ أتَى بغيرِ اقتدارٍ حُجةٌ لاجئٌ إليها اللئَامُ

مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهَوَانُ عليهِ مَا لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

يقول فى مديحها :

خيرُ أعضائنا الرُّؤوسُ وَلكنْ فضلتْهَا بقصدِكَ الأقدَامُ

قَدْ لَعمرِى أقصرْتُ عنكَ وَللوفْـدِ ازدِحَامٌ وللعطَايا ازدِحَامُ

خِفْتُ إنْ صِرْتُ فى يمينكَ أنْ يأ خُذنِى فى هبَاتِكَ الأقوَامُ

وَمِنَ الرُّشدِ لَمْ أزُرْكَ على القرْ بِ، على البُعْدِ يُعْرَفُ الإلمَامُ

و بعده البيت ، و بعده :

قُلْ فكمْ منْ جَواهرٍ بنظَامٍ وَدُّها أنهَا بِفيكَ كلاَمُ

هَابكَ الليلُ وَالنهارُ فلوْ تنْـهاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الأيامُ

والسَّيْب : العطاء ، والْجَهَام : السحاب الذى لا ماء فيه ، أو الذى هراق ماءه .

والشاهد فى البيتين : الالمام ، و يسمى : السلخ ، وهو : أخذ المعنى وحده ثم هو على ثلاثة أقسام : إما أبلغ من المأخوذ منه ، أو دونه ، أو مثله ، فبيت المتنبي أبلغ من بيت أبى تمام ، لاشتماله على زيادة بيان للمقصود ، حيث ضرب المثل بالسحاب .

* * *

١٩٣ — وَإِذَا تَأَلَّقَ فِى النَّدِىِّ كَلَامُهُ الـ ـمَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

* * *

شاهد مجىء المأخوذ دون المأخوذ منه

١٩٤ — كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِى النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ
عَلَى رِمَاحِهِمُ فِى الطَّعْنِ خُرْصَانَا

البيت الأول للبحترى ، من الكامل ، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، أولها :

مَنْ سَائِلٌ لِمُذِبٍ عَنْ خَطْبِهِ أَوْ صَافِحٌ لِمُقَصِّرٍ عَنْ ذَنْبِهِ

وهى طويلة يقول فى مديحها :

وَإِذَا اسْتَهَلَّ أَبُو عَلِىٍّ بِالنَّدَى جَاءَ الْغَمَامُ الْمُسْتَهِلُّ بِسَكْبِهِ

وَإِذَا احْتَبَى فِى عَقْدِهِ مِنْ حِلْمِهِ يَوْمًا رَأَيْتَ مَتَالِعًا فِى هَضْبِهِ

و بعده البيت . و بعده :

وَإِذَا دَجَتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى فِى كُتْبِهِ

فَاللَّفْظُ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِى بُعْدِهِ مِنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِى قُرْبِهِ

وَكَأَنَّهَا وَالْحُسْنُ مَعْقُودٌ بِهَا شَخْصُ الْحَبِيبِ بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

ومعنى تألق : لمع ، والندىّ : المجلس الغاص بأشراف الناس ، والمصقول : المنقح ، والعَضْب : السيف القاطع ، شبه لسانه بسيفه .

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من البسيط ، يمدح بها أبا سهل الأنطاكىّ ، أولها :

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَأَلَّفَ فِى ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا

أَمَّلْتُ سَاعَةَ سَارُوا كَشْفَ مِعْصَمِهَا لِيَلْبَثَ الْحَىُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانَا

وَلَوْ بَدَتْ لأتَاهتْهُمْ فحجَّبهَا صَوْنٌ عقولَهُمْ منْ لحظها صَانَا

إلى أن قال فى مديحها :

مَا شيَّدَ اللهُ منْ مجدٍ لسَالفهمْ إلا وَنَحْنُ نَرَاهُ فيهمُ الآنَا

إنْ كُوتبُوا أوْ لُقُوا أوْ حُورِبُوا وُجدُوا

فى الخطِّ وَاللفظِ والهَيجَاء فُرْسَانَا

و بعده البيت ، و بعده :

كأنهمْ يَرِدُونَ المَوْتَ منْ ظمإٍ أوْ ينشقُونَ مِنَ الخَطِّ رَيْحَانَا

وخرصان الرماح : أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الأسنة ، وواحدها : خُرْص بالضم والكسر ، يريد وصف فصاحة ألسنة الممدُوحين وطلاَقتها .

والشاهد فى البيتين : مجىء المأخوذ دون المأخُوذ منه ، فبيت المتنبى دُون بيت البحترى ، لأنه قدفاته ما أفاده البحترى بلفظى «تألق ، والمصقول» من الاستعارة التخييلية ، حيث أثبت التألق والصقالة للكلام ، كاثبات الأظفار للمنية ، و يلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف ، وهو استعارة بالكناية .

* * *

مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

١٩٥ — وَلَمْ يكُ أكثرَ الفتيَانِ مالاً

وَلكنْ كانَ أرْحَبَهُمْ ذِرَاعاً

* * *

١٩٦ — وليسَ بأوْسعهمْ فى الغنى ولكنْ معرُوفَهُ أوْسعُ

البيت الأول لأبى زياد الأعرابى ، من أبيات من الوافر ، وقبله :

لهُ نارٌ تُشَبُّ عَلىَ يفَاعٍ إذَا النيرَانُ أُلبِسَتِ القناعاَ

ورحب الذراع : كناية عن الوصف بالسخاء ، يقال : فلان رحب الذراع ، وواسع الذراع ، أى سخى .

والبيت الثانى لأشجع السلمى ، من قصيدة من المتقارب ، يمدح بها جعفر ابن يحيى البرمكى .

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، قال : لما ولى الرشيدُ جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ، ثم دخل الشعراء ، فأنشدوه ، وقام أشجع فى آخرهم ، فاستأذن فى الانشاد فأذن له ، فأنشده قوله :

أتَصبرُ للبين أم تجزَعُ ... فإنَّ الديار غداً بلقَعُ
غداً يتفرّقُ أهلُ الهوَى ... وَيكثرُ باكٍ ومُسترجعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوِّية بينَ أقطارِها ... مَقاطعُ أرضينَ لاَ تقطعُ
تجاوَزْتُها فوقَ عيرَانةٍ ... مِنَ الرِّيحِ فى سيرِها أسرَعُ
إلى جعفرٍ نزَعتْ رَغبةٌ ... وأىُّ فتىً نحوَهُ يُنزَعُ
فما دُونهُ لامرئ مَطمعٌ ... ولا لامرئ غيرِه مَقنعُ
وَلاَ يرْفعُ الناسُ منْ حطّهُ ... وَلاَ يَضعُونَ الذى يرْفعُ
تُريدُ الملوكُ مدَى جعفرٍ ... ولاَ يَصنعُونَ كما يَصنعُ

وبعده البيت ، وبعده :

تلوذُ الملُوكُ بآرائهِ ... إذَا نابها الحدثُ الأفظعُ
بَديهتهُ مثلُ تدْبيرِهِ ... متَى رُمْتهُ فهو مُستجمعُ
وكم قائلٍ إذْ رَأى ثرْوَتى ... وَما فى فُضُول الغنى أصنعُ
غدَا فى ظلال ندَى جعفرٍ ... يجرُّ ذُيولَ الغنى أشجعُ

فقُلْ لخراسانَ تَحياَ فَقَدْ أتاها ابن يَحيي الفتى الأروَعُ

فأقبل عليه جعفر بن يحيي ضاحكا ، وَاستحسن شعره ، وَجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار ، قال : ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير فعزل جعفراً عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب ، وعقد له العقد ، وأمر وَنهى ، فوجم لذالك جعفر ، فدخل عليه أشجع ، فأنشده [من السريع] :

أمسَتْ خراسانُ تُعزَّى بما أخطأها منْ جعفر المُرْتجَى

كانَ الرشيدُ المُعتلى أمرُهُ وَلّى على مشرقِها الأبْلَجَا

ثمَّ أراهُ رَأيهُ أنهُ أمسى إليهِ منهمُ أحوَجَا

فكم بهِ الرحمنُ منْ كُربةٍ فى مُدةٍ تقصُرُ قدْ فَرَّجَا

فضحك جعفر ، وقال : لقد هوَّنت علىَّ العزل ، وقمت لأمير المؤمنين بالعذر ، فسلنى حاجتك ، فقال : كفانى جودك ذل السؤال ، فأمر له بألف دينار أخرى .

والشاهد فى البيتين مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

وقد ألم أبوالطيب بهذا المعنى فقال [من المتقارب] :

بمصْرَ ملوكٌ لهمْ مالَهُ ولكنهمْ مالهمْ هِمَّهْ

ومثله قول بعضهم فى مرثية ابن له [من الكامل] :

والصَّبرُ يُحْمَدُ فى المَوَاطِنِ كُلِّهَا إلَّا عَلَيْكَ فإنَّهُ مَذْمُومُ

وقول أبى تمام بعده [من الطويل]

وقد كان يُدْعَى لابسُ الصَّبْرِ حازماً فأصْبَحَ يُدْعَى حازماً حينَ يَجْزَعُ

وقول بكر بن النطاح [من الطويل] :

كأنك عند الكر فى حَوْمَةِ الوغى تفر من الصف الذى من ورائكا

وقول أبي الطيب المتنبي [من الكامل] :

وكأنه والطعنُ من قُدّامِهِ مُتَخَوِّفٌ من خَلْفِهِ أن يُطعنا

ترجمة أبو زياد الأعرابي

وأبو زياد الأعرابي اسمه يزيد بن الحر الكلابي ، وقيل: يزيد بن عبد الله بن الحر الكلابي ، قدم بغداد من البادية أيام المهدي ، لأمر أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وكان العباس بن محمد يجرى عليه في كل يوم رغيفاً ثم قطعه فقال أبو زياد في ذلك [من الطويل] :

فان يَقْطَعِ العباس عني رغيفَهُ فما فاتني من نعمة الله أكثر

ومن شعره أيضا [من الطويل] :

أراكَ إلى كُثْبان يَبْرِ بن شيقاً وهذا لعمري لوْ قنعتَ كثيبُ

فأينَ الأراكُ الآن والأيكُ والغضا

ومستخبرٌ عمّنْ أحبُّ قريبُ

وصنف أبو زياد هذا كتاب النوادر ، وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة ، وقال الصاحب جمال الدين أبو الحسن على بن القفطى : رأيت من بعض نسخة المجلد الثالث عشر ، وهو آخر الكتاب ، وكان بخط بانوسة معلم بني مقلة ، ووراقهم . وله كتاب الفرق ، وكتاب الابل ، وكتاب خلق الانسان .

ترجمة أشجع السلمى

وأشجع [1] هو ابن عمرو السلمى ، ويكنى أبا الوليد ، وهو من ولد الشريد السلمى ، تزوج امرأة من أهل اليمامة ، فشخص معها إلى بلدها ، فولدت له هنالك أشجع ، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه ، فقدمت به أمه البصرة ، فطلب ميراث أبيه وكان له هنالك مال ، فماتت بها . ونشأ أشجع بالبصرة ، فكان مَنْ لا يعرفه

---

(١) تجد للأشجع السلمى ترجمة فى الأغانى (١٧ : ٣٠-٥١) وعنها أخذ المؤلف

يدفع نسبه . ثم كبر وقال الشعر ، فأجاد وعدّ فى الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود . فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أخَوَانِ : أحمد وحريث ابنا عمرو ، وكان أحمد شاعراً ، ولم يكن يقارب أشجع ، ولم يكن لحريث شعر ، ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها ، فنزل على بنى سليم ، فتلَقَّوْهُ وأكرموه ، ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصة ، وأصفاه مدحه ، فوصله بالرشيد ومدحه فأعجب به ، وأثرى ، وحسنت حاله فى أيامه ، وتقدم عنده . وحدّثَ أسد بن جديلة ، قال : حدثنى أشجع السلمى ، قال : شخصتُ من البصرة إلى الرقة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالتنى خَلَّة ، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره ، فصاح صائح ببابه : من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم ، فأمرنا بالبكور فى يوم الجمعة ، فبكرنا وأدخلنا ، فقدم واحد واحد منا ينشد على الأسنان ، وكنت أحدث القوم سنا وأرقهم حالا ، فما بلغ إلىّ حتى كادت الصلاة أن تجب ، فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطين ، فقال لى : أنشد ، فخفت أن ابتدىء فى أول قصيدتى بالنسيب فتجب الصلاة ويفوتنى ما أردت ، فتركت النسيب وأنشدته من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها [من الطويل] :

تذكر عهدَ البيض وَهْوَ لها تِرْبُ وأيامَ تُصْبِي الغانياتِ ولا يصبُو

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملكٍ يَستغرقُ المالَ جودُهُ مكارمهُ نهْبٌ ومعروفه سَكْبُ (١)

وما زال هارون الرضا بن محمد لهُ من مياه النصر مَشْرَبُها العذبُ .

---

(١) فى الأغانى «مكارمه نثر»

متى تبلغ العيسُ المراسيلُ بابهُ | بنا فهناك الرحبُ والمنزل الرحبُ
لقد جمعتْ فيك الظنون ولم يكنْ | بغيرك ظنٌّ يستريحُ له قلبُ
جمعتَ ذوي الأهواء حتى كأنّهم | على منهج بعدَ افتراقهمُ ركبُ
بعثتَ على الأبناء أبناء دُرْبة | فلم يقهمْ منهمْ حصونٌ ولا دربُ [1]
وما زلتَ ترميهمْ بها متفرّداً | أنيساك حزمُ الرأي والصارمُ العضْبُ [2]
جهدتُ فلم أبلغ علاكَ بمدحة | وليس على من كان مجتهداً عَتْبُ

فضحك الرشيد . ثم قال : خفتَ أن يفوت وقتُ الصلاة ، و ينقطع المديح عليك ، فبدأت به وتركت النسيب ، وأمرني أن أنشده النسيب ، فأنشدته إياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم ، وأمر لي بضعفها .

وحدّث قدامة بن نوح قال : جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له ، فجاءه أعرابي من بني هلال ، فشكا واستماح بلفظ فصيح ، وكلام مثله يعطف المسئول ، فقال له جعفر بن يحيى : أتقول الشعر ياهلالي ؟ قال كنت أقوله وأنا حدَث أتملّح به ، ثم تركته لما صرت شيخا ، قال : فأنشدني لشاعركم حُمَيد بن ثور ، فأنشده قوله [من الكامل] :

لِمن الديارُ بجانب الحبس | كمخط ذي الحاجات بالنقْس [3]

حتى أتى على آخرها ، فاندفع أشجع ، فأنشده مديحا ، قاله فيه على وزنها وقافيتها [من الكامل] :

---

(١) كذا ، وأحسبه « بعثت على الأعداء أبناء دربة » ووقع في الأغاني « بنيت على الأعداء » محرفا في كلمة أخرى ،

(٢) وقع في الأصل « أينساك » محرفا عما أثبتناه عن الأغاني

(٣) في الأغاني :

لمن الديار بجانب الخبس | كمخط ذي الحاجات بالنفس

ذَهبَتْ مكارمُ جعفرٍ وفعالُهُ في الناس مِثلَ مَذاهِبِ الشمسِ
ملكٌ تسُوسُ له المعالىَ نفسُهُ والعقلُ خيرُ سياسة النفس
فإذا تَرَاءته الملوكُ تَرَاجعُوا جهرَ الكلام بمنطقٍ همسِ
ساد البرامكَ جعفرٌ وهمُ الأولى بعدَ الخلائف سادةُ الانسِ
ماضرَّ مَنْ قصدَ ابن يحيي راغباً بالسعدِ حلّ بهِ أمِ النحسِ (١)

فقال له جعفر : صِفْ موضِعنا هذا ، فقال [من الوافر] :

قُصُورُ الصالحيةِ كالمذَارَى لبسنَ ثيابهنَّ ليوْمِ عُرْسِ
مُطِلاتٍ على قصرٍ كستهُ أيادِى الماء وشياً نسجَ غَرْسِ (٢)
إذَا ما الطلُّ أثرَ فِى ثرَاهُ تنفسَ نَوْرُهُ منْ غير نفسِ
فتصبغهُ السماء بصبغِ وَرْسٍ وتَصْبَحُهُ بأكؤسِ عينِ شمسِ (٣)

فقال جعفر للأعرابى : كيف ترى يا هلالى صاحبنا ؟ قال : أرى خاطره طوع لسانه ، و بيانَ الناس دون بيانه ، وقد جعلت له ما تصلنى به ، قال : بل نفردك (٤) يا أعرابى ونرضيه ، فأمر للأعرابىّ بمائة دينار ، وللأشجع بمائتى دينار .

وحدّث أشجع قال : كنت ذات يوم فى مجلس بعض إخوانى أتحدث وأنشد إذ دخل عليهم أنس بن أبى شيخ البصرى ، صاحب جعفر بن يحيى ، فقام له جميع القوم غيرى ، ولم أعرفه فأقوم له ، فنظر إلىّ ، وقال: من هذا الرجل؟

---

(١) فى الأغانى « ماضر من قصد ابن يحى راجيا »
(٢) فى الأغانى « مطلات على بطن كسته »
(٣) فى الأغانى « فتغبقه السماء بصبغ ورس »
(٤) كذا ، وفى الأغانى « بل نفدك يا أعرابى » وأحسبه محرفا عن « نرفدك » وفى مهذب الأغانى « بل نصلك يا أعرابى » وما رأيناه أقرب .

قيل : أشجع سلمى الشاعر ، فقال : أنشدنى بعض شعرك ، فأنشدته ، فقال : إنك لشاعر ، فما يمنعك من جعفر بن يحيى ؟ فقلت : ومن لى بجعفر بن يحيى ؟ قال : أنا ، قال أبياتاً ولا تطل فانه يمل الاطالة ، فقلت له : لست بصاحب إطالة ، وقلت أبياتاً على نحو ما رسم لى وصرت إليه ، فقال : تقدمنى إلى الباب فلم يلبث أن جاء ، فدخل وخرج أبو رمح الهمدانى ، صاحبُ جعفر بن يحيى ، قال : أشجع ، فقمت إليه ، قال : ادخل ، فدخلت ، فاستنشدنى فأنشدته [من الكامل] :

وترى الملوكَ إذا رأيتهمُ كلٌّ بعيدُ الصوت والجَرْسِ

الأبيات المارة قريباً ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم .وكان أشجع يحب الثياب، فكان يكترى الخلعة فى كل يوم بدرهمين.فيلبسها أياما، ثم يكترى غيرها فيفعل بها مثل ذلك ، قال: فابتعت ثيابا كثيرة بباب الكرخ،فكسوت عيالى وعيال إخوتى حتى أنفقتها ، ثم أتيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى ، فقال : أنشدنى ، فأنشدته ، قال : ما يمنعك من الفضل بن يحيى ؟ [فقلت: ومَنْ لى بالفضل بن يحيى ؟][1] قال : أنا لك ، فأدخلنى عليه فأنشدته [من الطويل] :

وما قدَّمَ الفضلُ بنُ يحيي مكانهُ على غيرِهِ بلْ قدَّمتْهُ المكارمُ

لقدْ أرْهبَ الأعداء حتى كأنهُ على كلِّ ثغـــــرٍ بالمنية قائمُ

قال : كم أعطاك جعفر ؟ قلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

---

(١) هذه الزيادة ساقطة من اصول هذا الكتاب ، ولا يتم الكلام إلا بها ، وهي ثابتة فى الأغانى

وحدَّث داود بن مهلهل ، قال : لما خرج جعفر بن يحيى ليُصْلح أمر الشام نزل فى مَضْرِبه ، وأمر باطعام الناس ، فقام أشجع فأنشده [من الكامل] :

فئتان طاغيةٌ و باغيةٌ جَلَّتْ أمورهما عن الخطبِ
قدْ جاءكم بالخيل شازبةً ينقلنَ نحوكم رَحى الحربِ (١)
لم يبقَ إلا أنْ تدُورَ بكم قدْ قامَ هاديها على القُطْبِ (٢)

قال : فأمر له بصلة ليستْ بالسنية ، وقال له : دائم القليل خير من منقطع الكثير ، فقال له : ونَزْرُ الوزير خير من جزيل غيره ، فأمر له بتثنيها .

قال : وكان يُجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه .

وحدّث إسحاق الموصلى ، قال : دخلت على الرشيد يوماً وهو يخاطب جعفر ابن يحيى بشىء لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلما رآنى مقبلا ، قال لجعفر : أترضى باسحاق ؟ فقال جعفر : والله مافى علمه مطعن إن أنصفَ ، فقال لى : أى شىء تروى للشعراء المحدثين فى الخمر ؟ أنشدنى منْ أفضل ماعندك ، وأشده تقدما ، فعلمت أنهما كانا يتماريان فى تقديم أبى نواس ، فعدلت عنه إلى غيره ، لئلا أخالف أحدهما ، فقلت له : لقد أحسن أشجع السلمى فى قوله [من الكامل] :

ولقد طعنْتُ الليل فى أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم
يتمايلونَ على النعيم كأنهمْ قُضُبٌ من الهندىّ لمْ تتثلَّمِ
وسعى بها الظبىُ الغريرُ يزيدُها طيباً ويغشمها إذا لمْ تغشم
والليلُ مشتمل بفضل ردائهِ قد كادَ يحسرُ عنْ أغرَّ أزهرِ (٣)

---

(١) شازبة : ضامرة ، ووقع فى الأصول « شاذبة » ووقع فى الأغانى « شاربة » ووقع فى مهذب الاغانى « سارية » وكل ذلك تصحيف

(٢) فى الأصول « قد قام هاربها » وماأثبتناه موافق لمافى الأغانى ومهذبه

(٣) فى رواية من روايات الأغانى « والليل منتقب بفضل ردائه » وفى أخرى كما هنا

فاذا أدارتها الأكفّ رأيتها ... تثنى الفصيحَ إلى اللسان الأعجمى
وعلىَ بنان مُديرِها عقيانة ... من مسكها وعلى فضول المعصم (١)
تغلى إذا ما الشعريان تلظتا ... صيفاً وتسكن فى طلوع المرزمِ
ولقدْ فضضناها بخاتم ربهاَ ... بكراً وليس البكرُ مثلَ الأيمِ
ولها سكون فى الاناء وخلفها ... شغب يطوِّح بالكمىّ المعلمِ
تعطى على الظلم الفتى بقيادِها ... قسراً وتظلمه إذا لم تُظلمِ (٢)

فقال لى الرشيد : قد عرفت تعصبك على أبى نواس ، وأنك عدلت عنه ، متعمداً (٣) ، ولقد أحسن أشجع ، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبى نواس [من المديد] :

ياشقيقَ النفْسِ منْ حكم ... نمتَ عَنْ ليلى ولم أنمِ

فقلت له : ماعلمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين ، و إنما أنشدت ماحضرنى فقال : حسبك ، قد سمعتَ الجواب ، وكان فى إسحاق تعصب على أبى نواس لشىء جرى بينهما .

وحدّث إسحاق ، قال : اصطبح الواثق فى يوم مَطيرٍ ، واتصل شربه ، وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صَرْعَى وهو معنا على حالنا ، فما حول أحد منا من مضجعه ، وخدم الخاصّة يطوفون علينا و يتفقدوننا ، و بذلك أمرهم ، وقال لهم : لا تحركوا أحداً منهم عن مضجعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام

---

(١) فى الأصول « من كسبها » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى مهذب الأغانى ، وفى الأغانى « من لونها »
(٢) فى الأصول « بقتادها » محرفا عما أثبتناه عن الأغانى .
(٣) فى الأصول « معتمدا » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

وأمر بانباهنا ، فانتبهنا ، وقمنا وتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئنا إليه ، وهو جالس ، وفي يده كأس ، وهو يروم شربها والخُمار يمنعه ، فقال لي: يا إسحاق أنشدني في هذا المعنى شيئاً ، فأنشدته قول أشجع السلمي :

* ولقد طعنتُ الليل في أعجازه *

إلى آخر الأبيات ، فطرب ، وقال : أحسن والله أشجع ، وأحسنت يا أبا محمد ، أعد بحياتي ، فأعدتها وشرب كأسه عليها ، وأمر لي بألف دينار .

وحدّث علي بن الجهم، قال : دخل أشجع على الرشيد ، وقد مات ابن له ، والناس يعزونه ، فأنشده [من السريع] :

نقصٌ منَ الدين ومنْ أهلهِ نقصُ المنايا منْ بني هاشمِ
قدَّمتَهُ فاصبرْ علىَ فقدهِ إلى أبيـهِ وَأبي القـاسمِ

فقال الرشيد : ما عزاني أحدٌ اليوم أحسن من تعزية أشجع ، وأمر له بصلة .

وحدّث عمر بن علي أن أشجع السلميّ كتب إلى الرشيد ، وقد أبطأ عنه شيء أمر له به [من الطويل] :

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً لها عَنَقٌ بينَ الرُّواةِ فسيحُ(1)
بأنَّ لسانَ الشعر ينطقه الندَى ويخرسهُ الإبطاء وهو فصيحُ

فضحك الرشيد ، وقال : لن يخرس لسان شعرك ، وأمر بتعجيل صلته .

وحدّث أشجع ، قال : دخلت على الأمين ، حين أجلس مجلس الأدب

---

(1) وقع في الأصول «ألا أبلغ» بزيادة «ألا» عما في الأغاني ، ولا يستدعيها الوزن ، ويجب معها وصل همزه «أبلغ»

للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ، ثم يقوم ، فأنشدت [من الكامل] :

ملكٌ أبوهُ وأمهُ من نبعةٍ فيها سراجُ الأمةِ الوهاجُ
شربتْ بمكة في رُبى بطحائها ماء النبوة ليس فيهِ مزاجُ

قال : فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم .

وحدث سعيد بن زهير وأبو دعامة ، قالا : كان انقطاع أشجع إلى العباس ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فقال الرشيد للعباس يوماً : يا عم ، إن الشعراء قد أكثروا من مديح محمد بسببي و بسبب أُم جعفر ، ولم يقل أحد منهم فى المأمون شيئاً ، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكىّ يقول فيه . فذكر العباس ذلك لأشجع ، وأمره أن يقول فيه ، فقال [من المديد] :

بيعةُ المأمون آخذةٌ بِعنانِ الحق فى أُفُقِهْ
أحكمت مرآته عُقَداً تمنعُ المحتال فى نفقهْ
لن يفكَّ المرء رِبقتها أو يفكَّ الدين من عنقهْ
وله من وجهِ والده صورةٌ تمّتْ ومن خلقهْ

قالا : فأتى العباس الرشيدَ وأنشده إياها واستحسنها ، وسأله : لمن هى ؟ فقال : هى لى ، فقال : قد سررتنى مرتين باصابتك مافى نفسى و بأنها لك . وما كان لك فهو لى ، وأمرله بثلاثين ألف درهم ، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه .

وحدث على بن الفضل السلمى قال : أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر ابن المنصور ، وهو حدث ، وصله به أحمد بن يزيد السلمى وابنه عوف ، فقال أشجع فى جعفر بن المنصور [من الخفيف] :

اذكروا حُرْمةَ العواتكِ منا　　يا بنى هاشم بن عبدِ منافِ

قدْ ولدْنا كم ثلاثَ ولادَا　　تِ خلطن الاشرافَ بالأشرافِ

مهدَتْ هاشماً نجوم قصيٍّ　　من بنى فالج حجورُ عفَافِ(١)

إن أرماح بهثة بنِ سليمٍ　　لعجافُ الأطراف غير عجافِ(٢)

معشرٌ يطعَمُونَ من ذروة الشوْ　　ل ويُسقَوْنَ خمرة الأقحاف(٣)

يضربون الجبَّارَ فى أخدعيْهِ　　ويُسَقَّونَهُ نقيعَ الذُّعافِ

فشاع شعره و بلغ المنصور ، ولم يزل [أمره(٤)] يترقى إلى أن وصلته زبيدة بعدوفاة أبيها بزوجها الرشيد(٥) فأسنى جوائزه ، وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء .

وحدث مهدى بن سابق قال : أعطى جعفرُ بن يحيي مروانَ بن أبى حفصة وقد مدحه ثلاثين ألف درهم ، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً ، وأعطى أشجع وقد أنشده معهم ثلاثة آلاف، وكان ذلك فى أول اتصاله به ، فكتب إليه أشجع [من مجزوء الكامل] :

أعطيتَ مروان الثَّلاَ　　ثينَ التى دلَّتْ رِعاتَهْ(٦)

---

(١) فى الأغانى و بلغ المنصور ومهذبه « وبنو فالغ حجور عفاف »

(٢) هكذا وقع فى الأصول موافقا لما فى الأغانى ، ووقع فى مهذب الأغانى « بعجاف الأطراف غير عجاف »

(٣) فى الأغانى ومهذبه « ويسقون خمرة الأنحاف »

(٤) الزيادة عن الأغانى

(٥) فى الأصول « بعد وفاه أبيها وتزوجها الرشيد » وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني ومهذبه

(٦) فى الأغانى « الثلاثين التى ذلت رغاته » وهو تحريف ، وما أثبتناه موافقا لما فى أصول هذا الكتاب مستقيم

وأبا البصير ، وإنما أعطيتنى مَعَهُمْ ثلاثَهْ
ما خاننى حَوْكُ القريـــض ولا اتهمت سوى الحداثَهْ(١)

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى

وحدث محمد بن الحارث الخراز قال : كان لأشجع جارية يقال لهـا ريم ، وكان يَجِدُ بها وجداً شديداً ، فكانت تحلف له أنها إن بقيت بعـده لم تتعرض لغيره ، وكان يذكرها فى شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدته التى يرثى بها الرشيد [من الطويل] :

وليس لأحزان النساء تَطَاوُلٌ ... ولـكنَّ أحزان الرجال تَطُولُ
فلا تَبْخَلِى بالدمع عنى فانَّ مَنْ ... يَضَنُّ بدمعٍ فى الهوى لبخيلُ (٢)
فلا كنت ممن يُتْبِعُ الريحَ طرفَهُ ... دَبورا إذا هَبَّتْ صبا وقبُولُ (٣)
إذا دارَ فىء أتبعَ الفىء طرفه ... يميلُ مع الأيام حيث تميــلُ

وقال فيها أيضاً [من الطويل]

إذا غَمَضَتْ فوقى جفونُ حُفَيْرَةٍ ... من الأرض فابكينى بما كنْتُ أصنَعُ
تُعَزِّكِ عنى بعـد ذلكَ سَلْوَةٌ ... وأن ليس فيما وَارتِ الأرضُ مَطْمَعُ
إذا لم تَرَىْ شخصى ،وتُغْنِيكِ ثروتى ... ولم تَسْمَعِى منى ، ولا منكِ أسمعُ (٤)

---

(١) فى الأصول « ما خاننى خود القريض » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى ومهذبه « فان من يضن بدمع عن هوى لبخيل »

(٣) كذا ، وفى الأغانى ومهذبه « دبور إذا هبت له وقبول » وهو أحسن مما هنا .

(٤) كذا فى الأصول موافقا لما فى الأغانى ، وقد جعله فى مهذب الأغاني « وتغنك ثروتى » مجزوما بالعطف على جواب الشرط « تعزك عنى - إلخ » وليس الجزم بضربة لازب .

فحينئذ تَسْلين عنى ، وإن يكن بكاءٌ فأقصى ما تُبَكِّين أربَعُ
قليلا ورَبُّ البيتِ يا ريمُ ما أرَى فتاةً بمَنْ ولى به الموت تَقْنَعُ
بمَنْ تدفعين الحادثات إذا رَمَى عليك بها عامٌ من الجدب يَطْلُعُ
فيومئذٍ تَدْرِينَ من قد رُزِئْتِهِ إذا جعلت أركانُ بيتكِ تُنْزَعُ

قال : فشكته إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفضل أيضاً ، فاختير شعره على شعر أخيه ، وهو [من الطويل] :

ذكَرْتَ فراقاً والتفرقُ يَصدَعُ وأىُّ حياةٍ بعد مَوْتكَ تَنفَعُ (١)
إذا الزمن الغدارُ فَرّقَ بيننا فمالىَ فى طيبٍ من العَيْشِ مَطْمَعُ (٢)
ولا كانَ يومٌ يا ابن عمرو وليلةٌ يبددُ فيها شملنا ويُصَدَّعُ
فألطم وجهاً فيك كنت أصونه وأخشعُ مما لم أكن منهُ أخشعُ (٣)
ولا كان يوم فيه تَثْوِى رَهينةً فتروى بجسمى الحادثات وتَشْبَعُ (٤)
ولو أننى غُيِّبْتُ فى الترب لم تبلْ ولم يَرَكَ الراؤون لى تَتَوَجَّعُ
وهل رجلٌ أبصَرْتَه متوجعاً على امرأة أوعينُه الدهرَ تدمَعُ
ولكن إذا ولَّتْ يقولُ لهاا ذهبى فمثلك أخرى سوفَ أهْوَى وأتبعُ (٥)

(١) فى الأغانى « والفراق يصدع »
(٢ فى الأغانى « إذا الزمن الغرار »
(٣) فى الأغانى « فألطم وجها كنت فيه أصونه » وما هنا أحسن
(٤) فى الأصول « ولا كان يوم فيه سوء رهبته » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وهو أصح
(٥) وقع فى الأصول * ولكنها مهما تولت يقل سوى * وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني .

ولو أبصرت عيناكَ ما بى لأبصَرت صبابةَ حزن غيمها ليس يُقْشَعُ (١)

إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بالمديح فانه مَنيعُ الحمى معروفُهُ ليسَ يمنَعُ

وزُرْهُ تزر حلماً وعلماً وسودَداً وبأساً به أنف الحوادث يجْدَعُ

وأبدِعْ إذا ماقلت فى الفضل مدحةً كما الفضل فى بذل المواهب يُبْدِعُ

فى أبيات أخر، قال: فأنشدها أشجع الفضلَ وحدثه بالقصة، فوصل أخاه وجاريته، ووصله.

وحدث الحسين الجعفى قال: كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها، فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء فى داره، فجزع لذلك وبكى، وأنشأ يقول [من الخفيف]:

وَيْحَهَا هل دَرَتْ على مَنْ تنوحُ أسقيمٌ فؤادُها أم صحيحُ؟

قمرٌ أطبقُوا عليه ببغدَا دَ ضريحاً، ماذا أجَنَّ الضَّريحُ؟

رحِمَ الله صاحبى ونَدِيى رحمةً تغتدى، وأخرى تَرُوحُ!

ودخل أشجع على الرشيد فى عيد الفطر، فأنشده [من السريع]:

استقْبِلِ العيدَ بعُمْرٍ جَديدْ مَدَّت لك الأيامُ حَبْلَ الخلودْ

مُصَعِّداً فى دَرَجات العُلا نجمُكَ مَقْرُونٌ بسَعْد السُّعودْ

واطوِ رداء الشمْسِ ما أطلَعَتْ نوراً جديداً كلَّ يوم جديدْ

تمضى لك الأيام ذا غِبْطَةٍ إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عِيدْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يغنى بهذه الأبيات.

وحدث محمد بن عبد الله بن مالك قال: كان حرب بن عمرو الثقفى نخاساً،

---

(١) فى الأغاني «صبابة قلب غيمها ليس يقشع»

وكانت له جارية مغنية ، وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها ويستمعونها وينفقون فى منزله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون إليه ، فقال فيها أشجع [من السريع] :

جارية تهتز أردافها ... مُشْبَعَة الخلخال والقُلْب
أشكو الذى لاقيتُ من حبها ... وبُغْض مَوْلاها إلى رَبى
منْ بُغْض مولاها ومن حُبها ... سَقِمْتُ بين البُغْض والحب
فاعتلجا فى الصدر حتى استوى ... أمرُهما فاقتسما قلبى(١)
فعجَّل الله شفائى بها ... وعجَّل السقمَ إلى حَرْبِ

وأخباره كثيرة ، وهذا القدر منها كاف .

وحدث ابن أشجع السلمى قال : مر أبى وعمَّاى أحمد ويزيد ، وقد شربوا حتى انتشوا ، بقبر الوليد بن عقبة وإلى جانبه قبر أبى زبيد الطائى ، وكان نصرانياً وكان أبو زبيد لما احتضر أوصى أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ ، والقبران مختلفان كل منهما متوجه إلى قبلة أهل ملته ، قال : فوقفوا على القبرين ، وجعلوا يتحدثون بأحاديثهما ، ويتذاكرون أخبارها ، فأنشأ أبى يقول [من الوافر] :

مررتُ على عظامِ أبى زُبَيْدٍ ... وقد لاحتْ ببلقعةٍ صَلودِ
وكان له الوليدُ نديمَ صدقٍ ... فنادم قبرُهُ قبرَ الوليدِ
أنيسا ألفةٍ ذهبا فأمستْ ... عظامُهما تأنس بالصعيدِ
وما أدرى بمن تبدُو المنايا ... بأحمد أم بأشجع أم يزيدِ

قال : فماتوا والله كما رتبهم بالشعر ، فكان أولهم أحمد ، ثم أشجع ، ثم يزيد.

* * *

(١) فى الأغانى «فاختلجا فى الصدر» ولكل منهما وجه ، ومعناهما متقارب

شاهد الأخذ الخفي والمعنيان متشابهان

١٩٧ فلا يَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ لِحَاهُمْ   سَوَاءٌ ذو العِمَامَةِ والخِمَارِ

***

١٩٨ ومَنْ فى كَفِّهِ مِنهُمْ قَنَاةٌ   كمن فى كفِّهِ منهمْ خِضَابُ

البيت الأول لجرير، من قصيدة [١] من الوافر .

والأرب : الحاجة ، واللحى — بالضم والكسر — جمع لحية ، وهى شعر الخدين والذقن . والخمار — بالكسر — النَّصِيف ، وهو ما ستر الرأس ، وكل ما ستر شيئاً فهو خمار .

والمعنى : لا يمنعك من الحاجة كونُ هؤلاء على صورة الرجال ، لأن الرجال والنساء منهم سواء فى الضعف .

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الوافر [٢] يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر فيها خضوع بنى كلاب وقبائل العرب له ، وأولها :

بغيرِكَ راعياً عبثَ الذئابُ   وغيرَكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرَابُ

وتملك أنفُسَ الثقلين طُرّاً   فكيف تحوزُ أنفسَهَا كلابُ

وما تركُوكَ مَعْصِيَةً ولكن   يُعَافُ الوِرْدُ والموْتُ الشرابُ [٣]

طلبتَهمُ على الأمْوَاهِ حتى   تخوف أن تُفَتِّشَهُ السحابُ

وهى طويلة يقول فيها :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (ص١٩٠) وفيه *فلا تمنعك من أرب لحاهم*

(٢) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٧٥)

(٣) وقع هذا البيت فى الأصول

وما تركوك ضيعة ولكن   يعاف الورد والماء السراب

وهو تحريف شنيع فى عدة مواضع ، وقد أثبتنا صوابه عن الديوان

ولكن ربُّهم أسرَى إليهم   فما نَفَعَ الوقوفُ ولا الذَّهابُ
ولا ليلٌ أجنَّ ولا نهارٌ   ولا خَيْلٌ حَمَلْنَ ولا رِكابُ
رميتهُمُ ببحرٍ من حَديدٍ   له فى البر خَلْفَهُمُ عُبابُ
فمسَّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حريرٌ   وصَبَّحَهُمْ وبُسْطُهُمُ ترابُ

وبعده البيت، وبعده :

بَنُو قتلى أبيكَ بأرض نجدٍ   ومن أبقى وأبقَتْهُ الحرابُ
عفا عنهمْ وأعتَقَهُمْ صغاراً   وفى أعناق أكثرهمْ سِخَابُ (١)
وكلكم أتى مأتى أبيه   فكل فعا لكم عَجَبٌ عُجَابٌ (٢)
كذا فَلْيَسْرِ من طَلَبَ الأعادى   ومثل سُرَاك فليكن الطِّلاَب

والشاهد فى البيتين : الأخذ الخفى مع تشابه المعنيين، فتعبير جرير عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبى الطيب عنه بمن فى كفه قناة، وكذا تعبير جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبى الطيب عنها بمن فى كفه خضاب

ومن الأخذ الخفى قول الطرماح [من الطويل] :

لقد زَادَنِى حبًّا لنفسِىَ أنَّنِى   بَغيضٌ إلى كل امرئٍ غيرِ طائِلِ
وأنى شَقِيٌّ باللئامِ ، ولا تَرَى   شقيًّا بهم إلا كريمَ الشمائِلِ

وقول أبى الطيب [من الكامل]

وإذا أتَتْكَ مذمتى من ناقِصٍ   فهِىَ الشهادةُ لى بأنِّىَ كاملُ

(١) السخاب ـ بكفر السين ـ قلادة تتخذ من سك وغيره وليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان

(٢) فى الديوان * فكل فعال كلكم عجاب *

شاهد نقل المعنى المأخوذ إلى موضع آخر

١٩٩ — سُلِبُوا وأشرقَتِ الدماءُ عليهمُ محمرَّةً فكأنَّهمْ لم يُسْلَبُوا

* * *

٢٠٠ — يبسَ النجيعُ عليه وَهْوَ مجرَّدٌ من غمدِهِ فكأنَّما هُوَ مُغْمَدُ

البيت الأول للبحترى من قصيدة من الكامل يمدح بها إسحاق بن إبراهيم (١) . وأولها :

عارضْنَنَا أُصُلاً فقلنا الرَّبْرَبُ حتى أضاء الأقحوانُ الأشنَبُ

وأخضرَ موشِيِّ البرود وقد بَدَا منهنّ ديباجُ الخدودِ المذهَبُ

أومضْنَ من خَلَلِ السُّجوف فراعَنَا بَرْقان خالٍ ما يَشَام وخُلبُ (٢)

ولو أنني أنصفْتُ فى حكم الهَوَى ما شِمْتُ بارقةً ورأسى أشْيَبُ

إلى أن قال فيها :

ما إن ترى إلا توَقُّدَ كوكبٍ من قومس قد غاب فيه كوكبُ

فمجدّلٌ ومُوَسَّدٌ ومُرَمَّلٌ ومُضَرَّجٌ ومُضَمَّخٌ ومُخَضَّبُ

وبعده البيت ، وبعده :

ولو أنهم ركبوا الكواكبَ لم يكن لمجدِّهم من جد بأسكَ مَهْرَبُ (٣)

وهى طويلة .

ومعنى البيت : أن الدماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم .

وقد أخذ هذا المعنى السرى الرفاء فقال من قصيدة فى سيف الدولة [من البسيط] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٦٢ مصر)

(٢) فى الديوان « من خلل الستور » وفيه « برقان خال ماينال »

(٣) فى الديوان « من أخذ بأسك »

لما تراءى لك الجمعُ الذى نزَحَتْ أقطارُه ونأت بُعْداً جوانبُهُ
تركتَهمْ بين مصبوغ ترائبُهُ من الدماء ومخضوب ذوائبُهُ
فحائدٌ وشهابُ الرمح لاحِقُه وهاربٌ وذبابُ السيف طالبُهُ
يَهْوِى إليه بمثل النجم طاعِنُهُ ويَنْتَحيه بمثلِ البَرْقِ ضاربُهُ
يكسوه من دَمِهِ ثوباً ويسلبُهُ ثيابَهُ فهوَ كاسِيهِ وسالبُهُ

وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب [من الطويل] :

وفَرَّقْتُ بين ابْنَىْ هشيم بطعنةٍ لها عاند يكسو السليب إزارا(١)

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الكامل (٢) أيضاً ، يمدح بها شجاع بن محمد الطائى ، أولها :

اليومَ عهدكمُ فأينَ الموْعِدُ هيهاتَ ليسَ ليَوْمِ موْعِدِكم غَدُ
الموتُ أقربُ مِخْلَباً من بيْنكم والعيشُ أبعَدُ منكم لا تَبْعَدُوا
إن التى سفكت دمى بجفونها لم تَدْرِ أن دمى الذى تَتَقَلَّدُ
قالت وقد رأت اصفرارى مَنْ به وتنهَّدَتْ فأجبتُها المتنهِّدُ
فمضت وقد صَبَغَ الحياء بياضَهَا لونى كما صبغ اللجينَ العَسْجَدُ
فرأيْتُ قرنَ الشمس فى قمر الدجى متأوداً غصنٌ بهِ يتأوَّدُ
عدويةٌ بدويةٌ منْ دونها سلبُ النفوس ونارُ حربٍ توقدُ
وهواجلٌ وصواهلٌ ومناصلٌ وذوابل وتوعدٌ وتهددٌ
أبلتْ مودَّتَها اللَّيالِى بعدَنا ومشَى عَليها الدهرُ وهو مقيدُ

---

(١) فى الأصل « لها عائد » محرفا عما أثبتناه ، والعاند ـ بالنون ـ العرق الذى يسيل دمه فلا يرقأ ، وهو أيضا الطعن يكون يمنة ويسرة

(٢) اقرأها فى الديوان (١ — ٣٢٧)

أبرحتَ يامرضَ الجفونِ بممرضٍ   مَرِضَ الطبيبُ له وعِيدَ العُوَّدُ (١)

وهى طويلة ، يقول فى مديحها :

كنْ حيثُ شئتَ تسرْ إليكَ ركابُنا   فالأرضُ واحدةٌ وأنتَ الأوحدُ

وَصُنِ الحسامَ ولا تذلهُ فإنهُ   يشكو يمينَكَ والجماجمُ تشهدُ

وبعده البيت وبعده :

رَيَّانُ لو قذفَ الذى أسقيتَه   لجرى من المهجاتِ بحرٌ مزبدُ

ما شاركتْهُ منيةٌ فى مهجةٍ   إلا وشفرتُه على يدها يدُ

والنجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف ، والغمد - بالكسر - جفن السيف .

والشاهد فى البيتين : نقل المعنى الآخر المأخوذ إلى محل آخر ، فمعنى بيت المتنبي أن الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف ، فنقل المعنى من القتلى والجرحى إليه .

* * *

شاهد مجيء معنى المأخوذ المحمل

٢٠١ - إذا غضِبَتْ عليكَ بنو تميمٍ   حسبْتَ الناسَ كلهمُ غضابًا

* * *

٢٠٢ - ولَيسَ للهِ بمُستنكرٍ   أنْ يجمعَ العالَمَ فى واحدِ

البيت الأول لجرير ، من قصيدة من الوافر تقدم ذكر أولها فى شواهد الاستخدام ، ومنها قبل البيت :

---

(١) فى الأصول : « أبرمت يا مرض الجفون » ، وقد أثبتنا ما فى الديوان .

لنا حوضُ الحجيج وساقياهُ ومَنْ وَرِثَ النبوَّةَ والكتابا
ألسنا أكثرَ الثقلين حيًّا ببطنِ مِنىً وأكثرَهُمْ قبابا

وبعده البيت ، وبعده :

فلاَ وأبيكَ مالاقيتُ حيًّا كيربوعٍ إذا رفعوا النقابا
فغُضَّ الطرْفَ إنكَ مِنْ نُميرٍ فلاَ كعباً بلغْتَ ولاَ كِلاَبا

والمعنى : أن بنى تميم يقومون مقام الناس كلهم .

والبيت الثانى لأبى نوَاس ، من أبيات من السريع ، كتبها للرشيد مادحاً الفضل بن الربيع ، وهى :

قولاَ لهَا رُونَ إمامِ الهدَى عندَ احتفالِ المجلسِ الحاشدِ
نصيحةُ الفضلِ وإشفاقهُ أخلى له وجهكَ مِنْ حاسِدِ
بصادقِ الطاعةِ ديانها وَوَاحِدِ الغائبِ والشاهدِ
أنتَ علىَ ما بكَ منْ قدرةٍ فلستَ مثلَ الفضلِ بالوَاجدِ
أوْحَدَهُ اللهُ فما مِثلهُ لطالبٍ ذَاكَ ولاَ نَاشِدِ

وبعده البيت .

حدَّث سعيد بن حميد : أن أبا تمام الطائىَّ دخل على ابن أبى دُؤادٍ ، فقال له : أحسبك عاتباً يا أبا تمام (١) ، فقال له : إنما نعتب على واحد وأنت

(١) فى الأصول «أحسبك غائبا ياأبا تمام» وفيها «إنما نغيب على واحد» وفيها «فكيف نغيب عنك» وكل هذا تحريف ما أثبتناه موافقا لعدة مراجع من أمهات الكتب منها تاريخ ابن خلكان (١ – ٦٨ بتحقيقنا فى أثناء ترجمة أحمد بن أبى دؤاد) قال «ودخل أبو تمام عليه يوما وقد طالت أيامه فى الوقوف ببابه ولا يصل إليه ، فعتب عليه مع بعض أصحابه فقال له ابن أبى دؤاد : =

ناس جميعاً ؟ فكيف نعتب عليكَ ؟ فقال له ابن أبى دُؤادَ : من أين أخذت
ذه اللفظة ؟ فقال : من قول الحاذق أبى نواس ، وأنشد البيت .

والشاهد فى البيتين : مجىء معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه ، فإن
ت جرير يخص بعض العالم ، وبيت أبى نواس يشمله .

وقد جاء فى معنى البيتين قول المتنبي [من الكامل] :

نُسِقُوا لنا نسَقَ الحسابِ مُقدَّما وأتى فذلك إذ أتيتَ مؤخرا

وقوله أيضاً [من الطويل] :

مَضىَ وَبَنُوهُ وانفرَدْتَ بفعلهِ وألفٌ إذا ما جُمِّعَتْ واحدٌ فرْدُ

وقوله [من المنسرح] :

هدية ما رَأيتُ مُهدِيهَا إلا رَأيْتُ العباد فى رَجلِ

وقول الوزير المغربى [من البسيط] :

حتى إذا ما أرَادَ الله يُسعدُنى رَأيتهُ فرأيْتُ الناسَ فى رَجلِ

وقول أبى الفرج الببغاء يميل إلى المبالغة [من الخفيف] :

وإذا ماحلَلْتَ فى بلدَةٍ فهْـــو جميع الدنيا وأنت الأنامُ

وقول ابن قلاقس من قصيدة [من المتقارب] :

دَعوْتُكَ فاحضُرْ فلَيسَ الجميع إذَا غِبْتَ ـ لا غبْتَ ـ كالحضَّرِ
وقدْ جمعَ اللهُ فيكَ الأنام وَليسَ عَليهِ بِمُستنكرِ

وقوله أيضا [من البسيط] :

= أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا
كيف نعتب عليك ـ إلخ»

عَلىَ الشهادَةِ بالفضل المبين لهُ كلُّ المذاهبِ وَالآراء وَالمللِ
مدَحتهُ فمَدَحتُ الناسَ قاطبةً لأنني منهُ ألقى الناسَ فى رجُلِ

وقد ضمن القيراطىُّ بيت أبى نواس فقال يهجو [من السريع] :

تجَمعتْ مِنْ نُطَفٍ ذاتهُ حتى بَدَا فى قالب فاسِدِ
ليسَ علىَ الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحدِ

ومثله ما أجاب به قابوسَ صاحبَ جُرْجان ، الصاحبُ بن عباد حين هجاه بقوله [من المنسرح] :

قدْ قَبَسَ القابساتِ قابُوسُ ونجمهُ فى السماء منحوسُ
وكيفَ يُرْجى الفلاحُ من رَجُلٍ يكونُ فى آخرِ اسمهِ بُوسُ

وجواب قابوس [من السريع] :

مَنْ رَامَ أنْ يهجُو أبَا القاسمِ فقـدْ هجَا كلَّ بـنى آدمِ
لأنهُ صوِّرَ مِنْ مُضغةٍ تجمَّعَتْ منْ نُطفِ العالمِ

ومثله لأبى أحمد العروضى [من الكامل] :

لو كانَ يُورَثُ بالتشابهِ ميتٌ للـكتِ بالأعضاء مالاً يملكُ
بغـل مخـائلهُ تخـبِّرُ أنهُ فى الناس من نطفِ الجميع مُشبَكُ

ومنه قول ابن المسجف [من السريع] :

ابن العلائىِّ لهُ فقحةٌ شيعيةٌ تصبُو إلى القائم
أبخلُ من كلبٍ ولـكنهُ بسُرْمهِ أجوَدُ من حاتمِ
كفاهُ هَجْواً أنهُ واحدٌ صُوِّرَ منْ كل بنى آدَمِ

ولقد أجاد أبو نعيم البزار الشاعر الواسطى بقوله [من الطويل] :

أقد كمل الرحمن شخصك فى الورى فلاشان شيئاً من كمالك بالنقص
ومن جمع الآفاق فى العين قادر على جمع أشتات الفضائل فى شخص

فانه زاد على أبى نواس بالمبالغة والتمثيل ، لأن الانسان إذا فتح عينه رأى نصف العالم .

وكان الوزير مؤيد الدين بن العلقمى ـ أذاقه الله العلقم ، من زقوم جهنم ! ـ قد طالع المستعصم فى شخص من أمراء الجبل ، يعرف بابن شرف شاه ، وقال فى آخر كلامه « وهو المدبر » فوقع المستعصم له [من السريع] :

ولا تساعد أبداً مدبراً وكن مع الله على المدبر

فكتب ابن العلقمى أبياتاً فى الجواب ، منها [من السريع] :

يا مالكا أرجو بحبى له نيل المنى والفوز فى المحشر
أرشدتنى لازلت لى مرشداً وهادياً من نورك الأنور
أبنت فى بيت هدى قلته عن شرف فى بيتك الأطهر
فضلك فضل ماله منكر ليس لضوء الشمس من منكر
أن يجمع العالم فى واحد فليس لله بمستنكر

فقلب بيت أبى نواس ، فجعل عجزه صدراً .

والعلقمى هذا كان وزير المستعصم ، وكان هو الركن الأكبر فى مجىء التتار إلى بغداد ، وخراب ذلك الإقليم ، وهدم ذلك الجناب العظيم ، فعليه من الله ما يستحقه ! .

***

شاهد مجيء المأخوذ نقيض المأخوذ منه

٢٠٣ — أجدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً ... حُبًّا لِذِكرِكِ فَليَلُمْنى اللُّوَّمُ

* * *

٢٠٤ — أأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فيهِ ملامةً ... إنَّ الملامةَ فيهِ مِنْ أعدائِهِ

البيت الأول لأبى الشِّيص، من أبيات من الكامل، وقبل البيت :

وَقَفَ الهوَى بى حيثُ أنتَ فليسَ لى ... مُتأخَّرٌ عَنهُ وَلاَ مُتقدَّمُ

و بعده البيت، و بعده :

أشبهتَ أعدائى فصرتُ أحبهمْ ... إذ كانَ حظى مِنكَ حظى منهمُ

وَأهنتنى وأهنتُ نفسى عامداً ... ما مَنْ يهونُ عليكَ مِمَّنْ يُكرمُ

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى، من قصيدة من الكامل يمدح بها سيف الدولة، أولها :

القلبُ أعلمُ يا عذُولُ بدائهِ ... وَأحقُّ مِنكَ بجفنهِ وبمائهِ

فَوَمَنْ أحبُّ لأعصِيَنَّكَ فى الهوَى ... قسماً بهِ وَبِحُسْنهِ وَبَهائهِ

وبعده البيت، و بعده :

عجبَ الوُشاةُ منَ اللحاةِ وقولهمْ ... دَعْ ما نراكَ ضعُفْتَ عَنْ إخفائهِ

ما الخِلُّ إلا مَنْ يودُّ بقلبهِ ... وَيَرَى بطرفٍ لا يرَى بسوائِهِ

إنَّ المعينَ علَى الصبابةِ بالأسى ... أولَى برحمةِ رَبِّها وَإخائِهِ

مَهلاً فانَّ العذلَ منْ أسقامِهِ ... وترفقاً فالسمعُ مِنْ أعضائِهِ

وَهَبِ الملامةَ فى اللذاذةِ كالكرَى ... مطرُودَةً بسُهادهِ وَبُكائهِ

لاَ تعذلِ المشتاقَ فِى أشواقِهِ ... حَتى يكونَ حَشاكَ فِى أحشائِهِ

إنَّ القتيلَ مُضَرَّجاً بدُمُوعهِ ... مِثلُ القتيلِ مُضَرَّجاً بِدِمائِهِ

والعشق كالمعشوق يعذب قربه للمبتلى وينال من حوبائه
لو قلت للدنف الحزين فديته مما به لأغرته بفدائه

وقد أخذ المتنبى قوله * لا تعذل المشتاق فى أشواقه * البيت من قول البحترى [من الطويل] :

إذا شئت أن لا تعذل الدهر عاشقاً على كمدٍ من لوعة البين فاعشق

والشاهد فى البيتين : كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه ، فبيت أبى الطيب نقيض بيت أبى الشيص ، والأحسن فى هذا النوع أن يبين السبب كما فى هذين البيتين إلا أن يكون ظاهرا كما فى قول أبى تمام [من الوافر] :

ونغمة معتفٍ جدواه أحلى على أذنيه من نغم السماع

وقول المتنبى [من الخفيف] :

والجراحات عنده نغمات سبقت قبل سيبه بسؤال

أراد أبو تمام أن صوت السائل لعطاء ممدوحه أحلى وألذ على سمعه من نغمات السماع وألحان الغناء ، وأراد أبو الطيب أن عادة ممدوحه الاعطاء بغير سؤال ، فلن سبقت نغمة من سائلى عطائه أثر ذلك فيه تأثير الجرح فى المجروح

وفى معنى بيت أبى تمام قول البحترى [من الكامل] :

نشوان يطرب للسؤال كأنما غناه مالك طيء أو معبد

وكذلك قول المتنبى [من البسيط] :

كأن كل سؤالٍ فى مسامعه قميص يوسف فى أجفان يعقوب

وفى معناه قول أبى العلاء المعرى [من الطويل] :

فما ناح قمرى ولا هب عاصف من الريح إلا خاله صوت سائلِ

وقد أخذ بعض المغاربة بيت أبى الشيص فقال [من الكامل] :

هددت بالسلطان فيك وإنما أخشى صدودك لا من السلطانِ

أجدُ اللذاذة في الملام ، فلو درَى أخذَ الرُّشا منّي الذي يَلْحَاني

وأصل هذا المعنى لأبي نُوَاس فانه قال [من الوافر] :

إذا غادَيْتَني بِصَبُوحِ عَذْلٍ فَمَزُوجاً بِتَسْمِيَةِ الحبيبِ

فإني لا أَعُدّ اللومَ فيهِ عليكَ إذا فَعَلْتَ من الذنوبِ

وفي معناه قول الآخر [من مجزوء الكامل] :

من ذَمَّ عاذلَهُ فإني شاكرٌ للعُذَّل

سَمْعي لهم كالقَلْبِ مِنْ ذِكْرِ الأحبةِ ممتلي

ما ضَرّني إغراؤهم بالعَذْلِ إذ لم أقبلِ

تَعَبُ الملامِ عليهمُ وحلاوة التذكار لي

ومنه قول ابن الرومي أيضاً [من الوافر] :

تلذُّ ليَ الملامة في هَوَاه كَرُآه وأسْتَحْلِي أذَاها

ترجمة أبي الشيص

وأبو الشِّيص[1] اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم ، وهو عم دعبل الخُزَاعيّ ، وأبو الشيص : لقب غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر ، وكان من شعراء عصره ، متوسط المحل فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمي وأبي نواس ، فخمل ، وانقطع إلى أمير الرقة عُقْبَة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي فمدحه بأكثر شعره ، وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره ، فقلّ ما يُرْوَى له في غيره شعر .

وحكى عبدالله بن المعتز أن أبا خالد العامري قال له : مَنْ أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه ، والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء

(١) تجد ترجمة أبي الشيص في الأغاني (١٥ ـ ١٠٨ بولاق) وعنها صدر المؤلف

على العطشان ، وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك ، وكان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه .

ومن شعره فى مدح أمير الرقة قوله [من الكامل] :

لا تُنكرِى صَدِّى ولا إعْرَاضى ليس المقِلُّ عن الزمان براضِ
شيئان لا تَصبُو النساء إليهما حَلْىُ المَشيب وحُلّة الانفاض
حَسَرَ المشيب قناعَهُ عن رأسِهِ فرمَيْنَهُ بالصَّدِّ والاعراض
ولرُبما جعلَتْ محاسنَ وجهه لجفونِها غرَضاً من الأغراض

يروى عن أبى الشيص أنه قال : لما أنشدت هذه القصيدة لعقْبة بن جعفر أمر بأن تُعَدّ ، وأعطانى لكل بيت ألف درهم

وحدث أحمد بن عبيد قال : اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبِلٌ فى مجلس ، فقالوا : لينشد كل واحد منكم أجود ماقاله من الشعر ، فاندفع رجل منهم فقال : اسمعوا منى أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، فقال لمسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت [من الطويل] :

إذا ما علَتْ منّا ذُؤابَةَ واحدٍ وإن كان ذا حلم دَعَتْهُ إلى الجَهْلِ
هَلِ العيشُ إلا أن تَرُوحَ مع الصبي وتَغْدُو صريع الكأس والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لقبه الرشيد صريع الغوانى ، فقال له مسلم : صدقت ، ثم أقبل على أبى نواس وقال له : وكأنى بك يا أبا على قد أنشدت [من البسيط] :

لا تبْكِ ليلى ولا تَطْرب إلى هندِ واشْرَبْ على الوَرْدِ من حَمْراء كالوَرْدِ
تَسقيك من عَيْنها خَمرا ومن يَدِها خَمْراً فما لك عن سُكْرَيْن من بُدِّ

فقال له : صدقت ، ثم أقبل على دِعبل فقال له : يا أبا على ، وكأنى بك تنشد قولك [من الكامل] :

* أين الشباب وأيةً سلكا *

الأبيات المارة فى إبهام التضاد ، فقال له : صدقت ، ثم أقبل على أبى الشيص

فقال له : وأما أنت ياأباجعفر فكأنى بك وقد أنشدت قولك [من الكامل] :

* لا تُنكِرِى صَدّى ولا إعْرَاضى *

الأبيات السابقة قريبا ، فقال له : لا ، ما هذا أردت أن أنشد ، ولا هذا بأجود شىء قلته ، قالوا : فأنشِدْنَا ما بدالك ، فأنشدهم الأبيات الميمية السابقة ، فقال أبو نواس : أحسنت والله وجوّدت ، وحياتِكَ لأسرقَنَّ هـذا المعنى منك ، ثم لأغلبنك عليه ، فيشهر ما أقول و يموت ماقلت ، قال : فسرق أبونواس قوله * وقف الهوى بى ... البيت * سرقا خفيا فقال فى الخصيب [من الطويل] :

فَمَا جازَهُ جودٌ ولا حلّ دُونَهُ ولـكن يَسيرُ الجود حيث يَسيرُ[1]

فسار بيت أبى نواس وسقط بيت أبى الشيص

وحدّث رُزَين بن على الخزاعى أخو دعبل ، قال : كنا يوما عند أبى نواس أنا ودعبل وأبو الشَّيص ومسلم بن الوليد الأنصارى ، فقال أبو نواس لأبى الشيص: أنشدنى قصيدتك المخزية ، قال : وماهى ؟ قال : الضادية ، فما خطر بخَلَدى قولك * ليس المقل عن الزمان براض * إلا أخزيتك استحسانًا لها ، فإن الأعشى كان إذا قال قصيدة عرضها على ابنته ، وكان قد ثقَّفَهَا وعلمها مابلغت به استحقاقَ التحكيم والاختيار لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عدى المخزيات ، فتعد قوله [من البسيط]

أغر أرْوَعُ يُسْتَسقَى الغمام بهِ لَوْ قارَعَ الناس عن أحسابهم قَرَعا

وما أشبه ذلك من شعره ، فقال أبو الشيص : لا أفعل ، إنها ليست عنـدى عقد در مفصل ، ولـكنى أكاثر بغيرها ، ثم أنشده الأبيات الميمية المذكورة أيضاً فقال له أبو نواس : قد أردت صرفك عنها ، فأبيت أن تخلى عن سلبك ، أوتدرك

---

(١) وقع عجز هذا البيت فى بعض الأمهات ومنها تاريخ ابن خلكان فى ترجمة أحمد بن محمد القسطلى الشاعر

* ولـكن يصير الجود حيث يصير *

فى هربك ، قال : بل اترك طلبى[١] فكيف ترى أنت هذا الطراز ؟ فقال : أرى نمطاً خسروانيا مذهبا حسناً فكيف تركت قولك [من الخفيف] :

فى رداء من الصَّفيح صقيل وقميصٍ من الحديدِ مُذَال

قال : تركته كما ترك مختار الدرّتين إحداهما بما سبق فى خاطره و زين فى ناظره

قال ابن فضل الله : رأيت بخط الفاضل كمال الدين أبى العباس أحمد بن العطار الشيبانى الكاتب رحمه الله تعالى ما صورته : ذكر أن أبا الشيص كان لو قيل له : ابنُ مَنْ أنتَ ؟ لقال * وقف الهوى بى ... البيت * ولو قيل لشهاب الدّين التلعفرى ابن من أنت ؟ لقال * هذا العذول عليكم مالى وله * ثم قال : وهذه القصيدة مشهورة سيارة دائرة محفوظة على ألسنة العالم ، وعارَضَهَا جماعة من معاصريه فلم يتفق لهم ما اتفق له فيها . انتهى .

أقول : ولا بأس بذكر طرف منها ليعلم صدق مقاله ، قال [من الكامل] :

هذا العذول عليكم مالى وَلَهْ أنا قد رضيتُ بذا الغرام وذا الوَلَهْ

إلى أن يقول فيها :

أألومكم فى هجركم وصُدُودكم ما هذهِ فى الهجر منكم أوّلَهْ
قسما بكم قد صرتُ مما أشتكى حيَّ الدُّجى وعَدِمتُهُ ما أطوَلَهْ
يا سائلى عن شرح حالى فى الهوَى تركى الجوَابَ جوابُ هذى المسألهْ
يا راحلين وفى أكلة عِيسهمْ رَشأٌ عليه حشَا المحبِّ مُقَلْقَلَهْ
أسَرَتْ له العشّاقَ نظرةُ وجنةٍ بسوى اللواحظِ لا تبيت مقَبَّلَهْ
لو لم يُصِبْ صُدْغيه عارض خدهِ ما أصبحَتْ فى سالِفَيْه مُسلسلهْ

وقد استعمل هذا المعنى أيضا فقال [من الكامل] :

هَبْ أن خدك قَدْ أصيب بعارض ما بال صدغك راح وهُو مسَلسَلُ

---

(١) كذا ، و فى الأغانى « بل أقول فى طلبى »

رجع إلى أخبار أبى الشيص

وحدث موسى بن معروف الأصفهانى قال : دخل أبو الشيص على أبى دلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج ، فقال له : يا أبا الشيص ، سل هـذا الخادم أن يحل أزرار قميصه ، فقال : الأمير أعزه الله أحق بمسألته ، قال: قدسألته فزعم أنه يخاف العين على صدره ، فقل فيه شيئاً ، فقال [من السريع] :

وشادنٍ كالبَدْرِ يجلو الدُّجى   فى الفَرْقِ منه المسكُ مذرُورُ
يحاذرُ العينَ على صَدْرِهِ   فالجيْبُ منهُ الدَّهْرَ مَزْرُورُ

فقال أبو دلف : وحياتى لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الخادم : قد أحسن والله كما قلت ، ولكنك أنت ما أحسنت ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى .

وحدث علىّ بن سعيد الشيبانى ، قال : تعشق أبو الشيص قَيْنَةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها و ينفق عليها فى منزل الرجل ، حتى أتلفَ مالا كثيراً ، فلما كف بصره وأخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه ومنعه من الدخول ، فجاءنى أبو الشيص وشكا إلىّ وجْدَهُ بالجارية واستخفاف مولاها به ، وسألنى المضى معه إليه ، فمضيت معه إليه ، فاستؤذن لنا عليه ، فأذن لنا ، فدخلت أنا وأبو الشيص ، فعاتبته فى أمره ، وعظَّمت عليه حقَّه ، وخوَّفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه : فكان يأكل فى بيته ، ويحمل معه نبيذه ونَقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها ، فلما وقفنا على بابهم سمعنا صُرَاخاً شديداً من الدار ، فقال لى: مالها تصرخ ؟أتراه قد مات لعنه الله؟! فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا ، وَإذا هو قد حسَرَ كميه و بيده سوط ، وقال لنا ادخلا ، فدخلنا ، وَإنما حمله على الاذن لنا الفرَق منى ، فدخلنا ، وعاد الرجل إلى داخل يضربها ، فاستمعنا عليه ، واطلعنا ، فاذا هى مشدودة على سُلَّم ، وهو يضربها أشد الضرب ، وهى تصرخ ، وهو يقول لها : وأنت أيضا فاسرقى الخبز

فاندفع أبو الشيص فى المكان على الحال يقول فى ذلك [من السريع] :

يقولُ والسوطُ على كفهِ قدْ حزَّ فى جلدتها حزَّا
وهْىَ على السلّمِ مشدُودةً وأنتِ أيضاً فاسرقى الخبزا

قال : وجعل أبو الشيص يرددهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له : أنشدنى البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنه لابد من إنشادهما ، فأنشده إياهما ، فقال لى : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحب ، فان أشاع هذه البيتين فضحنى ، فقل له يقطع هذا ولا يشيعهما ، وله علىَّ يومان فى الجمعة ، ففعلت ذلك ، ووافقته عليه ، فلم يزل يتردد إليه يومين فى الجمعة حتى مات.

وحدَّث على بن محمد النوفلى عن عمه ، قال : كان أبو الشيص صديقا لمحمد ابن إسحاق بن سليمان الهاشمى ، وهما حينئذ مملقان ، فنالَ محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، فجفا أبا الشيص وتغير له ، فكتب إليه [من البسيط] :

الحمدُ للهِ رب العالمين على قُرْبى وَبُعدِكَ منى يا ابن إسحاقِ [1]
ياليتَ شِعْرِى متى تَجْدِى علىَّ وقدْ أصبحْتَ ربَّ دنانير وأوراقِ
تَجْدِى علىَّ إذَا ماَ قِيلَ مَنْ رَاقِ
والتفَّتِ السَّاقُ عندَ الموتِ بالساقِ [2]

---

(١) فى الأغانى «قربى وبعدك منه يابن إسحاق» وهو المناسب ، والضمير فى «منه» عائد إلى الله تعالى

(٢) يريد تجدى على يوم تكون روحى فى النزع ، وقد أخذ هذا من قوله تعالى (كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) من سورة القيامة

يومٌ لعمرى تهمُّ الناسَ أنفسُهُم ... وليس تنفعُ فيه رُقيةُ الراقى

وحدَّث أحمد بن عبد الرحمن الكاتب عن أبيه قال : كانت لأبى الشيص جارية سوداء اسمها تبر، وكان يتعشقها ، وفيها يقول [من المنسرح] :

لم تنصفى يا سمية الذهب ... تتلف نفسى وأنتِ فى لعب

يا ابنةَ عمِّ المسك الزكى ومَنْ ... لولاك لم يُتَّخذ ولم يطبِ

ناسبك المسك فى السواد وفى الريح فأكرِمْ بذاكِ من نسب

ومن لطيف شعره قوله [من الوافر] :

وقائلةٍ وقد بَصرتْ بدمعٍ ... على الخدَّين مُنحدرٍ سكوبِ

أتكذبُ فى البكاء وأنتَ خِلْوٌ ... قديماً ماجسرتَ على الذنوبِ

قميصكَ والدمُوعُ تجول فيه ... وَقلبكَ ليسَ بالقلب الكئيبِ

نظيرُ قميص يوسف حين جاءوا ... على أبابه بدم كذوبِ

فقلتُ لها فداكِ أبى وأمى ... رَجمْتِ بسوء ظنك فى الغيوبِ

أمَا وَاللهِ لوْ فتشتِ قلبى ... لسرَّكِ بالعويلِ وبالنحيبِ

دُمُوعُ العاشقينَ إذَا تلاَقَوْا ... بظهْرِ الغيبِ ألسنةُ القلوبِ

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره . وله مراث فى عيَنيه قبل ذهابهما و بعده فحدث محمد بن القاسم بن مهرويه . قال : أنشدت إبراهيم بن المدبر أبيات أبى يعقوب الخريمى التى يرثى بها عينيه يقول فيها [من الوافر] :

إذا ما ماتَ بعضك فابْكِ بعضاً ... فان البعضَ من بعضٍ قريبُ

فأنشدَنى لأبى الشيص يبكى عينيه [من المنسرح] :

يا نفس ابكى بأدمع هُتُنِ ... ووا كفٍ كالجمان فى سَنَنِ

على دَليلى وقائدِى ويدِى ... ونُورِ وجهى وسائس البدنِ

أبكي عليها بها مخافة أن تقرنني والظلام في قرن

وقال أبو هفان: حدثني دعبل، أن امرأة لقيت أبا الشيص، فقالت: يا أبا الشيص، عميت بعدي، فقال: قبحك الله! دعوتني باللقب، وعيرتني بالضرر.

وحدث أبو العباس بن الفرات، قال: كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيلة، وخلفه غلام له شيخ على بغل له هرم، وما فيهم إلا نضو، فأقبل عليّ عبيد الله بن سليمان، فقال: كأنهم والله صفة أبي الشيص حيث يقول [من الكامل]:

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضاً على أنقاض

وكانت وفاة أبي الشيص سنة ست وتسعين ومائة، مقتولا. حدث عبدالله ابن الأعمش، قال: كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي يشرب مع خادم له. فلما ثمل نام عنده، ثم انتبه في بعض الليل، فذهب يدب إلى خادم لعقبة، فوجأه بسكين، فقال له: ويحك قتلتني والله، وما أحب أن أفتضح، وأني قتلت في مثل هذا، ولا تفتضح أنت بي، ولكن خذ دستيجة فاكسرها ولونها بدمي واجعل زجاجها في الجرح، فاذا سئلت عني فقل: إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت فقتلتني. ومات من ساعته، ففعل الخادم ما أمره به.

ودفن أبو الشيص، وجزع عقبة عليه جزعا شديداً، فلما كان بعد أيام سكر الخادم وتحدث بما كان. فصدق عقبة الخبر، وأنه هو الذي قتله، فلم يلبث عقبة أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضربه حتى قتله.

***

أخذ المعنى وإضافة ما يحسنه إليه

٢٠٥ — وتَرَى الطيرَ على آثارنا رأىَ عينٍ ثقةً أن ستمارْ

* * *

٢٠٦ — وقدْ ظُلِّلَتْ عقبانُ أعلامِهِ ضحى بعقبانِ طيرٍ فى الدماءِ نَواهِلِ
أقامتْ معَ الراياتِ حتى كأنها منَ الجيشِ إلا أنها لم تُقاتِلِ

البيت الأول للأفوه الأودىّ ، من قصيدة من الرمل أولها :

إن تَرَىْ رأسِىَ فيه نزَعٌ وشَوَانِى خلة فيها دوار

يقول فيها :

إنما نعمةُ قوم متعةٌ وحياة المرء ثوبٌ مُستعَار
حكم الدَّهر علينا أنهُ ظَلَفٌ ما نالَ مِنَّا وجُبَار (١)

ظلف : باطل ، وجبار : هَدَر.

وهذه القصيدة من جيد شعر العرب ، وهى التى نهى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن إنشادها لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام ، وإياه عنى بقوله فيها :

رَيَّشَتْ جُرْهمُ نبلاً فَرَمَى جُرْهُمًا منهنّ فُوقٌ وغرار

والبيتان الأخيران لأبى تمام من قصيدة من الطويل ، يمدح بها المعتصم والافشين ، وأولها :

غدَا الملكُ معْمُورَ الحرا والمنازل منَوَّرَ وحْفِ الروض عذبَ المناهِلِ (٢)
بمعتصم بالله أصبـــح مَلْجأً ومُعْتَصما حرزاً لـكلّ مُؤائِلِ
لقد ألبسَ الله الامام فضائلا وَفَى طرَفَيْهَا باللُّهى والفوَاضل (٣)
فأضحتْ عطاياه نَوازعَ شُرَّدًا تُسائل فى الآفاق عَنْ كل سائل (٤)

---

(١) فى اللسان (ظ ل ف) « حكم الدهر »

(٢) وقع فى الأصول « معمور الحوا » وأثبتنا ما فى الديوان (٢٤٧) والحرا الناحية ، والوحف : الريان ، والمناهل : جمع منهل ، وهو الحوض

(٣) فى الديوان « وتابع فيها باللهى »

(٤) فى الديوان « نوازع شزبا »

مواهبُ جَزْنَ الأرضَ حتى كأنما أخذنَ بأهْدَابِ السَّحَابِ الهَوَاطِلِ [١]

ومنها فى مديح الافشين :

شهدت أميرَ المؤمنين شهادةً كثيرٌ ذَوُو تصديقها فى المحافل

لقد لَبِسَ الافشينُ قَسْطَلَةَ الوغَى مِخَشًّا بنصلِ السيف غيرَ مُوَاكلِ [٢]

وجَرَّد من آرائه حين أضْرِمَتْ به الحرب حَدًّا من حدود المَنَاصِلِ

وثارَتْ به بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنا والقنابِلِ [٣]

رأى بابكٌ منه التى لا شَوَى لها سِوَى سِلْمِ ضَيْمٍ أوصفيحة قاتلِ [٤]

تراه إلى الهيجاء أول راكبٍ وتحت صبير الموْت أولَ نازلِ [٥]

تَسَرْبَلَ سربالا من الصبر وارتدى عليه بعضب فى الكريهة فاصِلِ

وبعده البيتان

والنواهل : جمع ناهلة ، من نَهل إذا روى ، والرايات : الأعلام.

ومعنى البيت الأول إنك ترى الطير كائنة على آثارنا ، لوثوقها واعتمادها أن سنطعمها من لحوم مَنْ نقتلهم من أعدائنا .

ومعنى البيتين الأخيرين أن رايات الممدوح التى هى كالعقبان قد صارت

---

(١) فى الديوان «مواهب جدن الأرض» وفيه «أخذن بأذناب السحاب»

(٢) قسطلة الوغى: غباره ، والصوت يكون فى الحرب . والمخش: الجرىء على العمل ، ونصل السيف: حده، والمواكل : التكلة الذى يكل أموره إلى غيره ليقضيها

(٣) فى الديوان «وسارت به» وكان فى الأصول «بين القبائل» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان

(٤) وقع في الأصول «التى لاشرالها» محرفا عما أثبتناه عن الديوان

(٥) فى الديوان «رأوه إلى الهيجاء»

مظللة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى ، لأنه إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى ، فتلقى ظلالها عليها ، والعقاب يطلق على الراية الضخمة ، قال الشاعر [من الرجز] :

وهْوَ إذا الحربُ هفا عُقَابُهُ مِنْ جمرِ حَرْبٍ تلتظى حِرَابُه

وقال الآخر [من البسيط] :

ورُبَّ ظلٍّ عُقاب قَدْ وقَيْتُ به مُهرى من الشمس والأبطالُ تجتلدُ

والشاهد فى الأبيات : أن يؤخذ بعضُ معنى المأخوذ منه و يضاف إليه ما يحسنه فإن أبا تمام لم يلم بشىء من معنى قول الأفوه « رأى عين » ولا قوله « ثقة أن ستمار » ولكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذى أخذه بقوله « إلا أنهـا لم تقاتل » و بقوله « فى الدماء نواهل » و بقوله « أقامت مع الرايات حتى كأنهـا من الجيش » وبهذه الزيادة يتم حسن قوله « إلا أنها لم تقاتل » لأنه لو قيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير إلا أنها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن ، لأن إقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش مظنة أنها أيضا تقاتل مثل الجيش ، فيحسن الاستدراك الذى هو رفع التوهم الناشىء من الكلام السابق ، بخلاف وقوع ظلها على الرايات ،

وما ذكر فى الأبيات من أن الطير تتبع جيشه لتغتذى مما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء ، وأولُ من نطق به الأفوهُ هذا ومنه قول النابغة فى القصيدة السابقة فى تأكيد المدح بما يشبه الذم [من الطويل] :

إذا ما غزَوْا بالجيش حلَّقَ فوقهم عَصَائبُ طيرى تهتَدِى بعَصَائب

يُصاحِبْنَهُمْ حتى يغِرْن مغَارَهُمْ من الضاريات بالدِّماء النوائب(١)

---

(١) هكذا وقع هذا البيت فى أصول الكتاب ، وهو متغير فى أكثر كلماته ، وأوضح رواية فى إنشاده :

يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم من الضاريات بالدماء الدوارب

تَراهنّ خلفَ القوم خزْراً عُيونها ... جلوسَ الشيوخ فى ثياب المرانب[(١)]

جوانح قَدْ أيقنَّ أنّ قبيلَهُ ... إذا ما التقى الجمعَان أولُ غالب

لهنّ عليهم عادة قد عرَفنهَا ... إذا عُرِّضَ الخطى فوقَ الكواثب[(٢)]

وقول أبى نواس [من المديد]:

وإذا مجّ القنا عَلقاً ... وتراءى الموتُ فى صُوَره

راحَ فى ثنْيى مُفاضتِهِ ... أسدٌ يَدمى شبَا ظُفره

تتأيّا الطيرُ غُدْوَتَهُ ... ثقةً بالشّبْعِ من جزَره

ولما سمع محمود الورّاق أبانواس ينشد هذه الأبيات قال: ماتركت للنابغة شيئاً حيث يقول * إذا ما غزوا * وأنشد الأبيات ، فقال له أبو نواس: اسكت فان كان أحسن الابتداع فما أسأت الاتباع

وتبع أبانواس مسلم فقال [من البسيط]:

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقن بها ... فهُنَّ يَتبعْنَهُ فى كل مُرتحَلِ

ومن هذا المعنى قول حُميد بن ثور الهلالى يصف ذئبا [من الطويل]:

إذا مَا غدَا يَوْماً رأيت غمامَةً ... من الطير يَنظرْنَ الذى هُوَ صانع[(٣)]

ومنه قول مروان بن أبى الجنوب يمدح المعتصم [من البسيط]:

لاتَشبعُ الطير إلا فى وقائعِهِ ... فأينما سارَ سارتْ خلفَهُ زُمرَا

عوّارفاً أنهُ فى كل مُعترَكٍ ... لايُغمِدُ السيفَ حتى يكثر الجزَرَا

---

(١) وقع فى الأصول «فى ثياب المراتب» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان . وثياب المرانب ـ بالنون قبل الباء ـ ثياب يقال لها المرنبانية كأنها متخذة من جلود الارانب

(٢) وقع فى الأصول * إذا عرض الخطى فوق الكتائب * وأثبتنا ما فى الديوان ، والكواثب: جمع كاثبة ، وهى أمام قربوس السرج

(٣) فى الموازنة للآمدى «إذا ما غزا» وهو تحريف صوابه ما هنا

وأخذه بكر بن النطاح فقال [من مجزوء الكامل]:

وترى السباع من الجوا رح فوق عسكرنا جوانح
ثقـة بأنا لا نزا ل نميرُ ساغبها الذبائح

وأخذه ابن جهور فقال [من البسيط]:

ترى جوارح طير الجو فوقهم بين الاسنة والرايات تختفق

وأخذه آخر فقال [من الطويل]:

ولست ترى الطير الحوائم وقعاً من الأرض إلا حيث كان مواقعا

ومنه قول الكميت بن معروف [من الوافر]:

وقد سترت أسنته المواضى حدىُّ الجو والرخم السغابُ

ومنه قول بعضهم [من البسيط]:

والطير إن سار سارت فوق موكبه عوارفاً أنه يسطو فيقريها

وقد أحسن المتنبى بقوله [من الطويل]:

له عسكرا خيل وطير إذا رمى بها عسكراً لم تبق إلا جماجمه

وله فى قريب منه [من البسيط]:

يُطمع الطيرَ فيهم طولُ أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقع

وقد أشار إلى هذا المعنى أبو فراس بقوله [من الطويل]:

وأظمأ حتى ترتوى البيضُ والقنا وأسغبُ حتى يشبع الذئب والنسرُ

ومنه قول ابن شهيد الأندلسى [من الطويل]:

وتدرى سباعُ الطير أن كماته إذا لقيت صيدَ الكماة سباعُ
تطير جياعاً فوقه وتردها ظباه إلى الأوكار وهى شباعُ

وقد يقع اتفاق الشاعرين فى اللفظ والمعنى جميعاً أو فى المعنى وحده، ويكون ذلك من قبيل توارد الخاطر، كما يحكى أن سليمان بن عبدالملك أتى بأسارى من الروم وكان الفرزدق حاضراً، فأمره سليمان أن يضرب عنق واحد منهم، فاستعفى

فما أغنى ، وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب ، فلم يستعمله ، وقال : إنما أضرب بسيف أبى رَغْوَان سيف مُجَاشع ، يعنى سيفه ، ثم ضرب به الرومى ، فنبا السيف ، فضحك سليمان ومَنْ حوله ، فقال الفرزدق [من البسيط] :

أيَعْجَبُ الناسُ أن أضحكتُ سيِّدَهُمْ خَلِيفَةَ الله يُسْتَسْقَى به المطرُ
لم يَنْبُ سَيْفى من رُعْبٍ ولا دَهَشٍ عَنِ الأسير ولكن أخَّرَ القَدَرُ
ولَنْ يُقَدِّمَ نفساً قبل مِيتَتِهَا جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْصَامَةُ الذَّكَرُ

ثم أغمد سيفه وهو يقول [من الرجز] :

ما إنْ يُعَابُ سيدٌ إذا صبَا ولا يُعَابُ صارمٌ إذا نَبَا

ثم جلس يقول : كأنى بابن المراغة - يعنى جريراً - وقد هجانى فقال : [من الطويل] :

بسَيْفِ أبى رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسَيْفِ ابنِ ظَالِمِ

وقام فانصرف ، وحضر جرير ، فأخبر الخبر ، ولم ينشد الشعر ، فأنشأ يقول البيت بحروفه ، وزاد

ضَرَبْتَ به عندَ الامام فأرْعِشَتْ يَدَاكَ وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارِمِ[1]

فأعجب سليمان ما شاهد ، ثم قال جرير : يا أمير المؤمنين كأنى بابن القَيْن - يعنى الفرزدق - قد أجابنى فقال [من الطويل] :

ولاَ نقتلُ الأسْرَى ولكن نفُكُّهُمْ إذَا أثْقَلَ الأعنَاقَ حملُ المَغَارِمِ

ثم حضر الفرزدق فأخبر بالهجو دون ما عداه ، فقال مجيباً :

كذَاكَ سُيُوفُ الهند تَنْبُو ظُبَاتُها وتقطَعُ أحياناً مَناطَ التَّمَائِمِ
ولا نقتلُ الأسرَى ولكن نفُكُّهُمْ إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ
وهَلْ ضربَةُ الرُّومىِّ جاعلةٌ لكم أباً من كليبٍ أو أخاً مثلَ دارمِ

(١) فى الأصول «وقالوا مهذب» وأثبتنا ما فى الديوان

ويضارع هذا ما يحكى أن المهدىّ أتى بأسرى من الروم، فأمر بقتلهم، وكان عنده شبيب[1] بن شبة، فقال له: اضرب عنق هذا العِلْج، فقال: يا أمير المؤمنين، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق، فعير به قومه إلى اليوم، فقال: إنما أردتُ تشريفك، وقد أعفينك، وكان أبو الهول الشاعر حاضراً، فأنشد [من الطويل]:

جَزِعتَ منَ الرُّومى وهو مقيَّدٌ ... فكيفَ إذا لاقيته وَهُوَ مطلقُ

دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لِقتلهِ ... فكادَ شَبِيبٌ عندَ ذلكَ يَفْرَقُ

فَنحِّ شبيباً عنْ قِرَاعِ كتيبةٍ ... وأدْنِ شبيباً منْ كلام يُلَفَّقُ

ومن نوادر الخواطر ما يحكى عن ابن مَيَّادة أنه أنشد يوما لنفسه، [من الطويل]:

مُفيدٌ ومِتْلاَفٌ إذا ما أتيته ... تَهَلَّلَ واهتز اهتزاز المهندِ

فقيل له: أين يذهب بك؟ هذا للحطيئة، فقال: الآن علمت أنى شاعر إذْ وافقته على قوله وَلم أسمعْه.

ومنه ما حكى الصفى الحلى أنه نظم بيتا من جملة أبيات، وهو [من الكامل]:

تَهْوَى مواضيكَ الرقابَ كأنَّما ... منْ قبلُ كان حديدها أغلالاَ

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتاً لا يعلم قائله، وهو [من البسيط]:

تهوى الرقابَ مواضيها فتحسبها ... تودُّ لوْ أصبحتْ أغلالَ من أسَرَا

فأسقط بيته الذى نظمه، ثم إنه نظمه بعد ذلك فى بديعيته، فقال: [من البَسيط]:

تهوى الرقابَ مواضيهم فتحسبها ... حديدَها كان أغلالاً من القِدَمِ

ولنذكر مَنْ أخذ المتأخرين بعضهم من بعضٍ ما يحلو فى الأذواق، وتتحلى

(١) كذا، ويقع فى بعض الأمهات «شبيب بن شيبه»

بها الأوراق.

فمن ذلك قول القاضى الفاضل فى مليح مُعذر [من الطويل] :

وكنتَ وكنّا والزمانُ مُساعدٌ فصرْتَ وصِرْنا وَهْوَ غير مُساعدِ

وَزَاحمنى فى وِرْد ريقكَ شاربٌ ونفسىَ تأبىَ شركها فى الموارِدِ

أخذَه العز الموصلى، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنتَ لى وحدى وَوَجهكَ رَوْضَتى

وكُنا وكانت للزمان موَاهبُ

فعارضنى فى ورد خدكَ عارضٌ وزَاحمنى فى ورد ثغركَ شاربُ

وقول ابن سناء الملك [من الطويل]:

وفى القَلب تَصديعٌ، وفى الوصل جبْرُهُ

وَفِى الخدّ دينارٌ وفى الجفنِ كسرُهُ

أخذه ابن نباتة فقال [من مجزوء الكامل] :

فى خـــده وجفُونه لِلحسن دينارٌ وكَسرُ

وقد تلاعبَ الشعراء بهذا المعنىَ إلى أن وصل للمعمار، فقال : [من مجزوء الرمل] :

كم حَوَى جفْنىَ معنىً قلتُ ألفاً وكسورا

وقول السراج الوَراق [من السريع] :

يا ساكناً قلبى على أنهُ بوجـــده فى قَلق دائبِ

قلبى من خوف النوى واجبٌ وأنتَ لم تخرج عن الواجبِ

أخذ ابنُ نباتة نكتة الواجب وسبكها فى قالب آخر، فقال فى رامى بندق [من السريع] :

أسعدْ بِهَا يا قمرى برزةً سعيدةَ الطالعِ والغاربِ
صرعتَ طيراً وسكنتَ الحشَى فما تعدَّيتَ عنِ الواجبِ

وقول أبى الحسين الجزار، وكتب به إلى بعض الرؤساء، يَستدعى قطراً [من الطويل]:

أيا عَلَم الدينِ الذى جُود كفِّهِ براحتِهِ قدْ أخجلَ الغيثَ والبحْرَا
لئن أمحلَتْ أرضُ الكُنافةِ إنَّنى لأرْجُولها من سُحْبِ راحتِكَ القَطْرَا

فتحلىَّ ابنُ نباتة بهذا القطر فقال [من مخلع البسيط]:

لجود قاضى القُضاةِ أشكُو عَجْزِى عَنِ الْحَلْوِ فى صِيامِى
والقَطْرُ أرجُو ولا عَجِيبٌ للقَطْرِ يُرْجى مِنَ الغَمَامِ

وقول محيى الدين بن عبد الظاهر [من مجزوء الكامل]:

شكرا لنَسْمَةِ أرضكم كم بلَّغت عنى تحيهْ
لاغَرْوَ أن حفِظَت أحا ديثَ الهوى فهى الذكيهْ

أخذه الصلاح الصفدى فقال [من الكامل]:

ياطيبَ نَشْرٍ هَبَّ لى من أرضكم فأثار كامِنَ لوعتى وتهتُّكى
أهدى تحيتكم وأشبَهَ لطفكم وروى شذا كم إنَّ ذا نشرٌ ذكى

وأشار إلى هذه السرقة ابن أبى حجلة فقال [من الكامل]:

إن ابن أيبكَ لم تزل سرقاتُهُ تأتى بكل قبيحةٍ وقبيحِ
نَسَبَ المعانى فى النسيمِ لنفسه جهلا فراح كلامُهُ فى الريحِ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً مقتبساً [من الكامل]:

بأبى فتاةٌ من كمال صِفاتِها وجمال بهجتها تحارُ الأعينُ
كم قد دفعتُ عواذلى عن وجهها لما تبدَّت بالتى هى أحسَنُ

أخذه ابن نباتة بقافيته ولكن زاده إيضاحاً فقال [من الكامل] :

ياعاذلى شمسُ النهار جميلةٌ وجمالُ فاتنتى ألذ وأزينُ

فانظر إلى حسنيهما متأملًا وادفع ملامَكَ بالتى هى أحسنُ

وألمّ به العز الموصلىّ فقال [من الخفيف]:

قد سَلَوْنا عن المليح بخَوْدٍ ذاتِ وَجهٍ به الجمالُ تفنَّنْ

ورَجعنا عن التهتك فيه ودَفعناه بالتى هى أحسَنْ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً وكتب به من منهل بطريق الحجاز يسمى عيون القصب [من الطويل] :

كتبتُ لكم من أعيُنِ القَصَبِ التى لها من معَانيكم ومن نفسها طَرَبْ

فإن أطرَبَ التشبيبُ فيها بذكركم فكم أطرب التشبيب من أعينِ القَصبِ(١)

أخذه المعمار فقال فى مشبب [من مجزوء الرجز] :

هويته مشبباً بعادُه برّحَ بى

تيَّمَ قلبى بالحجاز من عُيون القَصَبِ(١)

وقول شيخ شيوخ حَماة موريا بالورد المنسوب إلى نصيبين [من مخلع البسيط]

أفدِى حبيباً رُزقتُ منهُ عطفَ مُحب على حبيب

بوجنةٍ ما أنمّ ربحى وقد غدَا وردُها نصيبى

أخذه ابن نباتة فقال [من الطويل] :

فَديْتُكَ غصناً ليس يَبرَحُ مثمرا من الحسن فى الدنيا بكلّ غريب

تفتّح فى وَجناته الوردُ أحمرا فياليْتَ ذاكَ الوردَ كان نَصيبى

وقوله أيضاً فى أسماء متنزهات دمشق وهى السهم وسطرى [من السريع]:

قالوا أما فى جلّقٍ نُزْهَة تُنْسيكَ ماأنتَ به مُغرَى

(١) أراد من الحجاز ضربا من النغم معروفا بهذا الاسم ، وأراد من عيون القصب المزمار

يا عاذلى دُونَكَ من لحظه سَهْماً ومن عارضه سَطْرا

أخذه الجلال ابن خطيب داريا فقال وأبدل السهم بمقرى وهو من متنزهاتها أيضاً [من الطويل] :

سألتكما إن جئتما الشام بكْرَةً وعاينتما الشقراء والغوطَةَ الخضْرَا

قِفا واقرآ منى كتابا كتبتُهُ بدمعى لكم مقرى ولا تَنْسَيَا سطرا

وفى مثله للنور الأسعردى [من الطويل] :

وربِّ جلالى خمرةً مُزَّةً جلَتْ هومى وقد عاينْتُ فى خده سَطْرَا

ورَبْوَتُه الشقراء ناعمةٌ غدَتْ فيا حُسْنها من بَرْزَةٍ ليتها عَذْرَا

وقول مجير الدين بن تميم فى سَجَّادة [من الطويل] :

أيا حُسنها سجادة سندسية يرى للتقى والزهد فيها تَوَسُّمُ

إذا ما رآها الناسِكونَ ذوُو الحِجى أمامَهمُ صلَّوْا عليها وسَلَّموا

أخذه ابن نباتة فقال [من الخفيف] :

إن سَجَّادَتِى الحقيرَةَ قَدْراً لم يَفتها فى بابكَ التعظيمُ

شرفَتْ إذْ سعَتْ إليك فأمْستْ وعَليها الصلاةُ والتَّسليمُ

وتطفل عليها ابن الوردى فقال [من المقتضب] :

سَجَّادَتِى إذْ كَرَّتَنِى منك الذى كنت أعلم

أهدَيْتُها لمحبٍّ صلّى عليها وَسَلّم

وقوله أيضاً فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته [من السريع] :

كم قُلتُ لما فاضَ غيظاً وقَدْ أزيحَ عن مَنصبه المُعْجِب

لاتَعْجَبُوا أن فارَ من غَيْظِهِ فالقَلْبُ مَطبُوخ على المنصِب

ألم به الشرف النصيبى فقال [من الكامل] :

وَلَّوْكَ إذ علموا بجهلك منصباً علماً بأنك عن قليلٍ تبرَخُ
طبخوا بنارِ العزْلِ قلبكَ بعدَ ذا وكذا القلوب على المناصبِ تُطْبَخُ

وقوله أيضا [من الوافر] :

دعيتُ فكان أكلى فخذَ طيرٍ ولم أشرَب من الصهباء نقطهْ
وما يومى كأمسِ وذاكَ أنى أكلتُ أوزة وشَرِبتُ بطّهْ

أخذه الصلاح الصفدى بقافيته فقال [من المقتضب] :

شَوَى الأوز فأضحَتْ فى حُمْرَة الخد بَسطَهْ
فقلت تَشْوِى أوزا أم كنت تَشْرَب بطه

وقوله أيضا وتقدم فى حسن التعليل [من الطويل] :

حبيبي وَعَدْتَ الكأس منك بقبلةٍ وأعقَبَ ذاك الوعدَ منك نفارُ
وما كان هذا لونُها غير أنها علاها لطول الانتظار صفارُ

أخذه ابن الصاحب فقال [من مخلع البسيط] :

يا حابس الكأس لا تَزدها من بعد حَبْس الدنانِ حسْرَهْ
واغنم مزاجا لها لطيفا أورثه الانتظارُ صُفْرَهْ

وقول ابن العفيف [من مجزوء الرمل] :

كان ما كانَ وزَالا فاطّرِحْ قيلاً وقالا
أيها المعرِضُ عنى حسبُكَ الله تعَالى

أخذ المجد بن مكانس بعضه فقال [من مخلع البسيط] :

يا غُصناً فى الرياضِ مالا حَمَّلْتنى فى هواكَ مالا
يارائحاً بعد ما سبَانى حسبُكَ رَبُّ السما تعالى

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

إنى لأشكو فى الهوى ما راح يفعَلُ خدُّهُ
ما كان يدرى ما الجفَا لكن تفتّحَ وردُهُ

أخذه الصلاح الصفدى وزاده نكتة أخرى فقال [من الطويل]:

أقولُ له ما كان خدُّك هكذا ولا الصُّدْغ حتى سال فى الشَّفَق الدُّجى
فمِنْ أين هذا الحسنُ والظرف قال لى تَفَتَّح وردى والعذارُ تخرَّجا

وقول الوداعى من قصيدة [من الكامل] :

بخلتْ علىَّ بدُرِّ مَبْسمها فغَدتْ مطوَّقةً بما بخلتْ

أخذه ابن نباتة فقال [من الكامل]

بخلَتْ باللؤلؤ ثغرها عن لاثم فغدَتْ مطوقة بما بخلَتْ بِهِ

ومحاسن المتأخرين كثيرة ، والاقتصار على هذه النبذة أولى

والأَفوَه الأَوْدِى[1] اسمه صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف ابن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة ، وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك « فارس الشهباء » وفى ذلك يقول الأفوه [من الطويل]:

ترجمة الأفوه الأودى

أبى فارسُ الشهباء عمرو بن مالكٍ غَدَاةَ الوغى إذ مال بالجد عاثرُ

ولقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ، ظاهر الأسنان ، وقال الكلبى : وكان الأفوه من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم فى حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وتعد كلمته [من البسيط]

لنا معاشِرُ لم يَبْنُوا لقومهمُ وإن بنى قومُهمْ ما أفسَدُوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها ، وكان بينه وبين قوم من بنى عامر دماء ، فأدرك بثأره ، وزاد ، فأعطاهم ديات من قَتَلَ فضلا عن قتلى قومه ، فقبلوه وصالحوه فقال يفتخر عليهم [من الطويل] :

نقاتِلُ أقواما فنَسبى نساءُهمْ ولم يَرَ ذو عِزٍّ لنسوتِنا حِجْلاَ
نَقُودُ ونأبى أن نُقَادَ ولا نَرَى لقوم علينا فى مكارمهم فَضْلاَ

(١) للأفوه الأودي ترجمة فى شعراء النصرانية (٧٠) والشعراء لابن قتيبة (١١٠) والأغانى (١١ - ٤٤)

وإنا بطاء المشى عند نسائنا كما قُيِّدَتْ بالصيف نَجْدِيَّة بزلا
نَظَلّ غَيارى عند كلّ ستيرةٍ تقلب جيداً واضحاً وشَوَى عَبْلاَ
وإنا لَنُعْطى المالَ دون دمائنا ونأبى فما نستام دُونَ دمٍ عَقْلا

وقال أبو عمرو : أغار بنو أَوْدٍ وقد جمعها الأفوهُ على بنى عامر ، فمرض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله يزيد بن الحارث الأودى ، وأقام الأفوه الأودىّ حتى أفاق من وَجَعِهِ ، وخرج يزيد بن الحارث فلقى بنى عامر ، عليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فلما التقَوْا عرف بعضهم بعضاً ، فقالت لهم عامر : ساندونا فما أصابنا كان بيننا وبينكم ، فقالت أود وكانوا قد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتى نأخذ طائلتنا ، فقام أخو المقتول وهو رجل من كعب بن أود فقال : يا بنى أود والله لتأخُذُنّ بطائلتى أو لأنتحين على سيفى ، فاقتتلت أود وبنو عامر ، فظفرت أود وأصابوا منهما كثيرا ، فقال الأفوه فى ذلك [من الوافر] :

ألا يا لَهْفَ لو شَهِدَتْ قناتى قبائلُ عامرٍ يوْم الصليبِ (١)
غداة تجمعت كعب إلينا حلائف بين أفناء الحُرُوبِ (٢)
فلما أن رأونا فى وغاها كآسادِ العرينةِ والحجيب (٣)
تداعَوْا ثم مالوا عن ذراها كفعل الجامعات من الوجيبِ (٤)
وطارُوا كالنَّعامِ ببطن قوٍّ مزايلةً على حذرِ الرقيبِ (٥)

وهو القائل (من البسيط) :

لا يَصْلُحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهم ولا سَرَاةَ إذا جُهّالُهُمْ سادُوا

---

(١) فى الأغانى « لو شدت قناتى » وفيه « يوم الصبيب » .
(٢) فى الأغانى « جلائب بين أبناء الحريب » .
(٣) هذا البيت غير مذكور فى الأغانى ولا فى شعراء النصرانية
(٤) فى الأغانى وشعراء النصرانية :
تداعوا ثم مالوا فى ذراها كفعل معانت أمن الرجيب
(٥) فى الأغانى « وطاروا كالبغام » وفيه « مواءلة على حذر » .

تُهْدَى الأمورُ بأهل الرأي ما صَلَحَتْ ... فإنْ تَوَلَّتْ فبالأشرار تَنْقَادُ

وهو القائل [من السريع] :

والمرء ما يُصْلِحُ له ليلةً ... بالسَّعْدِ تُفْسِدُهُ ليالي النُّحُوسْ

والخير لا يأتي ابتغاءً به ... والشر لا يفنيه ضَرْحُ الشُّمُوسْ

وهو القائل [من الوافر] :

بَلَوْتُ الناسَ قَرْناً بعدَ قَرْنٍ ... فلم أر غيرَ ذي قيل وقال

ولم أرَ في الخُطُوبِ أشدَّ هَوْلاً ... وأصْعَبَ من مُعاداةِ الرِّجالِ

وَذُقْتُ مَرارةَ الأشياءِ طرّاً ... فما شيءٌ أمرُّ من السُّؤالِ

قال عبد الله بن الزبير : هذه الأبيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب .

* * *

٢٠٧ - إن كنتَ أزْمَعْتَ على هَجْرِنَا ... من غيرِ ما جُرْمٍ فَصَبْرٌ جَمِيلْ

وإنْ تَبَدَّلْتَ بنا غَيْرَنا ... فَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلْ

الاقتباس

البيتان من السريع ، وقائلهما أبو القاسم بن الحسن الكاتبي .

ومعنى « أزمعت » أجمعت على الأمر وثبتُّ عليه ، والجرم — بالضم — الذنب ، والصبر الجميل : هو الذي لا شكوى فيه ، كما أن الصفح الجميل هو الذي لا عتب فيه ، والهجر الجميل هو الذي لا غيبة فيه

والشاهد في البيت الثاني : الاقتباس من القرآن العظيم

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم في وكيل بدار القاضي يدعى بالعز [من السريع] :

لا تَقْرَبِ الشرعَ إذا لم تكن ... تَخْبُرُهُ فهوَ دقيقٌ جليلْ

وَوَكِّلِ العِزَّ الذي وَجْهُه ... على نجاح الأمرِ أقوى دليلْ

ولا تَمِلْ عنهُ إلى غيرهِ ... فحسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلْ

وما أظرف قول بعضهم في ذم وكيل اسمه كثير [من المقتضب] :

كثيرُ شأنُكَ عندي ... وعندَ غيري قليلُ

وحقِّ مَنْ هو حسبي ... ما أنتَ نعمَ الوكيلُ

من شواهد الاقتباس

٢٠٨ — قالَ لي إنَّ رَقيبي سيِّءُ الخُلق فَدارِهْ
قلتُ دَعني وَجهكَ الجنةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ

البيتان للصاحب بن عباد ، من الرمل .

والرقيب : الحافظ والحارس ، والمداراة : الملاطفة والمخاتلة

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من الحديث ، ولفظه : « حُفّت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . والحفوف : الاحاطة بالشىء .

والمعنى : أن وجهك لحسنه جنة ، فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب ، كما أنه لا بد لطالب الجنة الحقيقية من تحمل مشاق التكاليف .

وفى مثله قول بعضهم [من الطويل] :

وَلِلهِ فى عَرْضِ السموات جَنةٌ ولكنها محفوفةٌ بالمكارِهِ

وقول ابن قلاقس [من الطويل] :

ووَالله لولاَ أنهُ جنةُ المنىَ لما كانَ محفوفاً لنا بالمكارِهِ

وقول ابنِ نُبَاتة السعدى [من مجزوء الكامل] :

عَنْ خدِّهِ منعَ الرَّقيبُ وَبعدَهُ دَاجِى عذَارِهْ
وَاهاً لها منْ جنَّة حُفَّتْ بِأنوَاعِ المكارِهْ

وقول الصفى الحلى [من مجزوء الكامل] :

يا جنة الحسن التى حُفَّتْ لدينا بالمكارِهْ
إنى لِوَجهكَ عاشقٌ ولِمنظرِ الرُّقباء كَارِهْ

وقول ابن نباتة فى جارية صوَّرت بوجهها حية وعقرباً بغالية [من الطويل] :

قتيلكِ ما أذكى الهوى جُلَّنارهِ إلى أن تبدَّى الخدُّ فى جلَّنارهِ
رأى حيةً فى وجنتيك وعقرباً نعمْ جنَّةٌ محفوفة بالمكارِهِ

وقريب منه قول الأبله الشاعر البغدادى ، وكان له ميل إلى بعض أولاد البغاددة ، فعبر على باب داره فوجد خلوة ، فكتب على الباب [من السريع] :

دارُكَ يا بدرَ الدجى جنة بغيرها نفسى لاَ تلهُو
وقدْ رَوَى فى خبرٍ أنهُ أكثر أهل الجنةِ البلهُ

ذكرت بهذا ما حكى ابنُ عسَاكر ، عن سلمة بن عاصم ، قال : ما لقينى الأصمعى قط إلا قال : « أرجو أن تكون من أهل الجنة » قال : فقال لى جليس له : إنما أراد أنك أبلَه ، لأن أكثر أهل الجنة البله ، قال : لا يبعد ، فقد كان ماجِناً ، انتهى

ترجمة الصاحب بن عباد

والصاحب ابن عباد [1] ، هو : إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ابن أحمد بن إدريس الطالقانى ، والطالقان : اسم لمدينتين : إحداهما بخراسان ، والأخرى : من أعمال قزوين ، وهذه هى التى منها الصاحب ، ومولده بها ، أو باصطخر ، سنة ست وعشرين وثلثمائة ، وهو أول من سُمِّى بالصاحب من الوزراء لأنه صحب مؤيد الدولة بن الصبى ، فسماه الصاحب فغلب عليه ، ثم سمى به كل من ولى الوزارة بعده ، وقيل : سُمى به لأنه كان يصحَبُ الوزير ابن العميد ، فقيل له : صاحب ابن العميد ، ثم خفف فقيل : الصاحب

وقال الثعالبى فى حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله فى العلم والأدب ، وجلالة شأنه فى الجود والكرم ، وتفرده بغَايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، إلى أن قال : ولكنى أقول : هو صَدْرُ المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، ويَنبوع الفضل والاحسان . وكانت حضرته محط رحال الأدباء والشعراء ، وموسم فضائلهم ، ومَترع [2] آمالهم ، وأمواله مصروفة إليهم ،

---

(١) تجد للصاحب بن عباد ترجمة فى يتيمة الدهر (٣-١٨٨ بتحقيقنا) وفى تاريخ ابن خلكان (١ - ٢٠٦ بتحقيقنا) .

(٢) فى المطبوعتين « ومنزع آمالهم » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

وصنائعه مقصورة عليهم . ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة ، وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام ، وبدائع الافهام ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول ، وذوب العلوم ، وثمار الخواطر ، ودرر القرائح ، فبلغ فى البلاغة ما يعد فى السحر ، ويدخل فى باب الاعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتى الشرق والغرب ، واحتفّت به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يُرْبى عددهم على شعراء الرّشيد ، ولا يقصرُون عنهم فى الأخذ برقاب القوافى ، وملك رق المعانى ، فانه لم يجتمع بباب ملك ولا خليفة ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء : كأبى نُوَاس وأبى العتَاهية ، والعتابى ، والنميرى ، ومسلم بن الوليد ، وأبى الشيص ، وأشجع السلمى ، ومروان بن أبى حفصة ، وغيرهم . وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والرى ، وجرجان . مثل : السلامى ، والخوارزمى ، والمأمونى ، والبديهى ، والرستمى ، والزعفرانى ، وَالضبى ، والجرجانى ، وأبى قاسم بن أبى العلاء ، وابن بابك ، وابن القاشانى ، والبديع الهمذانى ، وأبى الفرج الساوى ، وغيرهم ، ومدحه مكاتَبَةً[1] الشريفُ الرضى ، وابن حجاج ، والصابى ، وابن سكرة الهاشمى ، وما أحسن قول الصاحب المتقدم فى شواهد الادماج [من الخفيف] :

إنّ خيرَ المداح مَنْ مدحته شُعراء البلاد فى كل نادى

قال : وسمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة فى حِجْرِها ، ودرج فى وَكْرِها ، ورضع أفاويق دَرّها ، وورثها عن أبيه ، كما قال الرستمى فيه [من الكامل] :

وَرِثَ الوزارة كابراً عن كابرٍ مَوْصُولَةَ الاسناد بالاسناد

يروى عَنِ العباس عبّادٌ وزا رتَه وإسماعيلُ عَنْ عبّادِ

(١) فى المطبوعتين «ومدحه كاتبه الشريف الرضى » وهو خطأ تصويبه عن اليتيمة .

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحبُ من الوزارة ، قال له : لك في هذه الدولة من إرث الوزارة ، مالنا فيها من إرث الأمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

قال : وحدثني عون بن الحسين الهمذاني ، قال : كنت يوما في خزانة الخلع للصاحب بن عباد ، فرأيت في دستور كاتبها ، وكان صديقي، مبلغ عمائم الخز التي صرفت في تلك الشتوية للعلويين والفقهاء والشعراء خاصة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين ، قال : وكان يعجبه الخز ، ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوّنة ، فاعتزل ناحية ، وأخذ يكتب شيئاً ، فنظر إليه الصاحبُ ، وقال : عليّ به ، فاستمهل الزعفراني ريثما يتم مكتوبه ، فأمر الصاحبُ بأخذ الدرج من يده ، فقام ، وقال : أيد الله مولانا الصاحب [من الرجز] :

اسمعهُ ممنْ قاله تزدَدْ بهِ عُجْباً فحسن الورد في أغصانه

فقال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً ، منها [من المتقارب] :

سِواكَ يَعُدُّ الغنى ما اقتنى وَيأمرهُ الحرْصُ أنْ يخزنَا
وَأنتَ ابنَ عبّادٍ المرْتجَى تعدّ نوالَكَ نيلَ المنَى
وَخيرُكَ مِنْ باسطٍ كفَّهُ وممنْ ثناءَهاَ قريبُ الجنَى
غمرْتَ الوَرى بصنُوفِ النّدَى فأصغرُ ماَ ملكُوهُ الغنَى
وَغادَرْتَ أشعَرَهُمْ مُفحَماً وَأشكَرَهُمْ عاجزاً ألكنا
أيا مَنْ عطاياهُ تُهدِي الغنَى إلىَ راحتَىْ مَنْ نأى أوْ دَنَا
كَسَوْتَ المقيمينَ والزائرينَ كُساً لم يُخَلْ مثلها ممكناَ
وَحاشيةُ الدّارِ يمشونَ فِي ضُرُوبٍ مِنَ الخزِّ إلاّ أنَا
وَلستُ أذكّرُ بِي جارِياً علَى العهدِ يحسن أنْ يُحسِنَا

فقال له الصاحب : قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له : احملنى يها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس و بغـلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت مركوباً غيرها لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة ، ودُرّاعة ، وقميص ، يسراويل ، وعمامة ، ومنديل ، ومُطْرَف ، ورداء ، وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز أعطينا كه .

قال : وحدثنى أبو عبـد الله محمد بن حامد الحامدى ، قال : شهدت أبا محمد الخازن بين يدى الصاحب ينشده [من البسيط] :

هذا فؤادُكَ نهبى بينَ أهواءِ وذاكَ رأيكَ شُورَى بينَ آراءِ

هوَاكَ بينَ العيونِ النُّجْلِ مقتسم داء لعمرُكَ ما أبلاهُ من داءِ

لاَ تستقرُّ بِأرْضٍ أوْ تسيرَ إلى

أُخرَى بشخصٍ قريبٍ عزمهُ نائى

يوماً بحُزْوَى وَيوماً بالعقيق وَبالعذَيب يوْماً وَيوْماً بالخليصاءِ

وَتارَةً ينتحى نجداً ، وآونةً شعبَ الغُوَيْرِ ، وَيوْماً قصرَ تيماءِ

قال : فرأيت الصاحب مقبلا عليه ، حسن الاصغاء إلى إنشاده ، حتى عجب الحاضرون ، فلما بلغ إلى قوله :

أدْعى بأسماء نبزا فى قبائلها كأنْ أسماءَ أضحتْ بعضَ أسمائى

ألفيتُ شعرى وألفتْ شعرَهَا طرَباً فألفَا بينَ إصباحٍ وإمساءِ

مال الصاحب عن دَسْته طربا ، حتى بلغ قوله فى المدح :

لوْ أنَّ سحبَان جاراه لأسحبهُ على خطَابته أذيالَ فأفاءِ

أرى الأقاليمَ قدْ ألقتْ مقالدَهَا إليهِ مستلقيات أىَّ إلقاءِ

فساس سبعتهاَ منهُ بأرْبَعَةٍ أمرٍ ونهى وتثبيت وإمضاءِ

كذاكَ توحيدهُ أَلْوَى بأربعة كفرٍ وجبْرٍ وتشبيهٍ وإرجاء
نعم تجنبَ لا يومَ العطاء كما تجنب ابنُ عطاء لَثْغَةَ الراء

فاستعاده وطرب للمعنى ، فلما ختمها بهذه الأبيات :

أطرِى وأطرِب للأشعار أنشدُها أحسنْ ببهجة إطرابى وإطرائى
ومِنْ منائح موْلاَناَ مدائحه لأنَّ من زَندِهِ قدحى وإيرائى
فَخُذْ إليكَ ابنَ عبادٍ محبرَةً لا البحترىُّ يدانيها وَلاَ الطائى

قال له : أحسنت ، أحسنت ، ولله أنت ، وتناول النسخة ، وتشاغل بإعادة النظر فيها . ثم أمر له بخلعة من ملابسه ، وفرس من مراكبه ، وصلة وافرة .

قال : وحدثنى أبو الحسن محمد بن الحسن النحوى ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلىَّ أبو العباس تاش الحاجب رقعة فى السر ، بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان وما وراء النهر ، يريدنى فيها على الانحياز إلى حضرته ليلقى إلىَّ مقاليد ملكه ويَعتمدنى لوزارته ، قال : وكان فيما اعتذرت به إليه من تركى امتثال أمره ذكر طول ذيلى بكثرة حاشيتى ، وحاجتى لنقل كتبى خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلى .

وحدثنى أيضا قال : سمعتُ الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك فى رَيعان شبابى ، فلما تَقَوَّضَ ذلك المجلس وانصرف القوم وقد حلَّ الافطار أنكرتُ ذَلك بَينى وَبين نفسى ، وعجبتُ من إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، وعاهدتُ الله أن لا أخلَّ بما أخلَّ به إذا قمت يوماً مَقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً مَنْ كان فيخرج منْ داره إلا بعد الافطار ، وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالى الشهر من ألف نفسٍ مفطرة .

وكانت صلاته وصدقاته ونفقته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها فى جميع السنة

قال : وحدثنى أبو الفضل الهمذانى بديعُ الزمان ، قال : لما أدخلنى أبى إلى الصاحب و وصلت إلى مجلسه واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لى : يابنى اقعد، كم تسجد؟ كأنك هدهد! .

وكان الصاحب فى الصغر إذا أراد المضى إلى المسجد ليقرأ تعطيه والدته ديناراً ودرهما فى كل يوم ، وتقول له : تصدق بهذا على أول فقير تلقاه ، فجعل هذا دأبَهُ فى شبابه إلى أن كبر وماتت والدته ، وهو على هذا يقول للفراش فى كل ليلة : اطرح تحتَ المطرح دينارا ودرهما ، لئلا ينساه، فبقى على هذا مدة ، ثم إن الفراش نَسى ليلة منَ الليالى أن يطرح له الدرهم والدينار، فانتبه وصلى وقلَبَ المطرح ليأخذ الدينار والدرهم ، فما رآهما ، فتطير من ذلك ، وظن أنه قرب أجله فقال للفراشين : شيلوا كل ما هنا من الفرش وأخرجوه وأعطوه لأول فقير تلقونه حتى يكون كفارة لتأخير هذا الخير . فلقوا فقيراً أعمى هاشميا على يد امرأة وهو يبكى ، فقالوا له : تقبل هذا ، فقال : ما هُو ؟ فقالوا : مطرح ديباج ومخاد ديباج ، فأغمى عليه . فأعلموا الصاحب بأمره ، فأحضره وسقاهُ شراباً بعد مارش عليه الماء ، فلما أفاق سأله قال : اسألوا هذه المرأة إن لم تصدقونى ، فقال له : اشرح ، فقال : أنا رجل شريف ، ولى ابنة من هذه المرأة خطبها رجلٌ فزوجناه بها ، ولى سنتان آخذ القدر الذى يفضلُ منْ قوتنا أشترى لها به قطعة صفر أو صفرية ، أوما أشبه ذلك ، فلما كان البارحة قالتْ أمها : اشتهيتُ لها مطرح ديباج ومخاد ديباج، فقلت لها: من أين لى ذلك ؟ وجرى بينى و بينها خصومة إلى أن سألتها أن تأخذ بيدى وتخرجنى حتى أمضى على وجهى، فلما قال لى هؤلاء هذا الكلام حق لى أن يغشى علىّ ، فقال الصاحب : لا يكون الديباج إلا مع ما يليق به، علىّ بالأنماطيين ، فجئ بهم فاشترى منهم الجهاز الذى يليق بذلك المطرح ، وأحضر زوجَ الصبية ، ودفع إليه بضاعة سنية .

قال : وحدثنى أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب بن عباد فطاولته الحديث ، فلما أردت القيام قلت : لعلى طولت ، فقال : لا ، بل تَطَوَّلْتَ

يحكى أن الصاحب استدعى فى بعض الأيام شراباً ، فأحضروا قدحاً ، فلما أراد أن يشرب به قال له بعض خواصه : لا تشرب به فانه مسموم ، وكان الغلام الذى ناوله واقفا ، فقال للمحذر : وما الشاهد على صحة قولك ؟ قال : تجربه فى الذى ناولك إياه ، قال : لا أستجيز ذلك ولا أستحله ، قال : فجربه فى دجاجة ، قال : التمثيل بالحيوان لا يجوز ، ورد القدح وأمر بقلبه ، وقال للغلام : انصرف عنى ولا تدخل دارى ، وأمر باقرار جاريه وجرايته عليه ، وقال : لا يدفع اليقين بالشك ، والعقوبة بقطع الرزق نذالة .

يقال : إن ابن الخطيرى أتى يوماً إليه ، فقام له ، فمر مسرعا لأجله ، فضرط ، فقال : يامولانا هذا صرير التَّخْت ، فقال : بل صفير التَّحْت ، فذهب واستحيا وانقطع ، فكتب إليه [من البسيط] :

قل للخطيرىِّ لا تَذْهَبْ على خجل بضَرْطَةٍ أشْبَهتْ نايا على عُودِ

فانها الريحُ لا تستطيع تُمسِكُهَا إذ أنت لَسْتَ سليمان بن داودِ

وكان الصاحب قد وَلَّى عبد الجبار الأسترابادى قاضى القضاة بهمذان والجبال فاستقبله يوماً ولم يترجل له ، وقال : أيها الصاحب ، أريد أن أترجل للخدمة ، ولكن العلم يأبى ذلك ، وكان يكتب فى عنوان كتابه إلى الصاحب « داعيه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « وليه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « عبد الجبار بن أحمد » فقال الصاحب : نظن القاضى يؤول أمره إلى أن يكتب « الجبار » ! .

وقال الصاحب يوما : ما أفظعنى إلا شاب بغدادى ورد علينا إلى أصبهان فقصدنى ، فأذنت له ، وكان عليه مرقعة ، وفى رجله نعل طاق ، فنظرت إلى حاجبى

فقال له وهو يصعد إلىّ : اخلع نعلك ، فقال : ولم ؟ لعلنى أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبنى الضحك وقلت : أتراه يريد أن يصفعنى بها .

وقال بديع الزمان الهمذانى : كنت عند الصاحب ابن عباد ، فأتاه رجل بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب ، وهى [من الوافر] :

غنينا بالطُّبُولُ عن الطلول وعن عَنْس عُذَافرة ذَمُولِ

وأذهلنى عقَارى عن عقَارى ففى است أم القضاة مع العذُولِ

فلست بتاركٍ إيوانَ كسرَى لتوضِحَ أو لحومَلَ فالدَّخُولِ

وضبٍّ بالفلا ساع وذئبٍ بها يَعْوى وليثٍ وَسْطَ غِيلِ

إذا ذبحُوا فذلك يوم عيد وإن نحرُوا ففى عُرْسٍ جليلِ

يَسُلُّونَ السيوفَ برأس ضب هرَاشا بالغداة وبالأصيل

بأية رتبة قدَّمتموُهَا على ذى الأصل والشرف الجليلِ

ألا لو لم يكن للفرس إلا نِجَار الصاحب العَدْل النّبيل

لكان لهمْ بذلِكَ خيْرُ عز وجيلُهمُ بذلك خيرُ جيلِ

فلما بلغ إلى هنا قال له الصاحب : قَدْك ، ثم اشرأبّ ينظر إلى الزوايا وأطراف القوم ، فلم يرنى ، وكنت فى زاوية من زوايا البيت ، فقال : أين أبو الفضل ؟ فوثبت وبُسْت الأرض بين يديه ، فقال : أجبه عن ثلاثتك ، قلت : وما هى ؟ قال : أدبك ونسبك ومذهبك ، فقلت : ولا مهلة للقول إلا بما تسمع :

أرَاكَ على شفَا خطَرٍ مهُول بما أودَعْتَ نفسَك من فُضُول

طلبت على مكارِمِنا دليلاً متى احتَاجَ النهارُ إلى دَليلِ

ألَسْنَا الضارِبينَ جِزًى عليهم فأىّ الخِزْى أقعدُ بالذليلِ

متى فرع المنابرَ فارسىّ متى عرف الأغرّ من الحجُول

متى عَلِقَتْ وأنت بهم زَعيمٌ أكفُّ الفُرْس أعْرَافَ الخيولِ
فَخَرْتَ بملء ماضغتيك فخراً على قحطانَ والبيت الأصيلِ
وحقك أن تُبَارينا بكسرى فماثور ككسرى فى الرَّعيلِ
فخرت بنحو مَلْبُوس وأكلٍ وذلك فخر رَبَّاتِ الحجُولِ
تفاخرهن فى خد أسيل وفَرْعٍ من مَفَارقها رَسيلِ
فأمجَدُ من أبيك إذا أثرْنَا عراة كالليوث وكالنصُولِ

قال : فلما أجبنه بهذه الأبيات نظر الصاحب بن عباد إلى الرجل فقال : كيف ترى ؟ فقال : لو سمعت به ما صدقت، قال : فاذن جائزتك إن وجدتك بعدها فى مملكتى أمرت بضرب عنقك ، ثم قال : لا تَرَوْنَ رجلا يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية يرجع إليها .

قال : وحدّثنى أبو منصور اللجيمىّ قال : أهدى العميرى قاضى قزوين إلى الصاحب كتباً وكتب معها [من الخفيف] :

العميرىّ عَبْدُ كافِى الكُفَاة وإنِ اعتَدَّ من وُجُوه القُضَاة
خَدَمَ المجلسَ الرفيعَ بكُتْبٍ مُفْعَمَاتٍ من حُسْنها مُتْرَعَاتِ

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنـا منَ الجميـع كتاباً وَرَدَدْنَا لوَقْتهَا البَاقيَاتِ
لست أستغنم الكثيرَ فطَبْعى قولُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبى قولُ هَاتِ

قال : وكتب إليه بعض العلويين يخبره بأنه قد رزق مولوداً ، ويسأله أن يسميه ويكنيه ، فوقع فى رقعته « أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قُرَّة ، والنفس مسرة مستقرة ، فالاسم على ليعلى الله أمره ، والكنية أبو الحسن ليحسن الله ذكره ، فانى لأرجو له فضل جده ، وسعادة جده وقد بعثت ديناراً من مائة مثقال ، قاصداً فيه مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة

عام ، ويخلص خلوص الذهب الابريز من نُوَبِ الأيام ، والسلام »

وكتب إليه أبو حفصٍ الوراقُ رقعة نسختها « لولا أن الذكرى ـ أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ـ تنفع المؤمنين ، وهز الصمصام يعين المصلتين ، لما ذكرت ذكراً ولا هززت ماضياً ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ويكد الجواد ، وحال عبد مولانا أدام الله تأييده فى الحنطة مختلفة ، وجُرْذَانُ داره عنها منصرفة . فان رأى أن يخلط عبده ، بمن أخصب رحله عنده ، فعل إن شاء الله » فوقع عليها « أحسنت أبا حفص قولا ، وسنحسن فعلا ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك فى الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى » .

قال : وسمعت أبا النصر بن عبد الجبار العتبي يقول : كتب بعض أتباع الصاحب إليه رقعة في حاجة ، فوقع فيها ، ولما وردت إليه لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبي العباس الضبي ، فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع ، وهو ألف واحدة ، وكان ختام الرقعة « فان رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل » وأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً ، يعنى أفعل .

قال : و بلغ الصاحب أن بعض المتشاعرين انتحل شيئاً من شعره، فكتب إليه [من المقتضب] :

سرقْتَ شعرى ، وغيرى يُضَام فيه ويُخْدَعْ
فسوْف أجزيك صَفْعاً يكدُّ رَأساً وأخْدَعْ
فسارقُ المال يُقْطَعْ وسارق الشعر يُصْفَعْ

قال : فاتخذ الليل جملا وهرب من الرى .

وقال محمد بن المرزبان : كنا بين يدى الصاحب ليلة فنعس ، وأخذ إنسان يقرأ سورة الصافات ، فاتفق أن بعض الأجلاف من أهل ماوراء النهر نعس أيضاً

وضرط ضرطة منكرة ، فانتبه الصاحب وقال : يا أصحابنا ، نمنا على الصافات وانتبهنا على المرسلات.

وقال أيضاً : انفلتت ليلةً ضرطةٌ من بعض الحاضرين ، والصاحب فى الجدل فقال على حدته : كانت بيعة أبى بكر ، خذوا فيما أنتم فيه ، يعنى أنه قيل فى بيعة أبى بكر رضى الله عنه إنها كانت فلتة .

ولما كان الصاحب ببغداد قصد القاضى أبا السائب عُتْبَة بن عبيد الله لقضاء حقه ، فتثاقل فى القيام له ، وتحفز تحفزاً أراه بضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بضَبْعه وأقامه ، وقال : نعين القاضى على قضاء حقوق أصحابه ، فخجل القاضى واعتذر إليه

وحدثنى غيره قال : كتب إنسان رقعة إلى الصاحب أغار فيها على رسائله ، وسرق فيها جملة من ألفاظه ، فوقع فيها « هذه بضاعتنا ردت إلينا » ووقع فى رقعة استحسنها « أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون » ووقع فى كتاب لبعض مخالفيه « فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ووقع فى رقعة أبى محمد الخازن وكان قد ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه لمعاودة حضرته « ألم نربِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التى فعلت» ووقع فى رقعة بعض خطاب الأعمال « التصرف لا يلتمس بالتكفف، إن احتجنا إليك صرّفناك ، و إلا صرَفناك » وعزل الصاحب عاملا بقُمّ فكتب إليه « أيها العامل بقُم، قد عزلناك فقم » وسأل أبا الحسين الربعى عن مسألة ، فأجاب جواباً أخطأ فيه ، فقال له: أصبت، فقبل الأرض بين يديه شكراً، فلما رفع رأسه ، قال : عين الخطأ ، ووقع إليه بعض منهى الأخبار أن رجلا ممن ينطوى له على غير الجميل يدخل داره فى غمار الناس ثم يتلوم على استراق السمع ، فوقع « دارنا هذه خان ، يدخلها مَنْ وَفَى ومن خان » .

قال : و بلغنى عن القاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى أنه قال:

انصرفت يوما من دار الصاحب ، وذلك قبل العيد ، فجاءنى رسوله بعطر الفطر ورقعة مكتوب فيها [من الكامل] :

يا أيها القاضى الذى نَفْسى له مَعَ قُرْب عهدِ لقائه مُشْتاقه
أهدَيْتُ عِطراً مثلَ طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقَهْ

قال: وسمعته يقول : إن الصاحب يَقْسِم لى من إقباله و إكرامه بجرجان ، أكثر ممـا يتلقانى به فى سائر البلدان ، وقد استعفيته يوما من فَرْط تحَفِّيه بى وتواضعه لى ، فأنشدنى لنفسه [من الكامل] :

أكرِمْ أخاك بأرض مَوْلِدِه وأمدّه مِنْ فعْلِكَ الحَسَنِ
فالعِـزُّ مَطْلُوبٌ وَمُلْتَمَس وأعَزُّه ما نيـلَ فى الْوَطَنِ

ثم قال لى : قد فرغت من هذا المعنى فى قصيدتك العينية ، فقلت : لعل مولاى يريد قولى [من الطويل] :

وشَيَّدْتُ مجدى بين قومى فلم أقل ألا لَيْتَ قومى يعلمون صَنيعى

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى « يا ليت قومى يعلمون ، بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين » .

قال : وأنشدنى أبو حنيفة الدهستانى للصاحب ما كتب به إلى أبى هاشم العلوى وقد أهدى إليه يوم أضحى عطراً فى طبق فضة [من الكامل] :

اقبَلْ من الطيب الذى أهديتهُ ما يسرقُ العطارُ من أخلاقِكْ
والظرف يوجب أخذهُ مَعَ ظَرْفِهِ فَأضِفْ به طبقاً إلى أطْبَاقِكْ

قال : و بلغنى عن الصاحب أنه قال : ما استأذنت قط على فخر الدولة وهو فى مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة، فأذن لى فيه ، وما أذكر أنه تبذَّل بين يدى ومازحنى إلا مرة واحدة ، فانه قال لى فى شجون الحديث : بلغنى أنك تقول : المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال ، فأظهرت الكراهة

لانبساطه ، وقلت : بنا من الجد ما لا نفرغ معه إلى الهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلةً حتى عاودتُ مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجرى مجرى المزاح والهزل .

قال : وسمعت أبا الحسين العلوىّ الهمذانى الوصىّ قال : لما توجهت تلقاء الرىّ فى سفارتى إليها من جهة السلطان ، فكّرْتُ فى كلام ألْقَى به الصاحب ، فلم يحضرنى ما أرضاه ، وحين استقبلنى فى العسكر وأفضى عنانى إلى عنانه جرى على لسانى «ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» فقال «إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندونِ» ثم قال : مرحباً بالرسول ابن الرسول ، والوصى ابن الوصى» .

قال : وسمعت عوناً الهمذانىّ يقول : إن الصاحب أُتى بغلام مثاقف ، فلعب فاستحسن الصاحب صورته ، وأعجب بخفته ، فقال لأصحابه : قولوا فيه شيئاً ، فلم يرضه ما قالوا ، فقال [من السريع] :

مثاقف فى غاية الحِذْقِ فَاقَ حِسَانَ الغَرْبِ والشَّرْقِ
شَبَّهْتُهُ والسيف فى كفِّه بالبَدْرِ إذْ يَلْعبُ بالبَرْقِ

قال : وسمعت سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب الماء والثلج ينشد فى أثره [من الرجز] :

قَعْقَعَةُ الثلج بماء عذبِ تستخرج الحمدَ مِنَ اقصى القلب

ثم يقول : اللهم جَدِّدِ اللعنة على من منع الحسين الماء .

وقال غيره : كان ابن عباد فصيحا مُفَوَّها ، لكنه يتقَعّر فى خطابه ، ويستعمل وَحْشِىَّ الكلام حتى فى انبساطه ، وكان يعيب التيه ويتيه ، ولا ينصف من يناظره ، وقيل : كان مشوه الصورة ، وصنف فى اللغة كتابا سماه « المحيط » فى سبع مجلدات وله كتاب «الكافى» فى الترسل ، وكتاب الأعياد ، وكتاب « الامامة » ذكر فيه فضائل على رضى الله عنه وأثبت إمامة من تقدمه ، وكان شيعيا جلداً كآل بُوَيْه

معتزلياً وكان يقول: شاركت الطبرانى فى إسناده ،ويقال : إنه نال من البخارى وقال : هو حَشْوِىّ لا يُعَوَّل عليه ، ولما عزم على الاملاء تاب إلى الله تعالى ، واتخذ لنفسه بيتاً سماه «بيت التوبة» ولبث أسبوعا على الخير ، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته ، ثم جلس للإملاء ، وحضر خلق كثير ، يحكى أنه خرج متحنكا متطلسا بزى العلماء ، وحضر خَلْقٌ ، فكان المستملى الواحد لا يقوم بالاملاء حتى انضاف إليه ستة كلٌّ يبلغ صاحبه ، وكان ينفذ إلى بغداد فى السنة خمسة آلاف دينار تُفَرَّقُ على الفقهاء والأدباء ، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة ، ومرض فى الأهواز بالاسهال ، فكان إذا قام عن الطست ترك إلى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم به الخدم ، فكانوا يودون دوام علته ، فلما عوفى تصدق بنحو خمسين ألف دينار .

وهذه غرر من فقر الصاحب تجرى مجرى الأمثال :

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب. من طالت يده بالمواهب، امتدت إليه ألسنة المطالب . من كفر النعمه ، استوجب النقمه . من نبت لحمه من الحرام ، لم يحصده غيرُ الحسام . من يكن الْحَذَّاء أباه ، جادت نعلاه . من لم تهزه يسير الاشارة ، لم ينفعه كثير العبارة . ربّ لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال . الشمس قد تغيب وتشرق ، والروض يذبل ثم يورق . والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع . العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر . الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعه . بعض الحلم مذله ، و بعض الاستقامة مزله : كتاب المرء عنوان عقله بَلْ عيار قدره ، ولسان فضله بل ميزان علمه . إنجاز الوعد ، من دلائل المجد . واعتراض المطل، من أمارات البخل . وتأخير الاسعاف ، من قرائن الاخلاف . لكل أمر أجل ، ولكل وقت رجل . شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر . كفران النعم ، عنوان النقم . للصدر نفثة إذا أُحرج ، وللمرء بثة إذا أحوج . قد يصلى البرىء بالسقيم ،

ويؤخذ البر بالآثيم . ما كل طالب حق يُعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه .

ملح وظرف من ألفاظه :

أخبرنى عن سَفْرَتك، وما حصل بها فى سُفْرَتك . وجدت حرًا يشبه قلب الصبّ ، ويذيب دماغ الضبّ . لا اعتراض بين الشمس والقمر ، والروض والمطر . مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير . زائر وجهه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم . فِقَرٌ كما جيدت الرياض، وفصول كما تغامزت المقل المراض. ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعان كما تنفست الأسحار . نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد . كتابك رُقْيَة السليم ، وغُرّة العيش البهيم . عشرته ألطف من نَسيم الشمال ، على أديم الماء الزلال . وألصق بالقلب، من علائق الحب . شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد .

رقعة استزارة — هذا اليوم يا سيدى طاروني ، يعجبنى جوه الفاختى ، وإذ قد غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا ، فان نشطت للحضور ، شاركتنا فى السرور ، وإلا فلا إكراه ولا إجبار ، ولك متى شئت الخيار .

رقعة أخرى — غداً ياسيدى يحسر الصيام ، وتطيب المدام ، فلا بد أن تقيم أسواق الأنس نافقة ، وتنشر أعلام السرور خافقة ، فبالفتوة فانها قسم الظرافة ، تفرض حسن الاسعاف ، وبالمروة فانها حاجة بجتاح ، بادرتها ولو على جناح الرياح .

أخرى — نحن يا سيدى فى مجلس غنىّ إلا عنك ، شاكر إلا منك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مَجامِرُ الأترج ، وفتقت فارات النارنج ، ونطقت ألسنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت

رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام منادى الطرب ، وطلعت كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتى لما حضرت لنحصل بك فى جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد

أخرى — نحن وحياتك فى مجلس راحه ياقوت ونوره در ، ونارنجه ذهب ونرجسه دينار ودرهم يحملهما زبرجد ، وألسنة العيدان تخاطب الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكننا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وعباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء فى انحداره ، والقمر فى مداره

تهنئة ببنت — أهلا وسهلا بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار ، ومبشرة بأخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون (١)

ولو كانَ النساء كمثلِ هذى لفُضِّلت النساء على الرجالِ
فما التأنيثُ لاسم الشمسِ عَيباً ولاَ التذكيرُ فخراً للهلالِ

فادّرع ياسيدى بها اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة ، وبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام ، والجنة مؤنثة ، وبها وُعِد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيتَ ، وأطال بقاءك ما عرف النسلُ والولد ، وما بقى الأبد ، وما عمّر لُبَدُ .

رقعة فى مُدَاعبة — خبر سيدى عندى وإن كتمه عنى ، واستأثر به دونى ،

---

(١) البيتان لأبى الطيب المتنبى ، وهما من الوافر

وقد عرفت خبره البارحة فى شربه وأنسه ، وغناء الضيف الطارق وعرسه ، وكان ما كان مما لست أذكره * وجرى ماجرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاى امتطى الأشهب ؟ فكيف وجدَ ظهره ، وركب الطيار ، فكيف شاهدَ جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف فى سعة أم مضيق ؟ وهل أفردَ الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال فى الحملة بالكرة ، فليتفضل بتعريفى الخبر ، فلا يسعه الانكار ، ولا يغنى عنه إلا الاقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبومرة(١) كما ساعدَه ، فنصلى للقبلة التى صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التى خطب عليها هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان ، الكثير الفرسان .

وله ديوان شعر ، ومن محاسنه قوله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ جماله تقصُر عنه صفتى
أهوى لتقبيل يدى فقلت لا بل شفتى(٢)

وقوله [من الكامل] :

رشأ غدا وَجْدِى عليه كردفِهِ وغدَا اصطبارى فى هواه كخصْرِه
وكأنَّ يومَ وصاله من وَجهِهِ وكأن ليلةَ هَجْرِه من شَعْرِهِ
إن ذقت خمراً خلتها من ريقِهِ أو رُمْتُ مسكا نلته من ثغرِهِ

وقوله [من السريع] :

ياخاطراً يَخْطِرُ فى تيهِهِ ذكرُكَ موقوفٌ على خاطِرِى
إن لم تكن أشرف مِن ناظرى عِنْدِى فلا مُتِّعْتُ بالناظِرِ

وقوله [من مخلع البسيط] :

قل لأبى القاسم الحسينِ يانورَ قلبى ونورَ عينى

---

(١) أبو مرة : كنية إبليس
(٢) فى الوفيات « فقلت قبل شفتى » .

البدرُ زَيْنُ السماء حُسْناً وأنت زين لكل زينِ

وقوله [من البسيط] :

دب العذارُ على ميدان وجنته حتى إذا كاد أن يَسْعَى به وَقَفَا
كأنهُ كاتبٌ عزَّ المدادُ لهُ أراد يكْتُبُ لاما فابتدا أَلِفا

وقوله فى مليح ألثغ [من السريع] :

وشادنٍ قلتُ له ما اسمهُ فقال لى بالغَنْجِ عبَّاثُ
فصِرْتُ من لثغتهِ أَلْثغاً وقلت أين الكاثُ والطاث

وقوله فى حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبةٍ من عِنَبٍ من المُنَى مُتَّخَذَهْ
كأنها لؤلؤة فى وَسْطها زمُرُّذَهْ

وقوله [من الطويل] :

بَعَثْنَا من النارنج ما طاب عَرْفُهُ فظل على الأغصان منه نَوَافِجُ
كُرَات من العِقْيَانِ أحكم خَرْطُهَا وأيدى الندامى حَوْلَهُنَّ صوَالِجُ

وقوله [من السريع] :

لو فَتَّقُوا قلبي رأَوْا وَسْطَهُ سَطْراً قد امتد بلا كاتبِ
حب على بن أبى طالب وحب مولاى أبى طالب

وقوله للقاضى أبى بشر الجرجانى [من الوافر] :

يَصُدُّ الفضلُ عنا أىّ صَدٍّ وقال تأخرى عن ضعف معده
فقلتُ له جَعَلْتَ الواوَ عيناً فان الضعف أجمع فى المِعَده

وقوله [من مخلع البسيط] :

قولوا لاخواننا جميعا مَنْ كُلُّهم سيد مُرَزَّا(١)

---

(١) «مرزا» أصله مرزأ ـ بالهمزة ـ فقلبت ألفا لانفتاح ما قبلها، والمرزأ ـ بصيغة اسم المفعول من المضعف العين ـ الكريم، والرجل من قوم مات خيارهم.

مَنْ لم يَعُدْنَا إذا مَرِضنَا ... إنْ مَاتَ لم نَشهدِ المعزّى

أين هذه الحشمة من قول أبى الحسن اللحام الحرانى [من مجزوء الرجز] :

إنى اعتللتُ عـلةً ... سقطتُ منها فى يدِى

وكانَ فى الاخوان مَنْ ... لم أرَهمْ فى العُوّدِ

فقلتُ فيهمْ كلهمْ ... قَوْلَ امْرِئٍ مُقتصِدِ

أيْرُ الذى قدْ عادَنَا ... فى استِ الذى لم يعُدِ

ومثل قول الصاحب قول الآخر [من مخلع البسيط] :

قُلْ للذى لمْ يَعُدْ سَقَامى ... وَقلبهُ مُشْرَبٌ حزَازَهْ

مَنْ لم يعدْنَا إذَا مَرِضنَا ... إنْ مَاتَ لمْ نَشْهدِ الجَنَازَهْ

ومن قول الصاحب فى العيادة أيضاً [من البسيط] :

حقُّ العيادَةِ يَوْمٌ بعدَ يَوْمينِ ... وَجلسةٌ مثْلُ رَدِّ الطَّرْفِ فى العينِ

لاَ تبرمنَّ مريضاً فى مُساءلة ... يكفيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْآلٌ بحرفينِ

وقال الثعالبي : سمعت أبا الفتح البستى ، يقول : لم أسمع فى إنفاذ الحلوى إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حَلاَوَةُ حبكَ يا سيدِى ... تُسَوِّغُ بعثى إليكَ الحلاَوَهْ

فقلت له : وأنا لم أسمع فى النثار أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنتُ أنثر ما تستحقُّ ... نثرتُ عليكَ سعُودَ الفلكْ

وللصاحب فى الهجاء والمجون [من السريع] :

قَالَ ابن مشوىّ لِغلمانهِ ... وَقدْ حَشوهُ بأيور العبيدْ

لئِنْ شكرتم لأزيدَنكمْ ... وَإنْ كفرتمْ فعذابى شديدْ

وقال فى الغويرى [من السريع] :

إنَّ الفويرىَّ لهُ نكهةٌ بِنَتْنِها تَزْبت على الكُنُفِ
يا ليتهُ كانَ بلا نكهةٍ أوْ ليتنى كنتُ بلا أنفِ

وقال فيمن زوَّج أمه [من مجزوء الكامل] :

زَوَّجتَ أُمَّكَ يا فتى وكسوْتنى ثوْبَ القلقْ
والحرُّ لا يهدى للحو م إلى الرجال على الطبقْ

وقال [من الوافر] :

أبُو العباس قدْ أضحى فقيهاً يتيهُ بفقهِهِ فى الناس تيهَا
وذلك أنَّ لحيته أتتنى تناظر فقحتى فخريتُ فيها

وقال [من السريع] :

حُبُّ علىِّ بن أبى طالبٍ هوَ الذى يُهدى إلى الجنهْ
إن كانَ تفضيلى لهُ بدعةً فلعنةُ اللهِ عَلىَ السنهْ

وقال فى شهر رمضان [من الخفيف] :

قدْ تعدَّوْا على الصيامِ وقالُوا حُرِمَ الصبُّ فيهِ حسنَ العوائدْ
كذبُوا ، فى الصيام للمرء مهما كان مستيقظاً أتمُّ الفوائدِ
موْقفٌ بالنهار غيرُ مُريبٍ واجتماع بالليل عندَ المساجدِ

وقال [من الكامل] :

رَاسلتُ مَنْ أهوَاهُ أطلبُ زَوْرَةً
فأجابنى : أو لَستَ فِى رَمضانِ
فأجبتهُ والقلبُ يخفقُ صبْوَةً أتصُومُ عنْ برٍّ وعنْ إحسانِ
صُمْ إنْ أرَدْتَ تحرجاً وتعففاً عنْ أنْ تكدَّ الصبَّ بالهجرانِ
أولا فزرنى وَالظلام مُجَلَلٌ واحْسبهُ يوما مرَّ من شعبانِ

وقال يرثى أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويل] :

يقولون لى أودَى كثيرُ بنُ أحمدٍ وذلك رُزْءٌ فى الأنام جليلُ
فقلتُ دعُونى والعلا نبكه معاً فمثلُ كثيرٍ فى الرجال قليلُ

وقال الثعالبى : سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : أنشدنى الصاحب لنفسه من نُتَفه هذا البيت [من الطويل] :

لئنْ هوَ لم يكفُفْ عقارب صُدْغهِ
فقولوا لهُ يسمحْ بِدِرْيَاقِ ثغرهِ

فاستحْسنتهُ جدا ، حتى حمتُ من حسدى له عليه ، ووددتُ لو أنه بألف بيت من شعرى . قال الثعالبى : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيدالله هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية فى المذاكرة ، فقال : أتعرف من أين سرَقَ الصاحبُ معنى البيت ؟ فقلت : لا والله ، فقال: إنما سرقه من قول القائل، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل]

لدَغَتْ عينك قلبى إنما عينكَ عقربْ
لكنِ المصةُ من ريقكَ دِرْيَاقٌ مُجَرّبْ

فقلت:لله درالأمير ، لقد أوتى حظاً كبيراً من التخصص، بمعرفة التلصص .

ومما هجى به الصاحب * وما زالت الأملاك تهجى وتمدح * قول أبى العلاء الأسدى [من البسيط]

إذا ظفرت بحى فى مُرقَّعةٍ يأوى المساجد حراً ضره بادى
فاعلم بِأنَّ الفتَى المسكينَ قدْ قذفَتْ
بهِ الخطوبُ إلى لؤم ابن عباد

وقول السلامى [من مجزوء الرمل]

يا ابن عباد بن عبا س بن عبد الله جرها

تُنكرُ الجبر وأخرجـــت إلى العالم كرها

وقول غيره [من السريع]

صاحبنا أحوالهعاليـــه لكنما غرفته خاليـــه
وَإنعرفتَ السرّمن ْدائهِ لم تَسأل الله سوَى العافيه

والجروح قصاص ، فانه قال يهجو قاضيا [من الهزج]

لنا قاضٍ له رأس من الخفة مملوه
وفى أسْفله داء بعيدٌ منكمُ السوُّه

ذكر آخر أمره — لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وأنتابته أمراض الكبر ، وجعل ينشد قوله [من الوافر]

أنَاخَ الشيب ضيفاً لم أردهُ ولكن لا أُطيقُ لهُ مَردّا
رداء للرَّدَى فيهِ دليلٌ تردّى مَنْ به يوماً تردّى

ولما كنى المنجمون عن عرضه فى سنة موته بما يفيد ذلك قال [من الرجز] :

يا مالكَ الأرْواح والأجسامِ وَخالق النجوم والأحكامِ
مُدبرُ الضيـــاء والظلام لا المشترى أرجُوهُ للانعام
ولا أخاف الضرّ منْ بَهْرامِ وَإنما النجومُ كالأعلام
والهـــلم عندالملك العلام يا رب فاحفظنى من الأسقام
وَوقّنى حـــوادثَ الأيامِ وَهجنةَ الأوزَارِ وَالآثامِ
هبنى لحب المصطفى المغنامِ وصنـــوهِ وآلهِ الكرام

وكتب بخطه على تحويل السنة التى دلت على انقضاء عمره هذه الأبيات ، [من الطويل]

أرَى سنتى قد آذنَتْ بعَجائبِ وربىَ يكفينى جميعَ النوَائبِ

وَيدفع عنى ما أخاف بمَنهِ وآمَنُ ما قدْ خوّفوا من عواقب
إذا كانَ مَنْ أجرَى الكواكبَ أمرُهُ
مُعينى فما أخشَى صرُوفَ الكواكب
عليكَ أيارَبّ الأنام توكلى فحطنى من شرّ الخطوب الحوازب
فكم سنةٍ حذرتها فتزحزحتْ بخيرٍ وَإقبال وجدّ مصاحب
ومنْ أضمرَ اللّهُمَّ سوءاً لمهْجتى فرد عليه الكيدَ أخيبَ خائب
فلست أريد السوء بالناس إنما أريد بهم خيراً مَرِيعَ الجوانب
وأدفع عنْ أموالهمْ ونفوسهمْ بجدّى وجهدى باذلاً للمواهب
ومنْ لم يسعهُ ذَاكَ منى فانني سأكفاه إن الله أغلبُ غالبِ

وبلغه عن بعض أصحابه شماتة ، فقال [من الطويل] :

وكم شامتٌ بى بعدَ موتى جاهل بظلم يسُلُّ السيفَ بعد وفاتى
ولوْ علمَ المسكين ما ذَا ينالهُ من الظلم بعدى مات قبل مماتى

ولم يسعد أحدٌ بعد وفاته كما كان فى حياته غير الصاحب ، فانه لما توفى أغلقَت مدينة الرى ، واجتمع الناس على باب قصره ، وَحضر مخدومه فخر الدولة وسائر الأمراء والقواد ، وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة ، وقبلوا الأرض ، ومشى فخر الدولة أمام النعش ، وقعد للعزاء أياماً .

ورثاه الناس بمراث كثيرة ، منها قول أبى القاسم بن أبى العلاء الأصفهانى من قصيدة [من البسيط] :

هذى نوَاعى العلا مذ متّ نادبة من بَعْدِ مَا نَدَبتكَ الْخرُّدُ العينُ
تبكى عليكَ العطايا والصلاَتُ كما تبكى عليكَ الرّعايا وَالسلاطينُ

قامَ السعاة وكانَ الخوف أقعدَهمْ واستيقظوا بعد ما مُتْ الملاعينُ

لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطينُ

ومن قصيدة لأبي حميد الرستمي [من الطويل]:

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى أخو أملٍ أو يستماح جوادُ

أبى الله إلا أنْ يموتا بموته فما لهما حتى المعـــادِ معادُ

ومن قصيدة لأبي الفياض الطبري [من الوافر]:

خليلي كيف يقبلك المقيلُ ودهركَ لا يقيلُ ولا يقيلُ

ينادي كل يوم في بنيه ألا هبُّوا فقدْ جدَّ الرحيلُ

وهمْ رَجلان منتظر غفول ومبتدر إذا يدعى عجولُ

كأن مثال من يفنى ويبقى رعيل سوف يتلوه رعيل

فهم سفر وليس لهم ركاب وهم ركب وليس لهم قفولُ

تدور عليهمُ كأسُ المنايا كما دارت على الشَّرب الشَّمول

ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ولكن ليس يقْدَمهم دليل

ألم تر من مضى من أولينا وغالتهم من الأيام غُولُ

قد احتالوا فما نفع الحويل وأعولنا فما نفع العويل

كذاك الدهر أحوالٌ تزولُ وأعمال تحول ولا تؤول

لنا منهُ وإن عفنا وخفنا رسولٌ لا يُصابُ لديه سُولُ

وقد وَضَحَ السبيلُ فما لخلق إلى تبْديله أبداً سبيل

لعمرك إنه أمد قصيرٌ ولكن دونه أمل طويل

أرَى الاسلام أسلمه بنوه وأسلمهم إلى وَلَهٍ يهول

أرى شمس النهار تكاد تخبو كأن شعاعها طرْفٌ كليل

أرى القمر المنير بدا ضئيلا بلا نور فأضناه النحول
أرى زُهْرَ النجوم مُحَدَّقات كأن سراتها عور وحُول
أرى وجه الزمان وكل وجه به مما تكابده فلول
أرى شم الجبال لما وَجيبٌ تكاد تنوب منه أو تزول
وهذا الجوّ أكلفُ مقشعرّ كأنّ الجوّ من كمد عليل
وهذى الريح أطيبها عقيم إذا هبت وأعذبها بَليل
وللسحب الغِزَار بكل فج دموع لا يذاد بها المحول
نعى الناعى إلى الدنيا فتاها أمين الله فالدنيا تَكول
نعى كافى الكماة فكل عين بما تقذى العيون به كفيل

وهى طويلة يقول فى آخرها :

أأحْيا بعده وأقرّ عيناً حياتى بعده هدر غلول
حياتى بعده موت وَحِيٌّ وعيشى بعده سم قتول

ومن قصيدة الشريف الرضىّ الموسوىّ [من الكامل] :

أكذا المَنُونُ تقطرُ الأبطالا أكذا الزمانُ يُضَعْضِعُ الأجبالا(١)
أكذا تُصاب الأسْدُ وهى مدلة تحمى الشُّبُولَ وتمنع الأغيالا
أكذا تغاض الزاخرات وقد طَمَتْ لُجَجاً وأوردت الظماء زُلالاَ
يا طالب المعروف حَلّق نجمه حُطَّ الحمول وعطل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذى كان الأنامُ على نَدَاهُ عِيالا

ولأبى عيسى بن المنجم لما ابتوزر أبو العباس الضبى بعد موت الصاحب ولقب بالرئيس الجليل [من البسيط] :

والله والله لا أفلَحتم أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس

(١) فى الديوان « تقنطر الأبطالا »

إن جاء منكم جليلٌ فاجلبوا جَلَبى ... أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسى

ومدائحه ومراثيه كثيرة يطول الشرح بذكرها

وقال ابن أبى العلاء الأصفهانىّ : رأيت فى المنام قائلا يقول لى : لم لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك ؟ فقلت: ألجمتنى كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ، وخفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها ، فقال: أجز ما أقول [من الطويل] :

ثوَى الجودُ والكافى معاً فى حُفَيرةٍ

فقلت :

ليأنسَ كلٌّ منهما بأخيهِ

فقال :

هما اصْطَحَبَا حيَّيْنِ ثم تعانَقَا

فقلت :

ضجيعينِ فى لحدٍ بباب دريه

فقال :

إذا ارْتَحلَ الثاوُونَ عن مُسْتَقَرِّهمْ

فقلت :

أقاما إلى يوم القيامة فيهِ

وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ، ثم نقل إلى أصبهان ودفن فى قبة تعرف بباب دريه ، قال ابن خلكان : وهى عامرة الآن ، وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض ، رحمه الله وعفى عنه !

***

من شواهد الاقتباس

لئن أخطأتُ فى مَدْحيـــك ما أخطأتَ فى مَنْعى (١)

٢٠٩ — لقَدْ أنزلْتُ حاجاتى بوادٍ غيرِ ذى زَرعِ

البيتان من الهزج ، وينسبان لابن الرومى، لكن رأيت فى الأغانى نسبتهما إلى إسماعيل القراطيسىّ ، ولفظه : حدّث أحمد بن بشر المرثدىّ قال : مدح إسماعيل القراطيسىّ الفضل بن الربيع ، فحرمه ، فقال فيه ، وذكر البيتين ، وذكر قبلهما بيتاً آخر ، وهو :

ألاَ قُل للَّذِى لم يَهْـــدِهِ الله إلى نَفْعِي

ورأيت فى كتاب الدر الفريد بعد البيت الأوّل بيتين ، وهما :

لِسَانِى فيك مُحْتَاجٌ إلى التَّخليعِ والقَطْعِ

وأنيَــابى وأضْرَاسِى إلى التكسير والقَلْعِ

والشاهد فيهما : الاقتباس من القرآن مع نقله عن معناه الأصلى ، فإن معناه فى القرآن وادٍ لا ماء فيه ، وهنا نقله إلى جَنَاب لا خَيْرَ فيه ولا نفع

ومثله قول الخباز البلدى [من الطويل] :

ألا إن إخوانى الذين عَهِدْتهم أفاعى رمالٍ لا تُقَصِّرُ عن لَسْعى

ظَنَنْتُ بهم خيراً فلما رأيتهم نَزَلْتُ بوادٍ منهُمُ غير ذى زرع

وقول الآخر [من السريع] :

جميعُ ما يفعلهُ كلفَةٌ إلا أذاهُ فَهْوَ بالطبعِ

من حل منا بِفِناه له حل بوادٍ غيرِ ذى زرعِ

ولمؤلفه وقد نقله إلى المدح [من مجزوء الوافر] :

عجبت لمطلبى أنّى يقَابَلُ منك بالمنعِ

(١) فى الأصول « فى مدحك فما » وأثبتنا ما فى نسخ التلخيص

وما أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرْعِ

ترجمة إسماعيل القراطيسى

والقراطيسى هو إسماعيل بن معمر ، الكوفى ، مولى الأشاعثة ، وكان مألفا للشعراء ، وكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون ويدعوا لهم القيان وغيرهن من الغلمان ، ويساعدهم ، وإياهم يعنى أبو العتاهية بقوله [من مجزوء الوافر] :

لقد أمسى القراطيسىُّ رأساً فى الكساجبة

يعنى الكشاخنة .

ومن شعره [من السريع] :

ويلى على ساكن شطِّ الصَّراةْ مرر حُبِّه علىَّ الحياهْ

ما تنقضى من عجب فكرتى من خصلة فرَّطَ فيها الولاه

تَرْكُ المحبينَ بلا حاكمٍ لم يقعدوا للعاشقين القضاه

يقول فيها :

وقد أتانى خبرٌ ساءنى مَقَالُهَا فى السرِّ واسوْأتاهْ

أمثل هذا يبتغى وَصْلَنَا أما يرى ذا وجْهَهُ فى المراه

قال القراطيسى : قلت للعباس بن الأحنف : هل قلت فى معنى قولى هذا شيئا ؟ فقال : نعم ، ثم أنشدنى [من السريع] :

جارية أعجبَهَا حُسْنُهَا ومثلها فى الناس لم يُخلَقِ

خبرْتُهَا أنى محبٌّ لها فأقبلَتْ تضحكُ من منطقى

والتفتت نحو فتاة لها كالرشا الوسنان فى قَرْطَقِ

قالَتْ لها قُولِى لهذا الفتى انظُرْ إلى وجهك ثم اعشَقِ

وحدّث أبو هفان عن الجماز قال : اجتمع يوما أبو نُوَاس وحُسَين الخليع

وأبو العتاهية فى الحمام ، وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع اليوم ؟ فقال القراطيسى [من مجزوء الوافر] :

أَلاَ قُومُوا بأَجْمَعِكُمْ   إلى بَيْتِ القَرَاطِيسِى
فَقَدْ هَيَّا لنَا نُزُلاً   غلامٌ فَارِهٌ طُوسِى
وقد هَيَّا زُجَاجَاتٍ   لَنَا من أرْضِ بَلْقِيسِ
وأَلْوَاناً من الطَّيْرِ   وأَلْوَاناً من العِيسِ
وقينَاتٍ من الحُورِ   كأَمْثَالِ الطَّوَاوِيسِ
فنيكوهُنَّ فى ذا كم   نَقُمْ فى طاعةِ إبليس

* * *

٢١٠—قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أن يَكُونَا   إنَّا إلى الله رَاجِعُونَا

من شواهد الاقتباس

البيت من مخلع البسيط ، وقائله بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه ، وذكر صاحب قلائد العقيان أنه قيل فى الرئيس أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وقال : شهدت وفاته سنة سبع وخمسمائة ، وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء ابن أزرق وهو يبكى ملء عينيه ، ويقلب على ما فاته كفيه ، وينادى بأعلى صوته ، أسفاً على فوته :

كان الذى خفت أن يكونا   إنا إلى الله راجعونا

والشاهد فيه : الاقتباس مع تغيير يسير فى التقفية

ومن الأمثلة الشعرية فى الاقتباس قول الأحوص [من الطويل] :

إذا رُمْتُ عنها سلْوَةً قال شافعٌ   من الحبِّ : ميعادُ السلوِّ المقَابِرُ
ستَبقى لها فى مُضْمَرِ القلبِ والحشا   سَرَائرُ ود يومَ تُبْلَى السرائرُ

وقول البديع الهمذانى [من المتقارب] :

لآلِ فريغون فى المكرمات يدٌ أولا واعتذار أخيرًا
إذا ما حَلَلْتَ بمغناهمُ رأيتَ نَعِيماً وملكا كبيرًا

وقول الأبيوردى [من الكامل] :

وقصائد مثل الرياض أضعتها فى باخلٍ ضاعَتْ به الأحساب
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا الممدوح قالوا ساحرٌ كذَّابُ

وقول محمد الشجاعى [من الرمل] :

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فسواءٌ أقبلُوا أم أدْبَرُوا
بدت البغضاء من أفواههمُ والذى يخفُونَ منها أكثرُ

وقول القاضى منصور الهروى [من الطويل] :

ومنتقِبٍ بالورد قبَّلْتُ خدَّهُ وما لفؤادى من هوَاهُ خَلَاصُ
فأعرَضَ عنى مُغْضَباً قلت لا تَجُزْ وقَبِّلْ فَفِى إن الجروح قصاصُ

وقول أبى الفضل عبد الله بن محمد الحبرى [من الكامل] :

أشكو الأقارب لا يغبُّ جفاهم يبغى أذاى صغيرُهم وكبيرُهُمْ
هُمْ يُعلنون لَدَى اللقاء مَوَدَّتى والله يَعْلَم ما تُكِنّ صُدُورُهُمْ

وقول أبى منصور عبد الرحمن بن سعيد [من الخفيف] :

خلة الغانيات خلة سوء فاتقُوا الله ياأُولى الألباب
و إذا ماسألتموهنّ شيئاً فاسألوهنّ مِنْ وَرَاء حِجَاب

وقول الحكيم [من الوافر]:

سبَقْتَ العالمين إلى المعالى بصائب فكرة وعلوِّ هِمَّهْ
ولاحَ بحكمتى نورُ الهدىٰ فى ليالٍ للضلَالَةِ مُدْلَهِمَّهْ

يريد الجاهلون ليُطفئوهُ   ويأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّهْ

وقول أبى عبد الله الأبيوردى [من الوافر] :

أردتُ زيارة الملكِ المُفدَّى   لأمدحَهُ وآخذ منه رفدَا

فعَبَّسَ حاجباً فقرأتُ : أما   مَنِ استغنى فأنت له تَصَدَّى

وقول الخباز البلدى [من الطويل] :

كأن يمينى حين حاوَلْتُ بَسْطَهَا   لتوديعه إلى والهوَى يَذرفُ الدَّمْعَا

يمينُ ابن عمران وقد حاول العصَى   وقد جُعلت تلك العصى حَيَّةً تَسْعَى

وقائلة هل تملكُ الصبرَ بعدهم   فقلت لها لا والذى أخرج المرعى

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيبُ وخلّف القَلْبَا   يُبْدِى الغرام ويظهر الكربا

قد قلت إذ سار السَّفينُ به   والشوقُ يَنْهَبُ مُهجتى نَهْبَا

لو أن لى عزًّا أصول به   لأخذت كل سفينة غصبا

وقول الأستاذ أبى محمد العبد لكانى [من المتقارب] :

إذا كنت متخذاً ضَيْعَةً   فإياك والشركاء الوُجُوهَا

ودار الملوكَ فإن الملوكَ   إذا دخلوا قَرْيَةً أفسدوها

وقول الأمير نصر الدين أحمد الميكالى [من المقتضب] :

ياقَوْمَنا لا تُضيعُوا   ذمامَ كلٌّ حميم

ولا تخلُّوا جُحُوداً   بحق خلٍّ قديم

وذكروا النفس حقاً   بقول رب رَحيم

إنى أخافُ عليكم   عذاب يوم عظيم

وقول بعضهم يهجو بخيلا [من الهزج] :

رأى ضيفك فى الدار وكرب الجوع يغشاه
على خبزك مكتوباً فسيكفيكهم الله

وقول محمد بن نصر الباخرزى [من الخفيف] :

وفتاة ألبستُها من ثيابى ملبساً فيه نزهةٌ ونعيمُ
غدرتْ بى وغادرتنى وحيداً إن ربى بكيدهن عليمُ

وقول المطوعى [من السريع] :

انظر إلى وجه صديق لنا كيف محا الشوكُ به النقشا
قد كتب الدهر على خده بالشعر (والليل إذا يغشى)

وقول الأديب شهاب الدين أحمد الأمشاطى [من الوافر] :

وفتاكِ اللواحظِ بعد هجرٍ حبا كرماً وأنعم بالمزارِ
وظلَّ نهارَه يرمى بقلبي سهاماً من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه وحكم النوم فى الأجفان سارى
تباركَ من توفَّاكم بليلٍ ويعلم ما جرحتم بالنهارِ

وقول شيخ شيوخ حماة [من البسيط] :

يا نظرةً ما جلت لى حسنَ طلعته حتى انقضتْ وأدامتنى على وجلِ
عاتبتُ إنسان عينى فى تسرُّعهِ فقال لى (خلق الانسان من عجلِ)

وقوله أيضاً [من السريع] :

أدمعتَ عينى فمن أجلِ ذا بكى على حالىَ مَنْ لا بكى
أوقعنى إنسانها فى الهوى (يا أيها الانسان ما غرّكا)

وقول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

وأغيدَ حارت فى القلوب لحاظه وأسهرتِ الأجفانَ أجفانهُ الوسنى

أجِلْ نظراً فِى حاجبيهِ وَطرْفهِ
ترَى السحرَ منهُ قابَ قوسين أوْ أدْنىَ

وقول ابن قرناص [من مجزوء الكامل] :

إنَّ الذينَ ترَحلوا نزلوا بعينٍ ساهرَهْ
أسكَنتهُم فى مقلتى فاذَا همُ بالساهرَهْ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرمل] :

رب فَلاَّح مليـح قال يا أهل الفتـوَّه
كفلى أضعفَ خَصرى فأعينُـونى بِقـوَّه

وقول الحافظ العلامة ابن حجر العسقلانى [من الكامل] :

خاضَ العوَاذِلُ فِى حَديثِ مَدَامعى
لمـا جرَى كالبحْرِ سرعةَ سَيرِهِ
فحَبستهُ لأصُونَ سِرَّ هوَاكمُ
حَتى يخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيرِه

وقد سبق إلى هذا الاقتباس ، الفقيه الواعظ إبراهيم بن سعيد البردشيرى بقوله [من الكامل] :

خالِلْ إذَا خالتَ خلا خيِّراً وَبهِ تمسك تقتبس من خيرِهِ
واهْجرأناساًمهْجرِين أولىجفاَ فالهجْرُ سَامعه دريئة ضيره
وَإذَا رأيتهم فأعرضْ عنهمُ حتى يخوضوا فى حديث غيرِهِ

وما أحسن قول بعضهم وأصدقه [من الكامل] :

أما السماحُ فقد مضى وقد انقضي فَتَسَلَّ عنهُ ولاَ تَسَلْ عَنْ خيرِهِ
واسكتْ إذاخاض الورَى فى ذكره حتى يخوضوا فى حَدِيث غيرِهِ

وقول الآخر [من المتقارب] :

دخلتُ على كافرٍ دارَهُ وأشجارُ بستانِهِ زاهرَهْ
وقد وافقَ الزهرُ نقشَ البساط فعيني لما أبصرَتْ حائرهْ
جنانٌ تزخرفُ للكافرينَ ونحن نُحالُ على الآخرهْ
فإن يكُ في الحشرِ حالى كذا فتلك إذاً كرَّةٌ خاسِرَهْ

وأحسن ابن سناء الملك فى بعض مطالعه بقوله [من الكامل] :

رَحلوا فلستُ مسائلاعن دارهم أنا باخعٌ نفسى على آثارهم

وما ألطف قول ابن عبد الظاهر فى معشوقه نسيم [من الكامل] :

إن كانت العشاقُ فى أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولاَ
فأنا الذى أتلو عليهم ليتنى كنتُ اتخذتُ معَ الرسول سبيلاَ

وقول المعمار [من مخلع البسيط] :

ابنُ الجمالىِّ مات حقًا برّح بى موته وآذَى
وَرحتُ أقرَا عليه جهراً ياليتنى مِتُّ قبل هذا

ومن أفحش السخف وأقبحه إدراج المفحشين من الشعراء الآيات الشريفة فى أشعارهم على طريق المجون والسخف ، كقول القائل [من السريع] :

أوحى إلى عشاقه طرْفُهُ هيهاتَ هيهاتَ لما توعدون
وردفُه ينطق من خلْفه لمثل ذا فليعمل العاملون

وكقول أبى نواس [من مجزوء الرمل] :

خط فى الأرداف سطرٌ فى عروض الشعر موزون
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

وقول ابن العفيف التلمسانى [من مجزوء الرجز] :

يا عاشقين حاذروا مبتسماً عن ثغره
فطرفه الساحر مذ شككتم في أمره
يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره

والتهاون في مثل ذلك يجرُّ إلى الانسلال من الدين ، والعياذ بالله تعالى .

ومن الاقتباسات التي هي غير مقبولة قول ابن النبيه في مدح القاضي الفاضل [من الخفيف] :

قمت ليل الصدود إلا قليلا ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل وهجرت الرقاد هجراً جميلا
مسمعٌ ملَّ من سماع عذول حين ألقى عليه قولاً ثقيلا
وفؤاد قد كان بين ضلوع أخذته الأحباب أخذاً وبيلا
قل لراقي الجفون إن لعيني في بحار الدموع سبحاً طويلا
ماس عجباً كأنه ما رأى غصناً طليحاً ولا كثيباً مهيلا
وحمى عن محبه كأس ريق حين أمسى مزاجها زنجبيلا
بان عني فصحت في أثر العيس ارحموني وأمهلوني قليلا
أنا عبد للفاضل بن علي قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعداً بغير نوال إنه كان وعده مفعولا
جل عن سائر الخلائق قدراً فاخترعنا في مدحه التنزيلا

نعوذ بالله سبحانه من مغالاته وفرط إغراقه ، فإن مذهبه في ذلك مشهور .

ومنه قول البهاء زهير [من الخفيف] :

وسقاني من ريقه البارد العذ ب كؤوساً حوت شراباً طهورا

بقوارير فضة من ثنايا قدروها بلؤلؤ تقديرا
وغيوم مثل الجمان فما تنـــظر فيها شمساً ولا زمهريرا
نصب روض وشي النسيم عليه فانبرى سعيه به مشكورا
أيها الحاسد الملفند إما إن تكن شاكراً وإما كفورا
كيف تجفو التي يطير بها الهم وإن كان شره مستطيرا

وهذا النوع محظور، وقد تجاوز فيه بعض العلماء، وتجنبه أولى بالأدب.

ومن الاقتباس من الحديث قول الصاحب بن عباد [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له سحاباً من الهجران مقبلة إلينا
وقد سحت عزاليها بهطل حوالينا الصدود ولا علينا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي [من السريع] :

ومنكر قتل شهيد الهوى ووجهه ينبىء عن حاله
اللون لون الدم من خده والريح ريح المسك من خاله

وقول أبي جعفر الأندلسي الغرناطي [من الرمل] :

لا تعاد الناس في أوطانهم قلما يرعى غريب الوطن
وإذا ما شئت عيشاً بينهم خالق الناس بخلق حسن

وقول أبي الحسن الباخرزي صاحب دمية القصر [من البسيط] :

ياحادي العيس رفقاً بالقوارير وقف فليس بعار وقفة العير
واحلب ما في عين طالما قطرت حمر الدموع على البيض المقاصير

اقتبسه من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأنجشة ، وكان يحدو بالإبل التي عليها نساء النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « يا أنجشة رويدك

بسوقك بالقوارير » شبه النساء بها لضعف عزائمهن ، وقلة دوامهن على العهد ، لأن القوارير يسرع إليها الانكسار ولا تقبل الجبر.

ومن الاقتباس فى صناعة الحديث قول ابن جابر [من الطويل] :

أرادت على دعوى المحبة شاهداً   فقلت لها هذى دموعى تسلسل

فقالت لها جرح بخدك بين   فتلك شهود عندنا لم تعدل

وإن حديث الدمع عندى مرسل   وليس على ما أرسلوا من معول

فيا عجباً من حسنها وهو مالك   ومرسل دمعى عنده غير معمل

ومن الاقتباس فى علم الخلاف ، قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

عرض الحب دون جوهر ذاك النغر من أعظم المحال لجودى

أجمع الناظرون فى ذاك أن لا   عرض دون جوهر فى الوجود

وقوله أيضاً فى الاقتباس من الأصول [من الخفيف] :

جئتها طالباً لسالف وعد   فأجابت لقد جهلت الطريقة

إنما موعدى مجاز ! فقلت : الأصل فى سائر الكلام الحقيقة

ومن الاقتباس فى الفقه قول المتنبى [من الطويل] :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها
وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

فنى تغرم الأولى من اللحظ مهجتى
بثانيــة والمتلف الشىء غارمه

وقول بعضهم أيضا [من الوافر] :

أقول لشادن فى الحسن أضحى   يصيد بلحظه قلب الكمى

ملكتَ الحسنَ أجمعَ في نصابٍ فأدِّ زكاةَ منظرِكَ البهيِّ (١)
فقالَ أبو حنيفةَ لي إمامٌ يرى أن لا زكاةَ على الصبيِّ
فإنْ تكُ مالكيَّ الرأي أو مَنْ يرى رأيَ الإمام الشافعيِّ
فلا تكُ طالباً مني زكاةً فإخراجُ الزكاة على الوصيِّ

وقول ابن جابر الأندلسي [من الطويل] :

طلبتُ زكاةَ الحسنِ منها فجاوبتْ إليكَ فهذا ليسَ تدركُه مِنِّي
عليَّ ديونٌ للعيون فلا ترُمْ زكاةً فإنَّ الدَّينَ يُسقطها عنِّي

وقول القاضي عبد الوهاب المالكي [من السريع] :

يزرعُ وَرْداً ناضراً ناظري في وجنةٍ كالقمرِ الطالعِ
فلم حرَمتمْ شفتي قطفَهُ والحكمُ أنَّ الزرع للزارعِ

وقوله أيضا [من الطويل] :

وناعمةٍ قبلتها فتنبهتْ وقالتْ تعالوْا فاطلبُوا اللصَّ بالحدِّ
فقلتُ لها إني فديتكِ غاصبٌ وما حكمُوا في غاصب بسوى الرَّدِّ
خذيها وكُفِّي عنْ أثيم ظُلامة وإن أنتِ لم ترضَيْ فألف على عدِّ
فقالتْ قصاصٌ يشهدُ العقلُ أنه على كبدِ الجاني ألذُّ من الشهدِ
فباتتْ يميني وهي هميانُ خصرها وباتتْ يساري وهي واسطةُ العقدِ
فقالتْ ألم أُخبَرْ بأنكَ زاهدٌ فقلتُ بلى مازلتُ أزهد في الزهدِ

وقول صدر الدين ابن الوكيل [من البسيط] :

---

(١) حفظي أن بين هذا البيت والذي بعده بيتا آخر ، وهو قوله :
وذاك بأن تجود لمستهام برشف من مقبلك الشهي

يا سيدي إن جرى من مدمعي ودمي

للعين والقلب مسفوح ومسفوك

لا تخش من قود يقتص منك به

فالعين جارية والقلب مملوك

وقول الصاحب بن عباد [من الكامل]:

ومهفهف يغني عن القمر ... قمر الفؤاد بفاتر النظر

خالسته تفاح وجنته ... من غير إبقاء ولاحذر

فأخافني قوم فقلت لهم ... لاقطع في ثمر ولا كثر

وقول أبي الفتح البكتمري [من الكامل]:

ردوا الهدو كما عهدت إلى الحشا ... والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا

من بعد ملكي رمتم أن تغدروا ... ما بعد فرقة بيعتين تخير

ومن الاقتباس في علم المنطق قول ابن العفيف [من المنسرح]:

للمنطقيين أشتكي أبدا ... عين رقيبي فليته هجعا

حاذرها من أحبه فأبى ... أن نختلي ساعة ونجتمعا

كيف غدت دائما وما اتصلت ... مانعة الجمع والخلو معا

وقول ابن جابر الأندلسي [من المنسرح]:

مقدمات الرقيب كيف غدت ... عند لقاء الحبيب متصله

تمنعنا الجمع والخلو معا ... وإنما ذاك حكم منفصله

وقوله أيضا [من الطويل]:

قياس غرامي صادق مع أنه ... تركب من تلك العيون السوالب

وقد حكموا أن السوالب كلما ... تركب منها لا يرى غير كاذب

وقول نجم الدين الدارمينى [من الكامل] :

لاَ تخطبَنَّ سِوَى كريمة معشرٍ فالعرقُ دسَّاسٌ منَ الطرفينِ
أولستَ تنظرُ فى النتيجةِ أنها تبعُ الأخسِّ منَ المقدمتينِ

ومن الاقتباس فى علم النحو قول المتنبى [من الطويل] :

إذا كانَ ما تنويهِ فعلاً مُضَارعاً مضىَ قبلَ أنْ تلقى عليهِ الجوازمُ

وقول نجم الدين القحفارى الحنفى [من السريع] :

أضمرْتُ فى القلبِ هوًى شادِنٍ مشتغلٍ فى النحوِ لاَ يُنْصِفُ
وصفتُ ما أضمَرْتُ يوماً لهُ فقَالَ لى المضمرُ لاَ يُوصَفُ

وقول أبى إسحاق الأندلسى الاشبيلى [من الخفيف] :

ليتنى نلتُ منهُ وصلا وأجلتْ ليلةُ الوصلِ عنْ صباحِ المَنُونِ
وقرَأنا بابَ العناق مُضافاً وحذفنا الرَّقيبَ كالتنوينِ

وقول ابن مَمَّاتى [من السريع] :

وأهيفٍ أحدَثَ لى نحوُهُ تعجباً يُعربُ عنْ ظرْفهِ
علامةُ التأنيثِ فى لحظهِ وأحرُفُ العلةِ فى طَرْفهِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الكامل] :

قالَتْ وقد حاولتُ نيلَ وصالها منْ غيرِ شىء لاَ تجوزُ المسألهْ
باللهِ قُلْ لى أيْنَ نحوكَ يافتىَ أوَرَأيتَ موصُولاً يجىء بلا صِلهْ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدَّتْ بغير ضرُورةٍ ولقبل مَعرفتى بها مقصورَه
إنَّ الخليل وإنْ دَعته ضرُورة لم يرْضَ ذَاكَ فكيف دُونَ ضرُورَه

وقول أبى جعفر الأندلسى [من الكامل] :

قد كان لى أُنسٌ بطيبِ حديثكم والآنَ صارَ حديثكم بِرسُولِ

ولقد مَدَدتَ منَ النوَى مقصورَهُ   إنَّ الخليلَ يراهُ غيرَ جميل

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدَّتْ وأنتَ خليلنا   ولقبل قد قُصرتْ برغم الكاشح

أتبعتَ فِى ذَا مَذهباً لا يُرتضَى   نقداً وليسَ الرَّأىُ فيه بصالِح

وقال محاسن الشوّاء [من المتقارب] :

أرَى الصفعَ وَدَّ منهُ القذالاَ   وأوسعَ فِى أخدعيه المجالاَ

وأسلاه عَنْ حب ذاتِ اللمَى   وإنْ هِىَ راقتْ وَفاقتْ جمالاَ

لمنْ كانَ قدْ حالَ ما بينهُ   وبينَ الحبيبة صفعٌ توالَى

فقد يحدثُ الظرْفُ بينَ المضاف   وَبينَ المضاف إليه انفصالاَ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرجز] :

وأغيدٍ يسألنى   ما المبتدَا والخبرُ

مَثِّلهما لى مُسْرعاً   فقلتُ: أنتَ القمرُ

وقول ابن أبى الأصبع [من الطويل] :

أيا قمراً من حُسْنِ وجنته لنا   وظل عِذَاريْهِ الضُّحَى والأصائلُ

جعلتُكَ بالتمييز نَصْباً لناظرى   فهلاَّ رفعْتَ الهجرَ والهجرُ فاعلُ

ومن الاقتباس فى علم العروض قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

إن صدَّ عنى فإنى لا أعاتبهُ   فما التنافرُ فى الغزلان تنقيصُ

شوقى مَدِيدٌ وحبى كاملٌ أبداً   لأجل ذلك قلبى فيه مَوْقُوصُ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

سَبَبٌ خفيفٌ خصْرُها ووراءها   مِنْ رِدْفِهَا سببٌ ثقيلٌ ظاهرُ

لم يجمعِ النوْعانِ فى ترْكيبها   إلا لأن الحسنَ فيها وافرُ

ومن الاقتباس فى علم الحساب قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

قَيِّمَ القلب فى الغرام بلحظ يَضْرِبُ القلبَ حين يُرْسِلُ سَهْمَهْ
هنه فى هَوَاه يا قومِ حالى ضاعَ قلبى ما بين ضَرْبٍ وقِسْمَهْ

ومن الاقتباس فى علم الخط قول بعضهم [من الوافر] :

بوَجه معذِّبى آياتُ حُسْنٍ فقلْ ما شئتَ فيه ولا تحاشِى
فنسْخَةُ وَجهِهِ قُرِئت فصَحَّتْ وها خط الكمال على الحواشى

وهذا القدر كاف فى الاقتباس ، إن شاء الله تعالى .

***

٢١١ — على أنّى سأنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِى أضَاعُونى وَأىّ فَتًى أضاعُوا

شاهد التضمين

البيت للحريرىّ ، من قصيدة من الوافر ، أوّلها :

لَحَاكَ الله هل مِثْلِى يُبَاعُ لِكَيْمَا تَشْبَعَ الكرشُ الجِيَاعُ
وهَلْ فى شِرْعة الانصاف أنى أكلَّفُ خُطَّةً لا تُستَطاع
وأن أُبْلَى بِرَوْعٍ بعد رَوْعٍ ومثلى حين يُبْلَى لا يُرَاعُ
أمَا جرَّبْتنى فخَبَرْتَ منى نَصَائح لم يُمازِجْهَا خِدَاع
وكم أرْصدْتَنى شَرَكاً لصَيْدٍ فَعُدْتَ وفى حبَائِلِكَ السِّبَاع
ونُطْتَ بِىَ المصاعِبَ فاستقادت مُطَاوعةً وكان بها امتناعُ
وأى كريهة لم أبلُ فيها وغنم لم يكُنْ لى فيه باعُ
وما أبْدَت لىَ الأيامُ جُرْما فيكشف عن مُصَارَمتى القناعُ
ولم تَعْثر بحمد الله منى على عيبٍ يكتَمُ أو يُذَاعُ
فأنى ساغ عندَكَ نَبْذُ عهدى كما نُبِذَت برايتها الصُّنَّاعُ
ولِمْ سمَحَتْ قرونُكَ بامتهانى وأن أُشْرَى كما يشرَى المتاعُ

وهلا صُنْتَ عِرْضى عنه صَوْنى   حديثك حين جَدَّ بنا الوداعُ
وقلتَ لمن يساومُ فىَّ : هذا   سكاب فلا يُعارُ ولا يُباعُ(١)
فَمَا أنا دونَ ذَاكَ الطِّرْفِ لكن   طِباعُكَ فوقها تلكَ الطِّبَاعُ

و بعده البيت

والشاهد فيه : التضمين ، وهو أن يُضَمن الشاعر شيئاً من شعر الغير ، مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، و إن كان مشهوراً فلا حاجة إلى التنبيه ، فالمصراع الثانى من البيت للعَرْجىِّ من أبيات قالها فى حَبْسِهِ ، وهى [من الوافر] :

أضَاعونِى وأىَّ فتىً أضاعوا   ليوم كَرِيهَةٍ وسِدادِ ثَغْرِ
وصَبْرٍ عند مُعْتَرَكِ المَنَايا   وقد شَرَعَتْ أسِنَّتُها بنَحْرِى
أجَرَّرُ فى الجَوامع كل يومٍ   فيا للهِ مظلمتى وصبرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً   ولم تك نسبتى فى آل عمرو

والكريهة : من أسماء الحرب ، وسداد الثغر هو بكسر السين فقط .

وقد ضمنه النميرى الغرناطى فقال [من الوافر] :

له شَفَةٌ أضاعوا النَّشْرَ منها   بلثم حين سَدَّتْ ثَغْرَ بَدْرى
فما أشهىَ لقلبى ما أضاعوا   ليوْم كريهة وسدادِ ثغر

ومن لطيف ما يذكر هنا أن رجلا قدم ابنه إلى القاضى ليحجر عليه ،

---

(١) يشير بهذا إلى قول شاعر أراد أحد الأمراء أن يأخذ فرسا له اسمها سكاب :

أبيت اللعن إن سكاب علق   نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا   يجاع لها العيال ولا تجاع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها   ومنعكها بشىء يستطاع

وابن أبى الأصبع سمى هذا النوع إيداعا ، وفرق بينه و بين التضمين

فقال الابن : كيف تحجر على وأنا أحفظ القرآن ؟ فقال الأب : أصلحك الله !
إن كان يحفظ آية من كتاب الله فلا تحجر عليه ، فقال له القاضى : اقرأ ، فقال
[من الوافر] :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال الأب: أصلحك الله ! إن قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه ، فحجر عليهما
معا .

وقد تقدمت ترجمة كل من الحريرى والعرجى فى هذا الفن الثالث ولله الحمد.

* * *

من شواهد التضمين

٢١٢ - إذا الوَهمُ أبْدَى لى لمَاها وثَغْرَها تذكّرتُ ما بينَ العُذَيبِ وبارِق
وَيُذكِرُنى مِن قَدّها ومَدامِعى مَجَرَّعَوا لِينَا وَمَجْرَى السَّوابِقِ

البيتان لابن أبى الأصبع ، من الطويل

والعذيب : ماء من مياه العرب ، و بارق : من دياراتها

والشاهد فيهما : التضمين ، فان المصراعين الأخيرين منهما مطلع قصيدة ،
لأبى الطيب المتنبى يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر وقعته ببنى عقيل ، فنقلهما
ابن أبى الأصبع من الحماسة إلى الغَزَل ،

والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

أعِزْ مقلتى إن كنت خير مُوافِقِ دُموعاً لتبكى فقَدْ حِبّ مُفَارِقِ
قد نَضَبَتْ يومَ الوداع مَدَامعى وشابت لتشتيت الفراق مَفَارِقى

وقد ضمنه ابن مطروح بقوله [من الطويل] :

إذا ما سقانى ريقَهُ وَهوَ باسمٌ تذكرت ما بين العذيب و بارق

والاستعانة والعنوان بأن التضمين يقع فى النظم والنثر ، ولا يكون إلا بالنثر ، ويكون من المحاسن والعيوب ، لكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع فى النظم بالنظم ، وأما الايداع والاستعانة — وإن وقعا معا فى النظم والنثر — فلا يكونان إلا بالنظم ، دون النثر ، وأما العنوان فانه يقع فى النظم والنثر ، ولا يقع بالنثر ، ولا يكون إلا من المحاسن دون العيوب ، فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمى إيداعا لا تضمينا .

وحيث ذكرنا الاستعانة والعنوان فلا بأس بذكر شيء من شواهدهما ، تتميما للفائدة ، ثم نرجع إلى ما نحن بصدده

الاستعانة وأمثلتها

فالاستعانة : أن يستعين الشاعر ببيت لغيره فى شعره ، بعد أن يوطىء له توطئة لائقة به ، بحيث لا يبعد ما بينه و بين أبياته ، وخصوصاً أبيات التوطئة ، وكذلك الناثر ، إلا أن يكون البيت لنفسه؛ فيسمى تشهيراً

فمن أمثلة الاستعانة فى الشعر قول الحارثى [من الطويل] :

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مُبَادِرُ ... وقد شَرِقَتْ بالماء منها المَحَاجِرُ
وقد أبْصَرَتْ نُعْمَانَ من بَعدِ أُنْسِهَا ... بنا وهى منا مُوحشات دَوَاثِرُ
(كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامِرُ)
فقلت لها والقلب منى كأنما ... يُقَلِّبُه بين الجوانح طائرُ
(بلى ، نحنُ كُنَّا أهْلَهَا فأبادنا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ)

فاستعان ببيتى خرقة بنت تبع[1] .

وقول ابن أبى الأصبع يهجو يهوديا طبيبا [من الطويل] :

رأيت أبا الخير اليهودىَّ ماسكاً ... بقارُورة كالوَرْسِ راق حليبُهَا
وقد رشَّ منها فوق صفْحَةِ خدِّه ... وقال لقد أحيا فؤادى طِيبُهَا
فقلت له : ما هذه ؟ قال : بَوْلَةٌ ... لأسْوَدَ يشفى الداء منى قَضِيبُهَا

(١) المشهور ان البيتين لمضاض بن عمرو الجرهمى

قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هوَى كل نفسٍ أين حل حبيبها

قال ابن أبي الأصبع : ولا يضر تصحيف الحرف وتحريفه من الكلام المتقدم ليدخل في معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة، كما فعلت ببيت من الحماسة حين قلت [من الطويل] :

إذا ما خليلٌ صدّ عنك ملالةً وأصبحَ من بعد الوفا وهوَ غادرُ

فلا تحتفلْ واستغنِ بالله إنه على أن ترَى عنه غنيًّا لقادرُ

وهَبْه كشيء لم يكن أو كنازحٍ به الدارُ أو مَنْ غيَّبتْهُ المقابرُ

فإن هذا البيت كان نسيبا وكان أوله « فهبها » فحرفت ضمير التأنيث لضمير التذكير حتى دخل في معناى .

قلت : تقدم ذكر هذا البيت في شواهد التقسيم ، وأنه لعمر بن أبي ربيعة المخزومي .

العنوان وأمثلته

وأما العنوان فهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو هجاء أو مديح أو عتاب أو غير ذلك ، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة أو قصص سالفة كقول أبي نواس [من البسيط] :

يا هاشمُ بنَ خديجٍ ليسَ فخرُكمُ بقتلِ صهرِ رسولِ اللهِ بالسَّدَدِ

أدرجتم في إهاب العير جثَّتَهُ لبئس ما قدّمت أيديكمُ لِغَدِ

إنْ تقتلوا ابنَ أبي بكرٍ فقد قتلَتْ حُجْراً بدارةِ مَلْحوبٍ بنو أسَدِ

وقد أصابَ شراحيلا أبو حَنَشٍ يوْمَ الكُلابَ فما دافعتُمُ بيَدِ

ويَوْمَ قلتم لعَمْرٍو وهو يَقتُلُكم قتلَ الكلابِ لقدْ أبْرَحْتَ بالولد

ويوْم كِنْدِيَّة قالت لجارتِها والدمع يَنْهَلُّ من مَثْنَى ومن وَحَدِ

ألْهَى امرأَ القيْسِ تشبيبٌ بغانيةٍ عن ثأرِهِ وصِفاتُ النؤى والوَتِدِ

فاشتملت هذه الأبيات على عدة عنوانات ، منها قصة قتل محمد بن أبي بكر

الصديق رضى الله عنهما ! وقتل حجر أبى أمرىء القيس [(١)] وقتل عمرو بن هند كندة فى ضمن هجاء من أراد هجاءه ومعيرة المهجو بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم .

ومثل ذلك قول أبى تمام لأحمد بن أبى دؤاد [من الوافر] :

تَذَبَّبْتُ ، إن قولا كان زوراً ... أتى النعمان قَبْلَكَ فى زيادِ

فأرَّث بين حى بنى جلاح ... لَظَى حَرْب وحى بنى مصادِ

وغادرَ فى صُدُور الدهرِ قتلى ... بنى بدر على ذات الأصادِ

فأتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة حين وشى به الواشون إلى النعمان ، وما جرى فى ذلك من السعى للحروب التى انطوت عليها قطعة من أيام العرب .

وهذا القدر كاف فلنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول :

عود إلى التضمين

ثم التضمين تارة يكون ببيت فما فوقه ، أو بمصراع فما دونه ، فمن إنشادات ابن المعتز فيه [من السريع] :

عَوَّذَ لما بتُّ ضيفاً لهُ ... أقراصَهُ منى بياسينِ

وعَوَّذَ الماء بسُمْرِ القنا ... وبالأفاعى والثعابين

فبت والأرض فراشى وقد ... غنت قفا نبك مَصَارينى

والأحسن فى هذا النوع صرفه عن معناه الأول ، فمن ذلك قول أبى الحسن حازم فى تضمين قصيدة امرىء القيس وقد صرف معانيها إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

لعينيك قُلْ إن زرْتَ أفضل مرسل ... (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

---

(١) فى المطبوعتين « وقتل حجر بن امرىء القيس » وارجع إلى شرح الشاهد الأول من شواهد هذا الكتاب

وفى طيبة فانزل ولا تغش منزلا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

ومن أبدع ماله فيها :

نبى هدى قد قال للكفر نوره (ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى)
تلا سورا ما قولها بمعارض (إذا هى نصته ولا بمعطل)
لقد نزلت فى الأرض حلة هديه (نزول اليمانى ذى العياب المخول)
أتت مغربا من مشرق وتعرضت (تعرض أثناء الوشاح المفصل)
ففازت بلاد الشرق من زينة بها (بشق وشق عندنا لم يحول)

وقد تلاعب الشعراء بتضمين هذه القصيدة ، فمن ذلك قول أبى منصور العبدونى :

أكتاب ديوان الرسائل مالكم تحملتم بل متم بالتحمل
وأرزاقكم لا تستبين رسومها (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
إذا ما شكا الإفلاس والضر بعضكم (تقولون لا تهلك أسى وتجمل)
خلقتم على باب الأمير كأنكم (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومما كتب به الصلاح الصفدى إلى ابن نباتة :

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى (كجلمود صخر حطه السيل من عل)
وترمى على طول المدى متجنبا (بسهميك فى أعشار قلب مقتل)
فأمسى بليل طال جنح ظلامه (على بأنواع الهموم ليبتلى)
وأغدو كأن القلب من وقدة الجوى (إذا جاش فيه حميه غلى مرجل)
تطير شظاياه بصدرى كأنها (بأرجائه القصوى أنابيش عنصل)
وسالت دموعى من همومى ولوعتى (على النحر حتى بل دمعى محملى)
ترفق ولا تجزع على فائت الوفا (فما عند رسم دارس من معول)

فى أبيات . . . .

فأجابه ابن نباتة منهكما فى المطلع بقوله :

فطمت ولائى ثم أقبلتَ عاتباً (أفاطمُ مَهْلاً بعض هذا التدلُّلِ)
برُوحىَ ألفاظ تعرض عَتْبُها (تعرُّض أثناء الوشاح المفصَّلِ)
فأحْيَيْتَ ودًّا كان كالرسم عافيا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
تُعَفِّى رياحُ العذلِ منك رُقُومَه (لما نسَجَتْها من جَنُوب وشمأل)
تَمَزَّقوضتْ منك المودَّة وانقَضتْ (فيا عَجَباً منْ رَحْلها المتحمَّل)
أمَوْلاىَ لا تسْلُكْ من الظلم والجفا (بنا بَطْنَ خَبْتٍ ذى قِفَاف عقنْقل)
ولا تنس منى صُحْبَةً تصدع الدجى (بصبح وما الاصباح منك بأمثل)

وهى طويلة ، يقول فى آخرها :

فدونك عَتْبى اللفْظُ ليس بفاحشٍ (إذا هى نَصّتْهُ ولا بمعطلِ)
وعاداتُ حب هن أشهر فيك من (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومن التضمين الغريب ما اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس فى مداعبة رجل من أصحابه كان كبير الأنف ، وهو [من الطويل] :

تأنف عن وَصفِ الغزال تَغَزُّلى بلحية أنف ذى عِقَاصٍ ومُرْسَلِ (١)
من البق فيها جُمْلة قد تعرضت (تعرض أثناء الوشاح المفصل)
فيا قبْحَ شعر فوق أنفٍ معرْقَفٍ (أثيث كقِنْوِ النخلةِ المتعثكل)
وقالوا اختبِىء فى شعره فكأنه (كبير أناسٍ فى بجادٍ مزمَّلِ)
ترى القمل والصئبان فى عَرَصاتها (وقيعانها كأنه حبُّ فلفل)

إلى أن قال :

---

(١) آخر هذا البيت من قول امرىء القيس ، وهو للشاهد الأول :

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى و مرسل

وكم قلت إذ أرخى ذوائبَ أنفهِ (على بأنواع الهموم ليبتلى)
(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل)
كأن الفُسا إن قيسَ مَعْ ريح أنفه (نسيم الصبا جاءت بَرَيَّا القرنفل)
ترى شعراتِ الأنف سدت خدودهُ (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
وقد دَرَست بالأنف آثارُ وجهه (فهل عند رسم دارسٍ من معول)
كأنى بمولانا علىَ وَصف أنفهِ (تولى بأعجاز وناء بكلكل)
وَجرّد شعْرَ الأنفِ منا وجاءنَا (بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلَ)
(مكرّ مفرّ مقبل مُدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علَ)

ومن ظريف التضمين قول أبى الحسين الجزار ، مضمنا قصيدة امرىء[1] القيس المذكور[2] :

قفا نبكِ من ذكرى قميص وسروالِ وَدُرّاعةٍ لى قدْ عفاَ رَسْمها البالى
وما أنا مَنْ يبكى لأسماءَ إنْ نأت ولكننى أبكى علىَ فقدِ أسمالى
لوَ ان امرَأ القيس بن حُجْرٍ رأى الذى أكابدُه مِنْ فرط همٍّ وَبلبال
لما مال نحو الخدر خدر عنيزةٍ ولا بات إلا وهوَ عن حبها سالى
ولى من هوى سكنى القياس عن هوى بتوضح فالمقراة أعظم أشغال
ولاسيما والبرد وافى بَرِيدُهُ وحالى على ما اعتدت من عسرة حالى

---

(١) ضمن هذه القصيدة ألفاظا من معلقة امرىء القيس التى أولها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وألفاظا أخرى من لامية امرىء القيس التى أولها :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

بل الأكثر من هذه القصيدة .

(٢) فى أصول هذا الكتاب « قصيدة امرىء القيس المذكورة » ولما كانت حقيقة الأمر ما ذكرنا أصلحناه بحذف التاء

ترى هل يرانى الناس فى فرجةٍ أجرُّ بها تيهاً على الأرض أذيالى
ويُمسِى عَدُوِّى غير خال من الأسى إذا بلت عن أمثالها بينهُ خالى
ولو أننى أسعَى لتفصيل جبة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدِ بجوخةٍ وقد يُدْرِكُ المجد المؤثل أمثالى

ومنها :

وكم ليلةٍ أستغفرُ الله بتُّها بجد وريق بين وَرْدٍ وجِرْيالِ
تَبَطَّنت فيها بَدْرَ تم مُشَنَّف ولَمْ أتبَطَّنْ كاعباً ذات خلخال

وما أحسن قول ابن نباتة [من الوافر] :

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا وباتوا عاكفين على الملاح
(ألستم خَيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ)

وقوله [من الطويل] :

تَصَدَّى إلى إيرى فقلت له اتَّئِدْ وحقِّكَ لو عايَنْتَهُ وهو ثائرُ
(رأيت الذى لا كلُّهُ أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ)

وما أحسن قول الناصر البارزى فى هذا المعنى [من الوافر] :

أقول وقد أبى عن أخذ إيرى وسالَتْ مِنْ محاجِرِه دُمُوعُ
(إذا لم تستَطعْ شيئاً فدَعْهُ وجاوزه إلى ما تستطيعُ)

وقول الاسعردى سامحه الله تعالى [من السريع] :

قال وقد قَصَّرْتُ فى نَيْكه سُدَّ فَضَا مَبْعَرَى الواسعِ
فقلت يا مولاى عُذْراً فقد (اتَّسَعَ الخرقُ على الراقِع)

ذكرت بهذا التضمين ما حكى عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال له بعض أصحابه فى هربته التى قتل فيها يا مولانا أين ذلك التدبير، وتلك

السياسات ؟ فأنشد [من السريع] :

التوبُ إن أسرع فيه البلى أعيا على ذى الحيلةِ الصانعِ
كنا نُداريها وقد مُزقتْ (واسعَ الخرق على الراقعِ)

وقد أبدع ابن نباتة بقوله [من الكامل] :

لم أنسَ موقفنا بكاظمة والعيشُ مثلُ الدار مُسْوَدُّ
والدمعُ يُنشِدُ فى مسايله (هل بالطُّلولِ لسائلٍ ردُّ)

وما أحسن قول بعض المغاربة [من الوافر] :

وفرع كان يوعدنى بأسر وكان القلبُ ليس له قَرارُ
فنادى وجهُه لاخوفَ فاسكن (كلامُ الليلِ يمحوهُ النهارُ)

ومن ظريف التضمين ما حكى أن الْحَيْصَ بَيْصَ الشاعر قتل جرو كلب وهو سكران ، فأخذ أبو القاسم القطان الشاعر كلبة وعلق فى رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير ، فأخذت القصة من عنقها وَأدخلت على الوزير ، فاذا فيها مكتوب [من البسيط] :

يا أهل بغداد إن الحيصَ بيصَ أتى بخزْية أورثَتْهُ العار فى البلدِ
أبدَى شجَاعته بالليل مجترئاً على جُرَىٍّ ضعيفِ البطْشِ والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احْتَسَبَتْ دَمَ الأبيلقِ عند الواحدِ الصمَدِ
(أقولُ للنفس تأساء وتعزيةً إحدَى يدَىَّ أصابتنى ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فَقْدِ صاحبه هذا أخى حين أدعوهُ وذا ولدى)

البيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها ، فقالتهما تسلية لنفسها .

١٠ أحسن قول إبراهيم بن العباس الصولى [من البسيط] :

أولى البرية طرّاً أن تواسيهُ ... عندالسرورالذى وَاساك فى الحزَن

(إن الكرام إذاما أيسَرُوا ذكَرُوا ... من كان يألَفُهُمْ فى المنزل الخشِنِ)

البيت الأخير لأبى تمام ، وقد أحسن تضمينه الصاحب بن عباد بقوله [من البسيط] :

أشكو إليك زماناً ظلّ يعركنى ... عَرْكَ الأديمِ ومَنْ يَعْدُو على الزمَنِ

وصاحباً كنتُ مغبُوطاً بصُحْبَتِهِ ... دهراً فغادرنى فَرْداً بلا سَكَنِ

هَبَّتْ له ريحُ إقبالٍ فطارَ بها ... إلى السرور وألجانى إلى الحزَنِ

نأى بجانبه عنى وصيَّرنى ... مع الأسى ودواعى الشوق فى قرَنِ

وباع صفْوَ ودادٍ كنت أقصُرُهُ ... عليه مجتهداً فى السر والعلَنِ

وكان غالى به حيناً فأرْخصَهُ ... يا من رأى صفْوَ وُدٍ بيعَ بالغبَنِ

كأنه كان مَطْوِيّاً على إحنٍ ... ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى

(إن الكرام إذاما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن)

وذكرت بهذه الأبيات واقعة الوزير المهلبى مع رفيقه ، وكانت حاله قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة، وكان يقاسي منها قَذَى عينيه وشَجَا صدره، فبينا هو ذات يوم فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الأدب ، إذ لقى من سفره نصباً ، واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا موْتٌ يبَاعُ فأشتريهِ ... فهذا العيش ما لاخيرَ فيه [1]

---

(١) ورد فى المطبوعتين «ألا موتا» والمحفوظ هو ما أثبتناه بالرفع ، مع أن للنصب وجها فى العربية وعليه ورد قول الشاعر :

[illegible] جلا جزاه [illegible] خيرا يدل على محصـ[illegible] تبيت

إذا أبصرتُ قبراً من بعيد ودِدتُ لَوَ انني فيما يليهِ
ألا رَحمَ المهيمنُ رُوحَ عَبْدٍ تَصدَّق بالوفاةِ على أخيهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد ما سكن قَرَمه ، وتحفظ الأبيات ، وتفارقا ، وضربَ الدهر ضرباته فترقَّتْ حالُ المهلبى إلى أعظم درجة من الوزارة حتى قال [من مجزوء الكامل] :

رق الزمانُ لفاقتى ورثى لطول تَحَرُّقى
وأنالنى ما أشتهى وأقالنى ما أتقى
فلأغفِرَنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السُّبَّقِ
حتى جنايتَهُ لما فعلَ المشيبُ بمفرقى

وحصل الرفيق تحت كلكل الدهر ، وثقل عليه بَرْكُه ، وهاضه عَرْكه ، فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قُلْ للوَزير فَدَتْهُ نفسى مقالةَ مُذْكِرٍ ما قد نسيهِ
أتذكُرُ إذ تَقُولُ لضَنْكِ عيشٍ (ألا مَوْتٌ يباع فأشتريهِ)

فلما نظر فيها تذكره وهزته أريحية الكرم للاحسان إليه ورعاية حق الصحبة فيه ، والجرى على حكم من قال [من البسيط] :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

فأمر له فى عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع فى رقعته « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » . ثم دعا به ، وخلع عليه ، وقلده عملا يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير ذلك ما حكى أن الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره إلى القاهرة تاجر كان يحسن إليه وهو فى رقه ، فلما باعه تنقلت به الأحوال إلى

ما صار إليه ، وافتقر التاجر فيما بعد ، فحضر إليه إلى مصر ، وكتب إليه رقعة فيها [من البسيط] :

كنا جميعين فى كد نكابده والقلب والطرف منا فى أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسني (إن الكرام إذا)

فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

قد قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره السارى العجول ترفقاً (مافى وقوفك ساعة من باس)[1]

وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسى فقال [من الكامل] :

وموردُ الوجنات دب عذاره فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلاً قد رام يخفى الوردَ منهُ بآس
ناديتهُ قف كى أودع وردهُ (مافى وقوفك ساعة من باس)[1]

ولأبى بكر الخوارزمى فى ابن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أضحى من عطاياك شاعراً لقد صِرْتُ أمسى من عطايك مفحما
أبيتُ إذا أجريتُ ذكراكَ منشداً (وأن تعتب الأيام فيها فربما)
ومالى من الأصوات مقترحٌ سوى (أعالج وجداً فى الضمير مكتما)

وله فى شمس المعالى قابوس [من الطويل] :

شموس لهن الخدر والبيت مغرب فطالعها بالبين والهجر غارب
ولكنما شمس المعالى خلافها مشارقهُ ليست لهن مغاربُ

---

(١) عجزه صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبى تمام ، وهو :

ما فى وقوفك ساعة من باس تقضى ذمام الأربع الأدراس

فما لقبوهُ الشمس إلا وقد رووْا (فانك شمس والملوك كواكب)

ومن ظريف التضمين قول القاضى أبى عمر القابسى وقد أهديت إليه جارية فوجدها ابنة سرية له ، كان قد تسرى بها ، فردها ، وكتب إلى مهديها [من الكامل] :

يامهدىَ الرشأ الذى ألحاظهُ ... تركَتْ فؤادى نُصْبَ تلك الأسهُم
ريحانةٌ كل المنى فى شمها ... لولا المهيمنُ واجتناب المحرَمِ
ماعنْ قِلىً صُرِفَتْ إليك وإنما ... صيدُ الغزالةِ لم يُبَحْ للمُحْرِمِ
إن الغزالةَ قدْ عرفناَ قبلها ... سرُّ المهاة وليْتنا لم نعلمِ
يا وَيحَ عنترةَ الذى قدْ شفَّهُ ... ماَ شفني فَشدَا وَلمْ يتكلمِ
(يا شاة ما قنصٍ لمنْ حلتْ لهُ ... حَرُمَتْ عليَّ وَليتها لم تحرُمِ)

فضمن بيت عنترة ، والعرب تطلق الشاة على البقرة الوحشية ، فكنى بها عن المرأة تشبيهاً لها بها ، ويقال : إن التى عناها كانت زوجة أبيه ، فلذلك حرمت عليه

ومن بديع التضمين ، قول ابى فراس الحمدانىّ يتغزل فى غلام من الفرس [من الخفيف] :

قاتِلِى شادِنٌ رَخيمُ الدلالِ ... كِسرَوِيُّ الأعمامِ والأخوَالِ
كيف أرجو ممن يَرَى الثأرَ عندِي ... فَرَجاً مِنْ تعطفٍ أوْ وصاَلِ
ما دَرَتْ أسرَتى بِذِى قار أنّى ... بعضُ مَنْ جندَلُوا مِنَ الأبطالِ (١)

(١) ذوقار: يوم كان بين العرب والفرس انتصر فيه العرب انتصارا باهرا. يقول: إن قومى العرب هم الذين قتلونى، لأنى هذا الغلام الفارسى تسلط على قلبى حتى ذهب به، فأنا قتيل هذا الغلام الذى أراد أن يأخذ بثأر قومه منى

أيها المـلزِمى جرَائرَ قوْمِى   بعدَ ما قَدْ مضتْ عليْها اللَّيَالِى
(لمْ أكنْ مِنْ جناتها علِمَ اللهُ وَإنى بحرِّها اليومَ صالِى)

والمعنى الذى أراد: أن بنى شيبان، وهم من ربيعة قوم أبى فراس، كانوا قد هزموا الفرسَ، يوم ذى قار، وهو يوم مشهور، فنزع أبو فراس فى هذه الأبيات منزَعاً ظريفاً، وذهب منهباً غريباً. ذكر فيه أن هذا الكلام على تأخر زمانه وزمان أبى فراس عن الذين شهدوا تلك الهزيمة، ذهب إلى الأخذ بثأر قومه من أبى فراس، وإن لم يكن أبو فراس من جناةِ تلكَ الحرب. وأما البيت المضمن فهو من شعر الحارث بن عباد البكرى [1] يقوله فى حرب البسوس بعد أن كان اعتزل الحرب، فلم يدخل فيها، إلى أن قتل ابنه بجير، فلما بلغه قتله ظنَّ أنَّ مهلهلا يقنع به فى دم أخيه كليب، وقال: نعم القتيل قتيلاً أصلح الله به بين ابنى وائل، يريد بكراً وتغلب، وعزم أن لا يطلب بثأره، إلى أن بلغه أن مهلهلا، قال له حين قتل: بُؤْ بشِسْعِ نعل كليب، يريد أنه لا يفى دمه بشىء من دم كليب، فعند ذلك حمى الحارثُ وغضب وعزم على الدخول فى الحرب، وقال فى ذلك [من الخفيف]:

قرِّبا مَرْبطَ النعامةِ مِنِّى   لقحتْ حربُ وائلٍ عَنْ حِيالِ

إلى أن قال:

لمْ أكنْ مِنْ جُنَاتِها عَلِمَ اللهُ وَإنى بحَرِّها اليَوْمَ صَالِى

وقد ضمنه شمس الدين التلمسانى، وأجاد، بقوله [من الخفيف]:

وَعيونٍ أمْرَضْنَ جسمِي وَأضْرَمْـنَ بِقلبِي لوَاعِجَ البلبَالِ
وخدُودٍ مثل الرياض زَوَاهٍ   ماَ لِأيامِ حُسنِهاَ مِنْ زَوَالِ

---

(١) فى الأصول «الحارث بن عبادة» بزيادة التاء، وهو تحريف

(لمْ أكنْ مِنْ جُناتِها عَلِمَ اللهُ وَإنى بِحرِّهَا اليَـــومَ صَالى)

فصرف لفظ « جُناتها» عن معنى الجناية إلى معنى الجَنَى .

ومن ذلك قول بعض المجان من أهل تونس فى مُعَذَّر [من الكامل] :

لاَعذْرَلِى إنْ لمْ أهِمْ بِمعذَّرٍ فِى وَجنتيهِ فِتنةٌ المتأمِّلِ
خَطٌّ على خدٍّ قويمٍ مثل مَا دَبّتْ على الكافورأرْجُلُ أنملِ
إنى مِنَ القوْمِ الذين إذا هَوَوْا (لاَ يسألونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ)
ولَدَيهمُ أنَّ العذَارَ إذَا بَدَا (مما يُعَدُّ مِنَ الطرَازِ الأوَّلِ)

ضمن أعجاز بيتى حسان فى آل جفنة [من الكامل] :

يُغْشَوْنَ حتى مَا تهِرُّ كِلاَبهُمْ لاَ يَسألونَ عَنِ السَّوادِ المُقْبِلِ
بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أحْسَابهُمْ شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطرَازِ الأوَّلِ

فنقله من معنى المدح إلى ذكر العذار ، فأبدع ، ولا سيما البيت الثالث ، فهو نهاية فى الابداع .

ومنه قول ابن الجنان الشاطبي [من الكامل] :

للهِ قومٌ يعشقُونَ ذَوِى اللحَى (لاَ يسألُونَ عَنِ السوَادِ المُقْبِلِ)
وَبِمُهجتِى نفَرٌ وَإنى منهُمُ جُبِلُوا على حُبِّ الطرَازِ الأوَّلِ

وقول الصلاح الصفدى [من الكامل] :

دَبَّ العذَارُ فظَنَّ فيهِ عوَاذلى أنى أكونُ عَنِ الغرَامِ بِمعزِلِ
لاَ كانَ ذَاكَ فانني مِنْ معشَرٍ (لاَ يَسألونَ عنِ السوَادِ المقبلِ)

ومن التضمين البديع ما أنشده القاضى الخطيبُ أبوالبركات لنفسه ، وكتبه على جزء فيه كلام لابن سبعين [من الطويل] :

ألاَ فَدَعُوا مَا قالَ عنكم فإنمَا (محاَ السيفُ ماقالِ ابنُ دَارَةَ أجمعَا)

أراد أن أصحاب ابن سبعين كانوا يعبرون عنه بابن دارة ، لأن شكل سبعين فى رسوم الحساب الرومية هكذا ٥ ، وكان ابن سبعين إذا كتب اسمه يكتب عبد الحق بن ٥ ، ويرسم دائرة ، فغاص الخطيب ، وأتى بتضمين بديع لا نظير له ، وهو عجز بيت من قول الشاعر :

ولاَ تكثرُوا فيها اللجاجَ فانه ... محا السيفُ ماقال ابنُ دَارَةَ أجمعَا

وهو مما جرى عندهم مثلا ، وله قصة شهيرة :

ومن التضمين البديع قول ابن الرومى فى مأبون [من الكامل] :

يا سائِلى عن خالدٍ ، عهدى بهِ ... رَطبَ العِجَانِ وكفهُ كالجلمدِ

(كالأقحوَانِ غداةَ غب سمائه ... جفَّتْ أعاليه وأسفلهُ ندِى)

فصرف قول النابغة فى وصف الثغر إلى المعنى الذى أراد .

وما أحسن قول كشاجم [من البسيط] :

ياَ خاضبَ الشيبِ والأيامُ تظهرُهُ ... هذا شبابٌ لعمرُ اللهِ مَصنُوعُ

أذكرْتنى قولَ ذى لبٍ وتجربةٍ ... فِى مِثله لكَ تأديبٌ وتقريعُ

(إنّ الجديدَ إذا ما زِيدَ فى خلَقٍ ... تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مَرْقُوعُ)

وقول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فى الرشيد عمر الفوّى ، وكان به داء الثعلب وأسنانه بارزة [من الوافر] :

أقولُ لمَعْشرٍ جهلوا وغضُّوا ... منَ الشيخِ الرشيد وأنكروهُ

هُوَ ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنَاياَ ... متَى يَضعِ العمامَةَ تعرفوهُ

هو تضمين قول سحيم المار فى شواهد الايجاز [من الوافر] :

أنَا ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثناَياَ ... متَى أضعِ العمامةَ تعرفونى

وقد ضمنه صدر الدين بن غنوم ، فقال [من الوافر] :

جلا مسواكه ثغره خير درّ ... فجل مذاكَ وا كتسب المزايا
وأنشد صحبه تيهاً وفخراً ... (أنا ابنُ جلا وطلاّعُ الثنايا)

وقال شمس الدين الحلبي فيه [من الوافر] :

جلا ثغراً وأطلع لى ثنايا ... يسوق بها المحب إلى المنايا
فأنشد ثغره يبغى افتخاراً ... (أنا ابنُ جلا وطلاّعُ الثنايا)

وضمنه الأرّجانيّ ، فقال [من الوافر] :

تغنّمْ صحبتى ياصاح إنى ... نزعتُ عن الصبا إلاّ بقايا
وخالفْ مَنْ تنسّك من رجال ... لقوكَ بأكبُدِ الابل الأبايا
ولا تسلك سوى طرقى فانى ... (أنا ابنُ جلا وطلاّعُ الثنايا)

وظريف قول المولى الفاضل على بن مليك فى تضمينه [من الوافر] :

ومُذْ تاهَ الدليلُ وقدْ ضللنا ... بليلٍ ليسَ يُهدَى سالكُوهُ
فأشرقَ وجهُ مَنْ أهوى ونادَى ... أنا ابنُ جلاَ ألا لاَ تُنكرُوهُ
ووَجهُ الصبحِ وافانا سريعاً ... وقالَ وقدْ حكاهُ أنا أخُوهُ
فقلتُ لصاحبى أنعمْ صباحاً ... لعمركَ قدْ تعارفتِ الوُجُوهُ

ومن محاسن السراج الوراق فى التضمين قوله [من الطويل] :

توَارى منَ الواشى بليلٍ ذَوائِبٍ ... لهُ منْ جبينٍ وَاضحٍ تحتهُ فجرُ
فدَلّ عليهِ شَعرُهُ بظلاَمِهِ ... (وَفى الليلةِ الظلماءِ يُفتَقدُ البدْرُ)

نقله ابن الصائغ إلى المداعبة وزاده تورية بقوله [من الطويل] :

تطلّبت جحرا فى الظلام فلم أجد ... ومن يك مثلى حيّةً دأبه الجحر
فنادانى البدر الأديب إلى هنا ... (وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر)

ومن تضامين مجير الدين بن تميم البديعة قوله [من الكامل] :

عاينتُ في الحمّامِ أسودَ واثباً ... من فوق أبيضَ كالهلالِ المُسفِرِ
(فكأنما هوَ زورقٌ من فِضّةٍ ... قد أثقلتهُ حمولةٌ من عنبرِ)

وقوله في الفانوس [من الطويل]

يقولُ ليَ الفانوسُ حينَ أتوا بهِ ... وفي قلبهِ نارٌ من الوجدِ تُسعَرُ
(خُذُوا بيدي ثمَّ اكشفُوا الثوبَ تنظرُوا
ضَنَى جسدي لكنّني أتستّرُ)

وقوله أيضاً [من الوافر]:

أزهرَ اللوزِ أنتَ لكلِّ زهرٍ ... منَ الأزهارِ يأتينا إمامُ
(لقدْ حَسُنَتْ بكَ الأيامُ حتى ... كأنكَ في فمِ الدهرِ ابتسامُ)

وقوله أيضا [من الكامل]:

لوْ كنتَ إذْ أبصرتَها فوّارةً ... للشمسِ في أمواجها لألاءُ
لرأيتَ أعجبَ ما يُرى من بركةٍ ... (سالَ النضارُ بها وقامَ الماءُ)

وقوله أيضا [من الكامل]:

لوْ كنتَ في الحمامِ والحِنَّا على ... أعطافهِ وبجسمهِ لألاءُ
لرأيتَ ما يسبيكَ منهُ بقامةٍ ... (سالَ النضار بها وقامَ الماءُ)

وقوله، وهو من تضامينه البديعة [من الكامل]:

أفدِي الذي أهوَى بفيهِ شاربًا ... من بركةٍ راقتْ فطابتْ مشرَعاً
أبدتْ لعيني وجهَهُ وخيالَه ... (فأرتني القمرَين في وقتٍ معًا)

وقوله وأجاد [من الطويل]:

وشبّابةٍ قدْ كنتُ أهوَى سماعها ... وقدْ صرتُ منها بعد ما شبتُ أنفِرُ
وها أنا قدْ فارقتها غيرَ نادمٍ ... (وكم مثلها فارقتها وهيَ تصفِرُ)

وقوله [من الطويل]:

وناطقة بالروح عن سر ربها تعبر عما عندها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت (فنحن سكوت والهوى يتكلم)

ومن تضامين الشهاب محمود البديعة قوله [من البسيط] :

من حاتم عدِّ عنه واطرح فيه في الجود لا بسواه يضرب المثل
لو مثل الجود سرحاً قال حاتمهم (لا ناقة لي في هذا ولا جمل)

وما أحسن قول ابن العفيف التلمساني [من السريع] :

قالوا غداً تندم عن لثمه في خده إذ يغلب السكر
فقال لي مبسمه دعهم (اليوم خمر وغداً أمر)

وما أحسن قول العز الموصلي [من الكامل] :

لحديث نبت العارضين حلاوة وطلاوة هامت بها العشاق
فإذا نهاني المرد قلت تمهلوا (فإليكم هذا الحديث يساق)

وقول ابن نباتة [من الطويل] :

ومذ كلمت قلبي سيوف لحاظها شكوت إليها قصتي وهي تبسم
فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها ولم تر قبلي ميتاً يتكلم

وقول ابن تميم [من البسيط] :

إن تاه ثغر الأقاحي إذ نشبهه بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسماً
(لقد حكيت ولكن فاتك الشنب)

وهذا المصراع الأخير لابن الخيمي ، من قصيدة طنانة ، مطلعها :
[من البسيط] :

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب إليك آل التقصي وانتهى الطلب

وَما طَمحتُ لمرأى أوْ لمستمعٍ إلا لمعنىً إلى عَليَاكَ ينتسبُ
وما أرانىَ أهلاً أنْ تواصلنى حسبى علوّاً بأنى فيكَ مُكتئب
لكنْ ينازع شوقى تارةً أدبى وأطلب الوصل لما يضعفُ الأدب
ولست أبرَح فى الحالين ذا قلقٍ نامٍ وشوقٍ له فى أضلعى لَهَبُ
ومَدْمع كلما كفكفْتُ أدمعه صَوْناً لذكركَ يعصينى وَينسكبُ

إلى أن قال :

والهفَ نَفْسِيَ لو يجدى تَلهُّفُهَا غوثاً ووَاحرَباً لو ينفعُ الحرَبُ
يمضى الزمان وأشواقى مُضَاعَفَةٌ يالرجال ولا وصل ولا سَبَبُ
يا بارقاً بأعالى الرَّقمتين بدَا (لقدحكيْتَ ولكن فاتكَ الشَّنَبُ)

وهى قصيدة بليغة بارعة متناسقة فى الحسن والعذوبة ، وكان لما فرغ منها كتبها فى ورقة ، وأومأ بيده ليضعها فى جيبه ، فسقطت ، فمر ابن إسرائيل على أثره ، فرآها فأخذها وقرأها فأعجبته وادعاها لنفسه ، و بلغ ابن الخيمى ذلك فالتهبت ناره ، وامتنع قراره ، وجدّ فى استرجاع ابن إسرائيل عن ادعائها ، وهو مُصِرٌّ على ذلك ، فتراضيا على تحكيم ابن الفارض ، والتسليم إليه من غير معارض فلما عرضا عليه أمرهما أمر كل واحد منهما أن ينظم فى وزنها ، فذهبا ثم أتياه فأنشده ابن الخيمى أبياتاً منها [من البسيط] :

مَنْ مُنْصفى من لطيف منهم غَنِجٍ لَدْنِ القوام لاسْرَائيل يَنْتَسبُ
مُبَدِّل القول ظلماً لا يفى بموًا عيد الرجال ومنهُ الذنب والغضب
فى لثغةِ الراء منْه صدقُ نسبتِه والمنُّ فيه بزور الوَعد والكذبُ
فَمَنْ عجائبهِ حدّثْ ولا حرَجٌ ماينتهى فى المليح المنطِقِ العَجَبُ

وأنشده ابن إسرائيل أبياتا منها [من البسيط] ·

يا بارقاً ببراقِ الحزنِ لاحَ لنـا أأنتَ أم أرسلَتْ أقمارَها النقبُ
ويانسيماً سرَى والمسك يصحبُه أجزْتَ حيث مَشَينَ الخرّدُ العربُ
أقسمْتُ بالمقسمات الزهر تحجبُها زهرُ العوالى والخطّيّةُ القُضبُ
لكدت تشبه برقاً من ثغورهِمُ يا درّ دَمعىَ لولا الظَلْمُ والشَّنَبُ

فنظر ابن الفارض إلى ابن إسرائيل نظر الازدراء ، وقد كاد يرمى قصيدته بالعراء ، وقال له :

* لقد حكيْتَ ولكن فاتك الشَّنَبُ *

فقضى له عليه ، وتركه نادماً يعض يديه .

وقد ضمنه بعضهم أيضاً بقوله [من البسيط] :

ويا غزالاً حكى معنى جَمَالهم (لقدحكيت ولكن فاتك الشنب)

وألم به أبو الثناء محمود الحلبي فقال [من البسيط] :

يا بارق الثغر لولاحَتْ ثغورُهُمُ وشِمْتَ بارقها ما فاتَكَ الشنبُ

وما أحسن قوله بعده :

ويا حياً جادَهُمْ إن لم تكن كلِفاً ما بالُ عينَيْكَ منها الماء ينسكبُ
ويا قضيبَ النّقا لو لم تجد خبراً عند الصبا منهم ماهزك الطرب

والصلاح الصفدى بقوله [من البسيط] :

يا برقُ لاتبتسم من ثغره عجباً قدفات معناكَ منهُ الظَلْمُ والشنب

وابن فضل الله بقوله [من البسيط] :

يابَرْقُ وَاْحكِ وَميضاً من ثغورهم وما عليك إذا ما فاتك الشنب

رجعنا إلى التضمين .

عود إلى التضمين

... قول إبراهيم الا... المهتدى [من الطويل] :

تأمَّلْ لظى شَوْقى وموسى يَشُبُّهُ (تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ)

ولطيف قول ابن عبد ربه [من الكامل] :

إنَّ النوانى إنْ رَأَيْنَكَ طاوياً بُرْدَ الشباب طَوَيْنَ عنكَ وِصالاَ
(وإذَا دعونَك عمهنَّ فانهُ نسبٌ يزيدكَ عندهنَّ خبالاَ)[1]

وقول بعضهم [من الكامل] :

كانَتْ بَلَهْنِيَةُ الشبيبة سكرةً فصحوْتُ واستبدلتُ سيرةَ مُجْمِلِ
وقعدت أنتظر الفناء كراكب (عَرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقد ضمنه بعضهم مجوناً ، فقال [من الكامل] :

قالوا وقد بصروا بأيرى نائماً عند الدبيب إليه رِخْوَ المفصلِ
ماذَا عراه فقلت سارى ليلةٍ (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزل)

ولابن نباتة فيه [من الكامل] :

يا ربَّ ليلٍ بتُّ فيه منعَّماً برشيقةٍ تَغْنَى بردْفٍ مثقلِ
أيرى بجانب كسها فى حجرها (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

لقدْ قال لى إذْ رُحتُ مِن خمر ريقه أحثُّ كؤوساً من ألذ مُقَبَّلِ
بِلثم شِفاهى بعد تَقبيل مبسمى (تنقلْ فَلَذَّاتُ الهوى فى التنقلِ)

وهذا المصراع الأخير لأبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى من أبيات ، وهى [من الطويل] :

تَنَقَّلْ فلذَّاتُ الهوى فى التنقلِ وَرِدْ كلَّ صافٍ لاتقفْ عند منْهَلِ
وإنْ سار من تهوى فسرْ عن جنابه ولا تبكِيَنْ دماً على مُتَرَحِّلِ

---

(١) نسب فى كتب العروض إلى الأخطل ، ولم أجده فى ديوانه المطبوع

ولا تعتبر قول امرىء القيس إنه ضليلٌ ومن ذا يقتدى بالمُضَلَّلِ
ففى الأرضِ أحبابٌ وفيها منازِل

(فلا تبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ)

ومن ظريف التضمين قول البدرى المنبجى [من الطويل] :

ولما خلونا والمسرة بيننا وقد عزَّ شربُ الراح فيناعلى الشَّرْبِ
تعوضَ كل بالحشيش عن الطلا (ومن لم يجد ماء تيممَ بالترب)

وقول السراج الوراق يهجو بخيلا [من البسيط] :

وباخل يَشنأ الأضيافَ حلَّ به ضيف من الصفْع نزَّال على القِمَمِ
سألته ما الذى تشكو فأنشدنى (ضيف ألم برأسى غيرَ محتشمِ)

وقول الصلاح الصفدى [من الرجز] :

قل للرقيب يستريح من رَصَدِى ما أصبح المعشُوقُ عندى مشتهى
وارتدَّ قلبى عَنْ سيوف لحظه (وكل شىء بلَغَ الحدَّ انتهى)

وقول ابن نباتة [من الطويل] :

ألا فاسقنى مِنْ خمرة لذَّ طعْمها بفيك ولا تبخلْ وقُلْ لى هى الخمرُ
وحطَّ لثاماً حجَّبَ اللثم عن فمى (فلاخير فى اللذات من دونها ستر)

وقد أخذ الصلاح الصفدى هذا التضمين من ابن نباتة وإن كان فى معنى آخر ، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنت فى لذّات ثغرك هائما ليالِىَ لم يُمْنَعْ على عاشق ثَغْرُ
فأما وسترٌ دُونها من شوارب (فلاخير فى اللذات من دونها ستر)

وما أحلى قول الصلاح الصفدى مضمناً ومكتفياً [من المقتضب] :

رشفت ريقك حلواً فلم يكن لىَ صبرُ

وَسَوْفَ أَحظَى بِوَصْلٍ (وَأَوَّلُ الغيثِ قَطْرٌ)

ومن الغايات هنا ما كتب به شيخ شيوخ حماة إلى السيف الآمدى ، وهو [من البسيط] :

لئِنْ تقدَّمَ قومٌ عصرَ سيدنا فكمْ تقدَّمَ خيرَ المرسلينَ نبي
وَإنْ يكنْ علمُهُ فَرْعاً لعلمِهمُ (فإنَّ فى الخمرِ معنىً ليسَ فى العنبِ)
وَإنْ أتتْ قبلَهُ كُتبٌ مؤلفة (فالسيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ)

وقول البدر بن الصاحب [من البسيط] :

للهِ يومُ الوَفَا وَالناسُ قَدْ جمعُوا كالرَّوض تطفُو على نهرٍ أزَاهِرُهُ
وَللوَفَاءِ عَمُودٌ مِنْ أصابعِهِ مخلَّقٌ تَملأُ الدُّنيا بَشَائِرُهُ

وقول البرهان القيراطى [من الكامل] :

قلْ فى اخضرارِ عِذارِهِ وقوَامِهِ خلعَ الرَّبيعُ عَلَى غصُونِ البَانِ
وانشُرْ مِنَ الأَغزَالِ فى أَرْدَافِهِ حُللاً فوَاضلها عَلَى الكُثْبَانِ

وقوله فى بادهنج [من الطويل] :

بِروحِيَ أفدِي بَادَهَنْجاً مُوكلاً
بإطْفَاءِ ما نلقاهُ مِنْ حُرَقِ الجَوَى (١)
إِذَا فُتِحَتْ فِى الحرِّ مِنهُ طَرَائِقٌ
(أتَانِى هَوَاهَا قبلَ أنْ أعرِفَ الهوَى)

---

(١) البادهنج : معرب بادكير ، أو بادخون ، وهو المنفذ الذى يجيء منه الريح ، ويسميه الأدباء « راووق النسيم » وقال أبو الحسن الأنصارى :

ونفحة بادهنج أسكرتنا وجدت لروحها برد النعيم
صفا جرى الهوى فيه رقيقا فسميناه راووق النسيم

وقوله فيه أيضا [من الطويل] :

أيَا بَاذَهَنْجاً صحّ فيهِ لنا الهوى صِفاتُكَ ما وَفىَّ بهن خطابُ
وما شئتُ إلا أنْ أدلَّ عوَاذِلي عَلىَ أن رأيي في هوَاكَ صوَابُ

وقال ابن أبي حجلة فيه ، وأجاد [من الوافر] :

هَجَا الشعراءُ جهلاً بَاذَهَنْجي لأنَّ نسيمَهُ أبداً عليلُ
فقال الباذَهنج وقدْ هَجَوْهُ إذا صحَّ الهوَى دَعهُمْ يقولُوا

وما أحسن قول القيراطي في موسوس [من الكامل] :

ومُوَسْوسٍ عندَ الطهارة لم يزَلْ أبداً عَلىَ المـاءِ الكثيرِ مُوَاظِبَا
يَستصغرُ البحرَ الكبيرَ لذقنهِ وَيَظُنُّ دِجلةَ ليسَ تَكفى شارِبَا

وَقول ابن أبي حجلة غاية هنا [من البسيط] :

قلْ للهلال وَسُحبُ الجوّ تستُرُهُ حكيتَ طلعةَ مَنْ أهْواه بالبَلَجِ
لكَ البشارَةُ فاخلعْ ماعليكَ فقدْ ذكرتَ ثم على مافيكَ منْ عِوجَ

وقول العلاء بن أيبك الدمشقي [من الوافر] :

أقول وقد ظَمِئْتُ ووجهُ حِبيٍّ لهُ عرَقٌ على وَرْدِ الخدُودِ
أرَى ماءً وَبي ظمأٌ شديدٌ ولكنْ لا سبيلَ إلى الورُودِ

وما أحسن قول البدر الزغارى [من الطويل] :

وَبي سَامِرِيٌّ مرَّ بي في عِمامَةٍ
قد اكتسبَتْ مِنْ وَجنتيهِ احمرَارها
مُوَرَّدَةٍ دَارَتْ بِوَجهِ كأنما تناوَلها مِنْ خَدِّهِ فأدَارَها

وما أبدع قول ابن أبي حجلة [من الكامل] :

ومتىَ امتطيْتَ مِنَ الكئوس كميتَها أمْسَيْتَ تمسي في المسرّةِ رَاكبَا
ومتىَ طَرَقْتَ عَشِيَّ أنس دَيرَها لم تلقَ إلا رَاغِباً أوْ رَاهبَا

وقوله فى الفانوس غاية هنا [من الكامل] :

أنَا فى الدجا ألقى الهوَى وبمهجتى حُرَقٌ يذُوبُ لها الفؤادُ جميعهُ
فكأننى والليـل صَبٌّ مغرمُ كتَمَ الهوَى فوَشَتْ عليه دُموعهُ

وقوله أيضا فيه [من الكامل] :

يحكى سنَا الفانوس حينَ بدَا لَنَا برْقًا تألقَ موْهنـاً لمعـانهُ
فالنار ما اشتَملَتْ عليه ضلوعهُ والمـــاء ما سحَتْ به أجفانهُ

وقوله أيضا ، وهو بديع [من الكامل] :

ياصاحِبى خضرُ الشرابُ ومنْيتِى وحظيتُ بعدَ الهَجرِ بالايناسِ
وكسَا العذارُ الخدَّ حسناً فاسقنى واجعلْ حديثك كلهُ فى الكاسِ

وظريف قول محيي الدين بن قرناص الحموى [من الكامل] :

أفديه أغيدَ زارَنى تحتَ الدُّجا وعلَيه منْ فرعيه ليـلٌ ساجى
والفَرْقُ بين الشعر فوق جبينهِ عُرْيانُ يمشى فِى الدُّجا بسرَاجِ

ومن غاياته هنا قوله فى كاحل يسمى بالشمس [من الطويل] :

دَعُوا الشمسَ منْ كحْلِ العيون فكفهُ
يسوقُ إلى الطَّرْف الصحيح الدَّوَاهِيَا
فَكَمْ أذْهبَتْ مِنْ ناظرٍ بسوَادهِ
وَخلّتْ بيَاضًا خلفَهَا وماَ قيَا

وما أملح قول ابن الوردى [من المتقارب] :

لِوَجْنَة صيَّـادكم نُسْخَة خريريَّةٌ ملحة فى الملح
تقول لنَبْتِ العذار اجتهد ومدُّ الشباكَ وصِدْ من سنح

ومثله لابن أبى حجلة ، ونقله إلى معنى آخر [من المتقارب] :

غـدا طـيرُ أفراخنا سائحاً يَحومُ على عذب ورد القدحْ
فقلنا لدرِّ الحبَاب اجتهدْ ومدَّ الشباكَ وصِدْ منْ سَنَحْ

وقد تضمن هذا الكتاب من فنّ التضمين ما هو ضامن لكل أديب الاستغناء به ، إن شاء الله تعالى .

ترجمة ابن أبي الأصبع

وابن أبي الأصبع : هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن عبد الله بن أبي الأصبع ، العدواني ، المصري ، الشاعر المشهور ، الامام في الأدب ، صاحب التصانيف الحسنة فيه ، منها « تحرير التحبير » في البديع وكتاب « بديع القرآن » وكتاب « الجواهر السوانح ، في سرائر القرائح » وغير ذلك ، وله شعر رائق ، منه [من الطويل]

ولما اعتنقنا ردّ دمعي لنحرها ودِيعتها فهيَ اللآلي التي ترى
بكتْ ورنتْ نحوي فجرّدَ لحظها منَ الجفنِ سيفاً بالدمُوعِ مُجَوْهَرَا

ومنه من قصيدة ، يمدح بها الملك الأشرف موسى [من الطويل] :

فضحتَ الحيا والبحرَ جُوداً فقدْ بكىَ الـ ـحيا منْ حياءٍ منكَ والتطَمَ البحرُ

ومنها :

عيُونُ معانيها صحَاحٌ وأعينُ الـ ـملاحِ مراضٌ في لواحظها كسرُ
هيَ السحرُ فاعجبْ لامرئٍ جاءَ يبتغي عوَاطِفَ منْ موسَى وصَنعتهُ السحرُ

ومنه [من الخفيف] :

انتخبْ للقريض لفظاً رقيقاً كنسيم الرياض في الأسحَارِ
فاذَا اللفظُ رَقَّ شفَّ عَنِ المعْـ ـنى فأبْدَاهُ مِثلَ ضَوءِ النهَارِ
مثلَ ما شفَّتِ الزجاجة جسماً فاختفى لونُها بلونِ العقَارِ

ومنه في ذمّ قيم حمام [من البسيط] :

وقيم كلمتْ جسمي أنَامله بغيرِ ألْسنةٍ تكليمَ خرصَانِ

إنْ أمسكَ اليدَ يمنىٌ كادَ يكسرُهَا
أو سرَّح الشعرَ منْ فَوْدَىَّ أدْمَانِى
فليسَ يُمسكُ إمساكاً بمعرفةٍ   وَلاَ يُسرِّحُ تَسْرِيحاً بإحْسَانِ

ومنه فى وصف فرس أدهم محجل [من الطويل]:

وَأدْهمَ جَارَى الشَّمْسَ فِى مِثلِ لَوْنِهِ
مِنَ المغربِ الأقصَى إلىَ جَانِبِ الشَّرْقِ
فوَافىَ إليــــهِ قبلَهَا متمهِّلاً   فأعطَاهُ منْ أنْوَارِهِ قصبَ السَّبْقِ

ومنه [من الطويل]:

رَأيتُ بفيــــهِ إذْ تبَسَّمَ أدْمُعاً
فَقلتُ رَنَىَ لِى إذْ بَكَىَ فمُهُ حُزْنَا
أجَادَ لَهُ فى النظمِ شاَعِرُ ثغرِهِ
وَلكنهُ مِنْ مُقلتىِ سَرَقَ المَعْنَى

ومحاسنه كثيرة ، وعاش نيفاً وستين سنة ، وكانت وفاته بمصر ، فى الثالث والعشرين من شوال ، سنة أربع وخمسين وستمائة ، وحضر السراج الوراق مع عفيف الدين التلمسانى بن عدلان وأبى الحسين الجزار قبر الزكىّ المذكور ، وكانا قد كتماه أن ذلك اليوم مأتمه ، وكتماه قصيدتين فى رثائه ، فقال السراج الورّاق [من الكامل]:

ماذَا أقُولُ وقد أتانا رَاثيــاً   ملكُ النحاة وَسيِّدُ الشعراءِ
رَثيَاكَ بالدُّرِّ النظيمِ فهذهِ   لِلدَّال قافيــة وَتلكَ لِرَاءِ
وتوخَّيَا نثرَ العقيقِ مَدَامِعاً   إذ كنتَ لَم تنصفْ بنظمِ رثَاءِ
يامَنْ طَوَى بفضائلٍ وفوَاضلٍ   ذِكرَ بن الطائى بعدَ الطائى

غادَرْتني وَأنا الحبيبُ مَودّةً صبًّا قد استعذَبتُ ماءَ بكائي
فسقاكَ فضلُ الله فيضَ عطائهِ فلقد أقمتَ قيامةَ الشعراءِ

* * *

شاهد العقد

٢١٣ — ما بالُ مَنْ أوّلُهُ نُطفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفخَرُ

البيت لأبي العتاهية، من قصيدة من السريع، أولها:

وَاعجباً للناسِ لوْ فكرُوا وحاسَبُوا أنفسهمْ أبصرُوا
وَعَبَرُوا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهُم معبرُ
الخير مما ليس يخفى هو الــمعروف والشرّ هو المنكرُ
والموعد الموت وما بعده الــحشر فذاك الموعد الأكبرُ
لا فخر إلا فخر أهل التقى غـدا إذا ضمّهمُ محشرُ
ليعلمنّ الناسُ أن التقى والبرَّ كانا خيرَ ما يُدْخَرُ
عجبتُ للانسان فى فَخْره وهو غـداً فى قبره يقبرُ

وبعده البيت، وبعده:

أصبحَ لا يملك تقديمَ ما يرجو ولا تأخير ما يَحْذَرُ
وأصبحَ الأمرُ إلى غـيره فى كل ما يقضى وما يقدرُ

والشاهد فيه: العقد، وهو: أن ينظم الشاعر نثراً، قرآناً كان أو حديثاً أو مثلا، أو غير ذلك، لا على طريق الاقتباس.

فهذا البيت هو عَقْدُ قول عليّ كرّم الله وجهه: «وما لابن آدم والفخر؟ وإنما أوله نطفة وآخره جيفة».

ويروى أن مطرّف بن عبد الله الشّخّير نظر إلى يزيد بن المهلّب، وهو

يمشي فى حُلة يَسحبها ، فقال له : ما هذه المِشْيَة التى يُبغضها الله تعالى ورسوله ؟! فقال يزيد : أما تعرفنى ؟ ! قال: بلى ، أولك نطفة مَذِرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك حامل العذرة .

وقد نظمَ هذا المعنى الشيخ أبو محمد الخوارزمىّ ، فقال [من المنسرح] :

عَجبتُ من مُعْجَبٍ بصُورَته ... وكانَ منْ قبْلُ نطفةً مَذِرَهْ

وفى غدٍ بعدَ حُسْن صورته ... يصيرُ فى الأرض جيفةً قَذِرَهْ

وهو على عُجبهِ ونَخْوَتهِ ... ما بينَ ثوْبيهِ يحملُ العَذِرَهْ

ومثله قول الفقيه منصور المصرىّ [من المتقارب] :

تتيهُ وجسْمكَ من نطفةٍ ... وأنتَ وعاء لمـا تعلَمُ

وقول المؤمن الأدفوى [من الطويل] :

هل النفسُ إلا نطفة من مشيمة ... نمت بدَمٍ الأحشاء شَرَّ نَماءِ

وهل هو إلا ظرف بولٍ وغائط ... ولوْ أنهُ يُطْلَى بكل طـلاءِ

كنيفٌ ولـكنْ سدّدت جدراته ... بظل قميص واستتار رداءِ

وقول الآخر [من الوافر] :

أرَى أولاد آدم أبطَرَتْهُمْ ... حظوظُهُمُ مِنَ الدنيا الدنيّهْ

فَلِمْ بطِرُوا وأوّلهم مَنىّ ... إذا افتخرُوا وآخرهم منيّهْ

وقول الفقيه منصور المصرى [من مجزوء الرمل] :

قلتُ للمعجب لمـا ... قالَ : مثلى لا يُرَاجعْ

يا قريبَ العهدِ بالمخـــرج لم لاَ تتواضَعْ ؟

ومثله قول ذى النون المصرى رضى الله عنه [من الخفيف] :

أيها الشامخ الذى لا يُرَامُ   نحن من طينةٍ عليك السلامُ
إنما هذه الحياة مَتَاعٌ   ومع الموتِ تستوى الأقدامُ

ومن أمثلة العقد من القرآن قول أبى نُوَاس [من الطويل] :

بروحى غزَالٌ كان للناس قِبْلَةً   وقد زُرْتُ فى بعض الليالى مُصَلَّاهُ
ويقرأ فى المحرابِ والناس خَلْفَهُ   ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّمَ اللهُ
فقلتُ تأمل ما تقول فانها   فعالك يامَنْ تقتلُ الناسَ عيناهُ

وقول الآخر [من الوافر] :

أنِلْنى بالذى استقرضت خطاً   وأشهد معشراً قد شاهدُوهُ
فان الله خـــلاق البرايا   عَنَتْ لجلال هيبته الوجوهُ
يقولُ إذا تدايَنْتُمْ بدَيْنٍ   إلى أجلٍ مسمى فاكتبُوهُ

وقول أبى نصر سهل بن المرزبان [من السريع] :

لا تجزَعَنْ من كل خَطْبٍ عرَى   ولا ترِ الأعداء ما يشمتُ
أما سمعتَ الله فى قوله   إذا لقيتم فئةً فاثبتُوا

وقول أبى محمد العبدلكانى [من السريع] :

لا تكرهن خلقاً على مذهبٍ   لستَ من الارشاد فى شيء
ألم ترَ الرحمنَ سبحانَهُ المخرجَ للميتِ منَ الحيّ
يقول لا إكراهَ فى الدين قَدْ   تبينَ الرشدُ من الغىّ

وقول المطوعى [من الوافر] :

غدَا منذ التحَى ليلاً بهيا   وكان كأنه البَدْرُ المنيرُ
فقَدْ كتبَ السوادُ بعارضيه   لمن يقرا وجاءكم النّذيرُ

وقوله [من المتقارب] :

تكبرَ لما رأى نَفْسَهُ على صُورَة الشمس قد صُوِّرَت
سَيَنْدَمُ الفاعلى كِبْرِهِ إذا الشمس فى خده كُوِّرَتْ

وقول ابن الصابونى الاشبيلى [من مخلع البسيط] :

رأيتُ فى خده عِذَاراً خلَعْتُ فى حبه عِذَارى
قد كتب الحسن فيه سطراً ويُولِجُ الليلَ فى النهارِ

وقول ابن يعمور [من مخلع البسيط] :

خَطْبٌ أتى مسرعاً فآذى أصبح جِسْمى به جُذَاذَا
خَصّصَ قلبى وعَمَّ غيرى ياليتنى مت قبل هذا

وقول أبى الحسين الجزار [من السريع] :

أصبحت جزّاراً وفى البيت لا أعرِفُ ما رائحةُ اللحمِ
جهلتُهُ فقراً فكُنْتُ الذى أضلهُ اللهُ على عِلمِ

ولمؤلفه فى غرض عرض [من السريع] :

أرى الضحايا قُسِّمَتْ فى الورى وضاع فيما بَيْنَهُم قِسْمى
وكلٌّ من يَعْلَمُ حالى فقد أضله الله على علمِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من السريع] :

يا صاحب المال ألم تَسْتَمِعْ لقوله ما عِنْدَكم يَنْفَدُ
فاعمل به خيراً فوالله ما يبقى ولا أنْتَ لهُ تخلدُ

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

إذا شئت رزقاً بلا حِسبَةٍ فلذْ بالتقى واتَّبعْ سُبْلَهُ
وتصديقُ ذلك فى قولهِ ومَنْ يتق الله يجعَلْ لهُ

وقول أبى جعفر الأندلسى [من المتقارب] :

إذا ظَلَمَ المرء فامهـل له فبالقرْب يُقْطَعُ منه الوتينُ
فقد قال ربك وهو القوى وأملى لهم إن كَيْدِى مَتينُ

ومن العقد فى الحديث قول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ورضى عنه [من الخفيف] :

عُمْدَةُ الخير عندنا كلماتٌ أرْبعٌ قالهن خير البريهْ
إتَّقِ المشبهات وازهَدْ ودَعْ ما لَيْسَ يَعنيكَ واعمَـلنَّ بنيهْ

فهو عقد قول النبى صلى الله عليه وسلم « الحلال بين ، والحـرام بين ، و بينهما أمور مشتبهات » وقوله « ازهد فى الدنيا يحبك الله » وقوله « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقوله « إنما الأعمال بالنيات » .

ومنه قول بعضهم ، وهو عبد المحسن بن محمد الصورى [من الخفيف] :

وأخٍ مَسَّهُ نزولى بقَرْحٍ مثل ما مسنى من الجوع قَرْحُ
قيلَ لى إنه جوَّاد كريمٌ والفتى يعتريه بخـلٌ وشحُّ
بِتُّ ضيفاً له كما حكم الدهـ ـرُ وفى حكمه على الحرِّ قُبْحُ
قال لى إذ نزلت وهو من الخـ ـرة سكرانُ طافحٌ ليس يَصْحُو
لم تغربْتَ ؟ قلتُ : قال رسولُ الله والقولُ منه نصحٌ ونُجْحُ
«سافروا تغنمو» فقال : وقد قا ل تمام الحديث «صوموا تصحوا»
قلت : فالصوْمُ لا يصحُّ بليلٍ قال : إن الوِصَالَ فيه يَصِحُّ

وقول ابن خلكان [من السريع] :

أنظُرْ إلى عارِضهِ فَوْقَهُ لحاظُهُ تُرْسلُ منها الحتوفْ
تشاهِدِ الجنة فى وجهـهِ لـكنها تحت ظلال السيُوفْ

وقول ابن نباتة المصرى [من المتقارب] :

أقولُ لمنْ يَشْتكى الخطوبَ ويحذرمن مُوبقاتِ الصُّروفْ
عليكَ بأبْوَابِ سَيفِ العُلاَ مَلاَذِ الفقيرِ وأمْنِ الخوفْ
تجدْ ظله جَنةً والجنانُ بلا شك تحت ظلال السيوف

وقول الحلى [من المديد] :

مُتْ شهيداً فى غزالٍ ألوفِ لينِ الأعطافِ غيرِعطوفِ
خدُّهُ دون ظُبَا مُقْلَتَيهِ جنة تحت ظلال السيوفِ

وقول ابن جابر [من الرمل] :

عمل إن لم يوافق نيةً فهوَغَرْسٌ لا يرى منه ثمر
إنما الأعمال بالنيات قد نصه عن سيد الخلق عمر

وقول أبى جعفر [من المنسرح] :

من سلم المسلمون كلهمُ وأمنوا من لسانه ويدهْ
فذلك المسلم الحقيقُ بذا جاء حديثٌ لاشكَّ فى سَنَدِهْ

وقول ابن عبد القدوس [من البسيط] :

إذا وَتَرْتَ أمرأً فاحذَرْعَوَاقبهُ من يزْرَع الشوكَ لم يَحْصُدْ بهِ عنبا

فهو عقد قول عيسى عليه السلام « تعملون السيئة وترجون أن تجازوا بما يجازى به أهل الحسنات ، أجَلْ لا يجتنى من الشوك العنب »

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وقال علىٌّ فى التعازى لأشعثٍ وخَافَ عليه بعضَ تلك المآثمِ
أتَصْبِرُ للبلوى عزاءً وحِسْبَةً فتؤجَرَ أم تسلو سُلُوَّ البهائمِ

فهو عقد قول على رضى الله عنه فى كلام عزّى به الأشعث بن قيس في ولده وهو « إن صبرت صبر الأحرار ، وإلا سلوت سلو البهائم » .

وَمن عقد الحكم قول أبى العتاهية [من الوافر] :

كفى حزَناً بدفنك ثم أنى نفَضْتُ تراب قبركَ عن يدَيّا
وكانَتْ فى حياتكَ لى عِظَات وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

وهذان البيتان من جملة أبيات قالها فى مرثية على بن ثابت الأنصارى ، أولها :

ألا مَنْ لى بأنْسِكَ يا أخيَّا ومَنْ لى أن أبثَّكَ مالديَّا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دهرك بعد نَشْرٍ كذاكَ خُطُوبه نشراً وطيَّا
فلو نَشرت قُوَاك لى المنايا شكوت إليك ما اجترَمَتْ إليّا
بكَيْتُكَ يا علىُّ بدرِّ عينى فلم يُغْنِ البكاء عليك شيَّا

و بعده البيتان ، والأخير منهما عقد قول أرسطاطاليس يندب الاسكندر وقد أتى به ميتاً فى تابوت « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته » .

وقول أبى العتاهية أيضاً فى المرثى أولا [من الخفيف] :

ياعلىُّ بنَ ثابتٍ بانَ منى صاحبٌ جلّ فَقْدُهُ يوم بنْتَا
قدلَعَمرى حكَيْتَ لى غصَصَ المو ت وحرَّكتنى لها وسكَنْتَا[1]

فهو عقد قول مؤدب الاسكندر ، فانه لما مات بكى مَنْ حضره فقال مؤدبه : « حركتنا بسكونك » .

وقول بعضهم [من السريع] :

أصلِى وفرْعى فارَقَانِى معاً واجتُثَّ من حَبْلِهِمَا حَبْلى

---

(١) حفظى فى صدر هذا البيت

* قد لعمرى حكيت لى غصص الموت *

فما بقاء الغُصْنِ فى ساقِهِ بعد ذهابِ الفَرْعِ والأصْلِ

فهو عقد قول حكيم « لقد مات أبوك وهو أصلك ، وابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ؟! » .

ومثله قول عبد الله بن عبد الأعلى النحوى [من الطويل] :

صَحِبْتُكَ قبلَ الروحِ إذْ أنا نُطْفَةٌ مُصَانٌ فلا يَبْدُو لخلقٍ مَصُونُهَا

فماذا بَقَاءُ الفَرْعِ من بَعْدِ أصلِهِ سَتَلْقَى الذى لاقى الأصُولَ غُصُونُهَا

وللمتنبى فى عقد الحكم ساعد شديد ، فلنذكر من محاسنه طرفا صالحا من ذلك ، فمنه قوله [من الكامل] :

وإذا كانت النفوسُ كِباراً تعبت فى مُرَادها الأجسامُ

عقد قول أرسطاطاليس « إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان تلاف النفس دون بلوغها » وقوله [من الطويل] :

بذا قَضَتِ الأيامُ ما بين أهلها مصائِبُ قومٍ عند قومٍ فوائِدُ

عقد قول أرسطا طاليس « الزمان ينشىء ويلاشى ، ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين » وقوله [من البسيط] :

والهَجْرُ أقْتَلُ لى مما أحاذِرُهُ أنا الغريق فما خوفى من البَلَلِ

عقد قول أرسطاطاليس « من علم أن الفناء مستولٍ على كونه هانت عليه المصائب » وقوله [من الطويل] :

وما الحسْنُ فى وجهِ الفتى شرفاً لهُ إذا لم يكن فى لَفْظِهِ والخلائقِ

عقد قول أرسطاطاليس وقد نظر يوماً إلى غلام حسن فاستنطقه فلم يجد عنده علماً ، فقال : « نعم البيت لو كان فيه ساكن » وقوله [من الخفيف] :

من يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ به ما لجُرْحٍ بميِّتٍ إيلامُ

عقد قول أرسطاطاليس « النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام » وقوله [من الخفيف] :

وإذا لم يكن مِنَ الموتِ بُدٌّ ... فمِنَ العجز أن تَموتَ جبانًا

عقد قول أرسطاطاليس « خوف وقوع المكروه قبل تناهى المدة خَوَرٌ فى الطبيعة » وقوله [من الوافر] :

ولم أر فى عُيُوب الناس شيئاً ... كنقص القادرينَ على التمام

عقد قول أرسطاطاليس « أعجز العجزة مَنْ قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل » وقوله [من الطويل] :

ومن ينفقِ الساعات فى جمع ماله ... مخافَةَ فَقْرٍ فالذى فعَلَ الفقْرُ

عقد قول أرسطاطاليس « من أفنى مدته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم » وفى هذا القدر كفاية .

* * *

شاهد الحل

٢١٤ — إذا ساء فِعْلُ المرءِ ساءتْ ظُنُونُهُ ... وصَدَّقَ ما يَعْتَادُهُ مِن تَوَهُّمِ

هو للمتنبى ، من قصيدة من الطويل ، قالها فى كافور الاخشيدى ، وكان قد دخل عليه يوماً فلما نظر إليه وإلى قلته فى نفسه ، وخسة أصله ، ونقص عقله ، ولؤم كفه ، وقبح فعله — ثار الدم فى وجهه حتى ظهر ذلك فيه ، وبادر وخرج ، فأحس كافور بذلك ، فبعث إليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله ، وقال له : يا أبا الطيب ، مالى أراك متغير اللون ؟ فقال : أصاب فرسى جرح خفته عليه ، وماله خلف إن تلف ، فعاد إلى كافور فأخبره ، فحمل إليه مهراً أدهم ، فقال هذه القصيدة ، وذلك سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، وأولها :

فِرَاقٌ ومن فارقْتُ غيرُ مذمَّمٍ وأَمٌّ ومن يمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ
وما منزلُ اللذاتِ عندى بمنزلٍ إذا لم أُبجَّلْ عندَهُ وأُكرَّمِ
سجيةُ نفسٍ ما تزالُ مليحةً منَ الضيمِ مَرْمِياً بها كلُّ مخرمِ
رَحلتُ فكم باكٍ بأجفان شادنٍ علىَّ وكم باكٍ بأجفان ضيغمِ
وما ربة القرط المليح مكانه بأجزعَ منْ ربِّ الحسامِ المصممِ
فلو كانَ ما بى مِن حبيبٍ مقنعٍ عَذرتُ ولكن من حبيب معمَّمِ
رَمى واتقى رَميِى ومن دُون ما اتقى هَوًى كاسرٌ كفِّى وقوسى وأسهمى

و بعده البيت ، و بعده :

وعادَى مُحبيهِ بقولِ عُدَاتهِ وأصبحَ فى ليلٍ منَ الشكِّ مُظلمِ

إلى أن يقول فيها :

وماَ كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ ولاَ كلُّ فعَّالٍ لهُ بمتممِ
فِدًى لأبى المسكِ الكرامُ فانها سوَابقُ خيلٍ يهتدينَ بأدْهمِ
أغرَّ بمجدٍ قدْ شخصنَ وَرَاءهُ إلى خُلُقٍ رَحْبٍ وخَلْقٍ مُطهمِ
إذا مَنعتْ منكَ السياسةُ نفسهَا فقفْ وَقفةً قُدَّامهُ تتعلمِ
يضيق على منْ راءه العذر أن يرى ضعيف المساعى أو قليل التكرمِ
ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت وكان قليلا من يقول لها اقدمى
شديد ثبات الطرف والنقع واصل إلى لَهَوَاتِ الفارس المتلثمِ
أبا المسكِ أرجو منك نصراً على العدا وآمل عزا يخضب البيض بالدم
وَيوماً يغيظ الحاسدينَ وَحالة أقيمُ الشقا فيها مَقامَ التنعمِ
ولم أرْجُ إلا أهلَ ذَاكَ ومَنْ يُرِدْ مَوَاطرَ مِنْ غرِّ السحائب يظلمِ

قال أبو الفتح بن جنى : أومأ إلىَّ أبو الطيب وقت قراءة هذا البيت عليه أنه قد ظلم فى قصده كافوراً .

فلولم يكنْ فى مصر ماسرْتُ نحوَهَا ... بِقلبِ المشُوقِ المستهام المتيمِ

ولا نبحتْ خيلى كلابُ قبَائلٍ ... كأنَّ بها فى الليل حَمْلاَتِ دَيلمِ

ولا اتبعت آثارنا عينُ قائفٍ ... فلم ترَ إلا حافراً فوقَ منسِمِ

وسمنا بها البيداءَ حينَ تَغَمَّرَتْ ... منَ النيل واستذرت بظل المقطَّمِ

وأبلج يَعْصِى باختصاصى مُشيرَهُ ... عصيتُ بقصْدِيه مشيرى ولُوَّمى

فساقَ إلىَّ العرفَ غير مكدَّر ... وسُقتُ إليه الشكرغيرمجمجمِ

قداخترتكَ الأملاكَ فاختر لهم بنا ... حديثاً فقد حكمتُ رأيك فاحكمِ

فأحسنُ وجهٍ فى الورى وجهُ محسنٍ ... وأيمنُ كفٍ فيهم كفُ منعمِ

وأشرَفهم مَنْ كان أشرف همةً ... وأكثرَ إقداما على كل مُعْظَمِ

لمنْ تطلب الدنيا إذا لم ترد بها ... سرورَ محبّ أوْ مساءة مجرمِ

ثم لما خرج من عنده بعد إنشاده القصيدة بكمالها ، قال يهْجوه [من السريع] :

أُنوكُ من عبدٍ ومن عرسِهِ ... منْ حكم العبدَ على نفسهِ

وإنما يظهرُ تحكيمهُ ... ليحكم الافساد فى حسهِ

مامَنْ يرَى أنكَ فى وعدهِ ... كمن يرَى أنكَ فى حَبْسِهِ

العبدُ لا تفضل أخلاقهُ ... عنْ فَرْجِهِ المنتن أوضرْسِهِ

لا ينجز الميعادَ فى يومهِ ... ولا يفِى ما قالَ فى أمسِهِ

وإنما تحتال فى جَذْبهِ ... كأنكَ الملاحُ فى قلسهِ

فلا ترجّ الخيرعندَ امرىء ... مرّت يدُ النخاس فى رَأسهِ

وإن عرَاكَ الشكُّ فى نفسهِ ... بحالهِ فانظر إلى جنسهِ

فقلما يَلؤمُ فى ثوْبهِ ... إلا الذى يلؤمُ فى غرْسِهِ

مَنْ وَجَدَ المَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ ... لَمْ يَجِدِ المَذْهَبَ عَنْ قِنْسِهِ (١)

ومعنى البيت : إذا قبح فعل الانسان قبحت ظنونه ، فيسيء ظنه بأوليائه ويصدق ما يخطر بقلبه من التوهم الرديء فيهم

والشاهد فيه : الحلّ ، وهو نثر النظم ، وقد استشهد به على ماحله بعضُ المغاربة بقوله « فانه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذى يعتاده»

وذكرت بقوله « حنظلت نخلاته » قول الشريف أبى الحسن الموسوىّ ، من قصيدة يفتخر فيها ، وهو [من الطويل] :

بنو هاشم عينٌ ونحنُ سَوَادها ... على رغْم من يأبى وأنتم قَذَاتها

وأعجبُ ما يأتى به الدهر أنكم ... طلبتم عُلَى ما فيكُمُ أدوَاتها

وأمّلتمُ أنْ تدركوها طوالعاً ... دَعُوها ستسعى للمعالى سُعَاتَهَا

غرستُ غروساً كنت أرجو لقَاحها ... وآمُلُ يَوْماً أن تطيبَ جَنَاتها

فان أثمرت لى نلت ما كنتُ آملاً ... ولا ذنب لى إنْ حنْظَلَتْ نخَلاتُها

وروى عن إبراهيم بن العباس الصولىّ أنه قال : ما اتكلت قط فى مكاتباتى إلا على ما يجلبه خاطرى، أو يجيش به صدرى ، إلا قولى : « فأبدلوه آجالا من آمال » فانى حللت فيه قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهجٍ ... كأنهُ أجلٌ يسعى إلى أمل

وقولى : « قد صار ما يحرزهم يبرزهم، وما يعقلهم يعقلهم » فانى حللت فيه قول أبى تمام [من الطويل] :

فإنْ بَاشَرَ الأصحَارَ فالبيضُ وَالقَنَا
قرَاهُ وأحــــوَاضُ المَنَايَا مَنَاهِلُهْ

(١) القنس — بكسر القاف ، وقد تفتح — الأصل .

وَإِنْ يَبْنِ حِيطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
أُولَئِكَ عُقَّالاَتُهُ لاَ مَعَاقِلُهْ

قال ابن أبى الأصبع : ومن ذلك قوله تعالى فى الكتاب العزيز (يَعملونَ لهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وتمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ وَقُدورٍ رَاسِيَاتٍ) فان ذلك حلّ قول امرىء القيس [من مجزوء الرمل] :

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ وَجِفَانٍ كالجَوَابِى

على أن بعض الرواة قد ذكر أن بعض الزنادقة وضعه وتكلم على الآية الكريمة ، وأن امرأ القيس لم يصح أنه تلفظ به

قلت : وقد تصفحت ديوانه على اختلاف رُوَاته ، فلم أجد فيه قصيدة على هذا الوزن والروى ، والله تعالى أعلم .

***

شاهد التلميح

٢١٥ — فَوَاللهِ مَا أدرِى أَأحْلاَمُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كانَ فِى الركبِ يُوشَعُ

البيت لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها أبا سعيد محمد ابن يوسف الثغرى ، أولها :

أَمَا إنَّهُ لَوْلاَ الخليطُ المودِّعُ وربعٌ عفا منه مصيف وَمَرْبَعُ
لردَّتْ على أعقابِهَا أَرْيَحِيَّةٌ منَ الشوقِ وَاديهامنَ الدمعِ مُتْرَعُ
لحقنا بأخْرَاهُمْ وقدْ حَوَّمَ الهوَى قلوباً عهدنَا طيرَهَا وهىَ وُقَّعُ(١)
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشمسَ والليلُ رَاغِمٌ
بِشَمسٍ بَدَتْ منْ جانبِ الخدرِ تطلعُ
نَضَا ضَوْؤُهَا صبغَ الدُّجنةِ وانطَوَى
لبهجتِهَا ثوبُ السماءِ المجزَّعُ

(١) فى أصول الكتاب « وقد خذم الهوى » وأثبتنا ما فى الديوان .

و بعده البيت، و بعده :

وعهدِى بها تُحيِى الهوَى وتُميتُهُ وتَشْعبُ أعشار القلوب وتصدَعَ
وَأقرعُ بالعتبى حُمَيّا عِتَابِهاَ وقدْ تستَقيدُ الراح حين تشعشعُ
وتَقفُو لىَ الجدْوَى بجدْوَى وَإنَّماَ يرُوقُكَ بَيْتُ الشعرِ حين يُصَرَّعُ

والشاهد فيه : التلميح ، وهو : أن يشير الشاعر فى فحوى الكلام إلى قصة أو شعر ، أو مثل سائر ، فهنا أشار إلى قصة يوشع بن نون ، فتى موسى — عليهما السلام ! — واستيقافه الشمس ، فانه روى أنه قاتلَ الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، و يدخل السبت ، فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فردَّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وخرّج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غزا نبيٌّ من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أنْ يبنى بها ولم يبن بها ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولم يرفع سقفه ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادتها ، قال : فغزا القرية حين صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علىّ ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه » .

وقد تطرّف الرصافىُّ البلنسى بتلميحه بهذه القصة ، فقال يخاطب بعض من اسمه موسى بأبيات ، أولها [من الكامل] :

مامثلُ موضعك ابنَ رِزْقٍ مَوْضِعُ
زَهْرٌ يَرِفُّ وَجَدْولٌ يتدَفَعُ

يقول فيها :

وَعَشِيّةٍ لَبِسَتْ رِداءَ شُحُوبِهاَ والجوُّ بالغيم الرّقيقِ مُقنعُ

بلغَتْ بِنا أَمَدَ السرُور تألقاً والليـ ل نحو فراقنا يتطلّعُ
فابلُلْ بها رَمقَ الغبُوقِ فقد أتى من دُون قرص الشمس مايتوقعُ
سقطتْ ولم يملك نديمك رَدّها فوددْتُ ياموسَى لوَ أنكَ يُوشَعُ

وقد قال ابن مرج الكحل فيها ينحو هذا المنحى، وأشار إلى قصة الرصافى هذه [من الكامل]:

حَلَّ المسَاء وَللنسيم تضوُّعُ والأنسُ ينظمُ شملنا وَيُجمِّعُ
والزهرُ يضحكُ عن بكاء غمَامَةٍ ربعتْ بشيم سيوفِ برقٍ تلمعُ
فانعمْ أبا عمرانَ واله برَوْضةٍ حَسُنَ المصيفُ بهَا وطاب المرْبعُ
ياشَادِنَ البَانِ الذى دُونَ النقا
حَيثُ التقى وَادِى النقَا وَالأجرَعُ
الشمسُ يغربُ نورُهَا ولرُبمـا كَسفت ونورُكَ كل حين يطلعُ
أفلَتْ فنَابَ سنَاكَ عنْ إشراقِهَا وجلاَ مِنَ الظلماء ما يتوقعُ
فأمِنتُ يا موسى الغرُوبَ ولَم أقُلْ
(فوَدِدْتَ يا مُوسَى لوَ أنكَ يُوشَعُ)

وقد لمح بهذه القصة أيضا أبو العلاء المعرى حيث قال [من الوافر]:

فلوْ صح التناسخ كنتَ موسَى وكانَ أبوكَ إسحاقَ الذبيحاَ
ويوشعُ رَدَّ يوحاً بعضَ يوم وأنتَ متى سفرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا

و يوح و يوحى — بياءين مثناتين من أسفل — من أسماء الشمس .

وقال كثير من اللغويين: إنهما بالباء الموحدة، وكذا رواه أبو على البغدادى، والصحيح الأول .

ويروى أن المعرّى اعترض عليه فى هذه اللفظة ببغداد فى حلقة ابن المحسِّن

فاحتج عليه بكتاب الألفاظ ليعقوب ، فقال : هذه نسخ مُحْدَثَة غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا ما فى دار العلم من النسخ القديمة فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال .

وقد لمح ابن قلاقس إلى هذه القصة أيضا بقوله [من الطويل] :

ومنتصر فى منع مقلوب عقربٍ ... بما تحته من لسع مقلوب برْقُعِ

أبَتْ شمسهُ إلا الغروبَ وقد سَما ... بها كَلَفِى منْ كل عضو بيوشعِ

وابن مطروح ، بقوله [من الطويل] :

وماَ أنسَ لاَ أنسَ المليحةَ إذْ بَدَتْ

دُجًى فأضاءَ الأفقُ مِنْ كلِّ موْضعِ

فحدَّثتُ نفسى أنهاَ الشمْسُ أشرَقَتْ

وأنِّى قَدْ أوتيتُ آيــةَ يُوشَعِ

والملك الناصر داود بقوله ، يرثى الامام المنتصر بالله ، و يمدح المعتصم ، من قَصيدة طويلة [من الطويل] :

أقامَ مَنارَ الدين بعدَ اعوجاَجهِ ... وشيَّدَ واهى الدينِ بعدَ التضعضعِ

باقدَامِ منصورٍ وعزمَــةِ قادرٍ ... وَسيرَةِ مهدِىٍّ وَإخباتِ طيِّــعِ

به رجعَتْ شمسُ المكارِمِ والعلا ... كما رَجعتْ شمسُ النهار ليُوشَعِ

ونصر بن أحمد الخبزأرزى ، بقوله من قصيدة [من البسيط] :

وَلّى فأقبلتِ الأردافُ لاَعبةً ... كما تلاعبتِ الأمواجُ فى اللججِ

ثم انثنى بانعطافٍ منهُ ملتفتاً ... كما ثنَى نفساً خوف الرقيب شَجِى

كأنَّ يوشعَ رَدَّ الشمْسَ ثانيةً ... عنـدَ التفاتتِهِ نحوى بمنعرجِ

وابن اللبانة ، بقوله [من الطويل] :

بكَتْ عندَ توديعى فما علم الركبُ ... أذَاكَ سقيطُ الطلِّ أم لؤلؤ رطبُ

أتابعها سرْبٌ وَإنى لمخطىء ... نجُومُ الدياجى لا يقال لها سربُ

لئنْ وقفَتْ شمسُ النهار ليوشع ... لقد وقفَتْ شمسُ الهوَى لى والشُّهْبُ

وقد لمح إليها حازم فى مقصورته ، فقال [من الرجز] :

وكم رأتْ عينى نقيض ما رأتْ من اطلاع نورها تحتَ الدُّجى

فيالَهَا مِنْ آيةٍ مبصرةٍ أبصرها طرفُ الرقيب فامترَى

وَاعتورَتهُ شبهة فَضلَّ عنْ تحقيق ما أبصرهُ وَما اهتدَى

وظنَّ أنَّ الشمْسَ قد عادَتْ لهُ فانجابَ جنحُ الليل عنها وانجلَى

والشمسُ ما رُدَّتْ لغير يوشع لما غزَا وَلِعلِىَ إذْ غفَا

فلمح إلى قصة يوشع بن نون عليه السلام ، ثم زاد قصة رجوع الشمس لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وخبر ذلك مارواه الطحاوى عن أسماء بنت عُمَيْس من طريقين أن النبى صلى الله عليه وَسلم كان يوحى إليه ، ورأسه فى حجر علىّ ، رضى الله عنه ! فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصليت ياعلىّ ؟ » قال : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها طلعت بعد ماغربت ، ووقعت على الجبال والأرض .

ومن ظريف ما يحكى هنا ما روى أن المظفر المَرْوَزِىّ الواعظ جلس يوما ما بالناجية ببغداد بعد العصر ، وأورد حديث رد الشمس لعلى رضى الله عنه ، وأخذ فى ذكر فضائله ، فنشأت سحابة غطت الشمس وظن أنها غابت ، فأومأ إليها وارتجل [من الكامل] :

لا تغرُبى يا شمس حتى ينتهى مَدْحى لآل المصطفى ولنجله

واثنى عنانك إن أردتِ ثناءهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجلهِ

إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الأبيات ، فلايدرى ذلك اليوم ما رمى عليه من الأموال والثياب .

ومن التلميح بالقرآن قول ابن المعتز [من الخفيف] :

أترَى الجيرَة الذين تدَاعوا عندَ سير الحبيب وقت الزوالِ

علموا أننى مُقِيمٌ وقلبى رَاحلٌ فيهم أمام الجمالِ

مثلُ صاع العزيز فى أرْحُلِ القوْ مِ ولا يعلَمُونَ ما فى الرِّحالِ

ما أعزَّ المعشُوقَ ما أهْوَنَ العا شِقَ ما أقتَلَ الهوَى للرجالِ

أشار إلى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل أخيه ، و إخوتُه لم يشعروا بذلك .

وقول أبى نصر محمد الأصفهانى فى ذم مملوك [من الطويل] :

بُليتُ بمملوكٍ إذا ما بعثتُهُ لأمرٍ أعيرَتْ رجله مِشْيَةَ النملِ

بليدٍ كأن الله خالقَنَا عَنى بِهِ المثَلَ المضرُوبَ فى سورةِ النَّحْلِ

يشير إلى قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ـ الآيات) .

ومنه ما ذكره أبو بكر بن الآبار فى تحفة القادم أن أبا بكر الشبلى جلس يوماً على نهر شبل بالجسر ، فتعرضه بعض الجوارى للجواز ، فلما أبصرته رجعت بوجهها وسترت ما قد ظهر له من محاسنها ، فقال أبو بكر المذكور [من الكامل] :

وعقيلةٍ لاحَتْ بشاطىء نهْرها كالشمس طالِعَةً لدى آفاقِهَا

فكأنها بَلْقِيسُ وافَتْ صَرْحَهَا لو أنها كَشفَتْ لنا عن ساقِهَا

حورية قمرية بدوية ليس الجفَا والصد من أخلاقِهَا

قال التيجانى فى كتابه تحفة العروس : و يمكن تغيير البيتين الأولين بأن يقال [من الكامل] :

وعقيلة لاحت بشاطى نهرها كالشمس تتلو فى المشارق صُبْحَهَا

لو أنها كشفت لنا عن ساقها لحسبتها بلقيس وافت صَرْحَهَا

يشير إلى قوله تعالى فى قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام (قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ـ الآية)

ومن التلميح بالقرآن والشعر قول النفيس القراطيسى [من البسيط] :

يُسَرُّ بالعيدِ أقوامٌ لهم سَعَةٌ من الثراء وأما المقترُون فلاَ

هل سرنى وثيابى فيه قومُ سبَا أو رَاقنى وعلى رأسى به ابن جلاَ

يشير إلى قوله تعالى عن قوم سبأ (ومزقناهم كل ممزق) و إلى قول الرياحى [من الوافر] :

أنا ابنُ جلاَ وطلاع الثَّنَايا متى أضع العمامة تعرِفُونى

ومن التلميح بالحديث على جهة التورية قول بعضهم [من المقتضب] :

يا بَدْرُ أهلكَ جارُوا وعلموك التجرِّى

وقَبَّحُوا لك وَصلى وحَسَّنُوا لك هَجْرِى

فليفْعَلوا ما يشاءوا فإنهمْ أهلُ بدر

يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأله قتل حاطب « لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم »

ومنه قول السراج الوراق [من الطويل] :

ومن فَرْط فقرى واحتياجى بعدكم و بذل مُحَيًا بالحياء مُستَّرِ

أكلتُ حِماراً طال ماقَدْ ركبتهُ كأنى لم أسمع بأخبار خَيْبَرِ

يشير إلى تحريم لحوم الحمر الأهلية فى غزوة خيبر .

* * *

٢١٦ـ لعَمْرٍو مع الرَّمْضاء والنار تلتظى ... أرقُّ وأحفى منك فى ساعة الكَرْب

من شواهد التلميح

البيت لأبى تمام، من قصيدة من الطويل.

والرمضاء: الأرض الشديدة الحر، وأحفى: من حَفِىَ بفلان، إذا بالغ فى إكرامه، وأظهر السرور والفرح، وأكثر السؤال عن حاله.

والشاهد فيه: التلميح إلى البيت المشهور، وهو [من البسيط]:

المستجيرُ بعمْرٍو عند كُرْبته ... كالمستجير من الرَّمْضاء بالنارِ

وهو من البسيط، ولا أعرف قائله.

وعمرو: هو ابن الحارث، ولهذا البيت قصة، وهى أن البَسُوس بنت سعد خالة جَسّاس بن مرة كان لها جار من جَرْم، يقال له: سعد بن شمس، وكانت له ناقة يقال لها سَرَاب، وكان كليب بن وائل قد حمى أرضاً من أرض العالية فى مستقبل الربيع، فلم يكن يرعاها أحد إلا جساس لمصاهرة بينهما، لأن جليلة بنت مرة أخت جسّاس كانت تحت كليب، فخرجت ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب مع إبل جساس، فأبصرها كليب، فأنكرها، فرماها بسهم فأصاب ضَرْعها، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب لبناً ودما، فلما نظر إليها صاح: واذُلّاه وذل جاراه، فخرجت جارته البسوس، فلما رأت الناقة ضربت يدها على رأسها وصاحت: واذُلّاه، وقالت [من الطويل]:

لَعَمْرِىَ لو أصْبَحْتُ فى دار مُنْقِذٍ ... لما ضِيمَ سَعْدٌ وهو جارٌ لأبياتى

ولكننى أصبحت فى دار غُرْبَةٍ ... متى يعد فيها الذئب يَعْدُ على شاتى

فياسعد لاتُغْرَرْ بنفسك وارتحِلْ ... فإنك فى قَوْمٍ عن الجار أمواتِ

فسمعها جساس فقال: اسكتى أيتها المرأة فليقتلن جمل عظيم هو أعظم من ناقة جارك، ولم يزل جساس يتوقع غِرَّةَ كليب حتى خرج كليب لا يخاف شيئاً

فتباعد عن الحى ، وتبعه جساس ومعه عمرو بن الحارث ، فأدرك جساس كليبا فطعنه بالرمح فدق صلبه فأنفذه ، ثم أدركه عمرو بن الحارث ، فقال : ياعمرو أغثنى بشربة ماء ، فقال: تجاوزتَ شُبَيْثًا والأحصَّ ، يعنى موضع الماء ، وأجهز عليه ، فقيل * المستجير بعمرو — البيت * ونشبت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، حتى قتل أكثر بكر ، وكانت الغلبة لتغلب عليهم، قال ابن إسحاق: كان بين هذه ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم ستون سنة .

ومن محاسن التلميح هنا قول ابن حجاج الشاعر [من المنسرح]:

ولى شفيعٌ إليك شَرَّفَنى   إيجابه لى وَزَادَ فى قَدْرى

نَبَّهْتُ منه لحاجتى عُمَراً   ولم أعوِّلْ فيه على عَمْرِو

يريد بالشطر الأول قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيقظتْكَ حروب العِدَى   فنبِّهْ لها عمراً ثمَّ نم

و بالثانى البيت المار .

ومن لطيف ما يذكر هنا أن قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز بن دلف ابن أبى دلف هرب إلى عمرو بن الليث ، وهو يومئذ بخراسان ، فغم ذلك أحمد وأقلقه ، فدخل عليه أبو نجدة ، وهو سحيم بن سعد شاعر عجلى ، فأنشده [من البسيط] :

يا ابن الذين سبى كسرى بجمعهم   فجللوا وَجْهَهُ قاراً بذى قار

دَوِّخْ خراسان بالجرد العتاق و بالبيض الرقاق بأيدى كلِّ مِسْعَار

يا مَنْ تيمَّمَ عمرا يستجيرُ به   أما سمعتَ ببيت فيه سيّار

(المستجيرُ بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار)

فسر أحمد بذلك وسُرِّىَ عنه ، وأمر لأبى نجدة بجائزة .

وذكرت بهذا البيت ما حكى أن بعضهم كان إذا فرغ من صلاته وضع خده على الأرض وقال :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار .

وأنشد المبرد لأبي كريمة البصري يقول لعمرو الجاحظ [من البسيط] :

لم يظلم الله عمراً حين صيَّرَهُ من كل شيء سوى آدابه عارِ
بَتَّتْ حبال وصالي كفُّهُ قُطِعَتْ لما استغنت به في بعض أوطاري
فكنت في طلبي من عنده فرجاً كالمستجير من الرمضاء بالنار
إني أعيذك والمعاذ محترس مِنْ شُؤْمِ عمرو بعز الخالق الباري
فإن فَعَلْتَ فحظ قد ظَفِرْتُ به وإن أبيتَ فقد أعلنت أسراري

وما أحسن قول السراج الوراق مشيراً إلى ذلك [من البسيط] :

مالي أرى عُمَراً أنِّي استجرتُ به قد صار عَمْراً بواوٍ فيه وانصرفا
ونامَ عن حاجةٍ نبهتُهُ غلطاً لها فألقيتُ منه السهد والأسفا
والمستجيرُ بعمرو قد سمعتَ به فما أزيدك تعريفاً بما عرفا

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

أقمتَ المطامعَ من نومها ونمت فمن ذا بهذا حكم
وحاشاك تَسْمَعُ في مثلها فنبه لها عُمَرًا ثم نَمْ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

لا عدِمْتُكَ حاجةٌ حَمَلْتَ عني كَلَّهَا
قد نَامَ عنها عُمَرٌ وأنت يقظانُ لها

ومن لطيف مجوله في تضمين هذا المعنى قوله [من المتقارب] :

نشطت لسُرَّيْتى فانثنى متعىَ من بعدِ ما قد عزم

فقلت: تنامُ ولى مقلةٌ مسهدةٌ ؟ مَنْ بهذا حكم ؟

فقال: أما قال بَشّارُكم فنبه لها عمراً ثم نم

ومنه قول الصفى الحلى فى رجل اسمه أحمد كان يرمى بأبنة وهو يدعى حب غلام اسمه عمر [من المتقارب] :

توالت على أحمد أبنَةٌ فأقبلَ يشكو إلىَّ الألمْ

فقلتُ له إنها فِتنةٌ فنبه لها عُمَراً ثم نَمْ

وقد عكس هذا المعنى بقوله [من السريع] :

أنا الذى خالفتُ كلَّ الورى فى خبرٍ أثبتَهُ الوقتُ

لما أتانى عُمَرٌ زائراً أنمتُهُ ثم تنبهتُ

وظريف هنا قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل] :

بينى و بين الحظ داجيةٌ عمياء لا نجمٌ ولا شجرُ

لا يُهتدَى فيها ولو طلَعت فى أفقها أخلاقُكَ الغرَرُ

وأرى وحاشاكَ الكرامَ وما لى عندهم ظل ولا ثمرُ

لو أننى نبهتُ فى وطرٍ عمراً لمات من الكرى عمرُ

ومن التلميح قول بشار [من البسيط] :

اليوم خمرٌ ويبدو فى غد خبرٌ والدهر ما بين إنعام وإيآس

يشير إلى قصة امرى القيس ، وقد بلغه أن أباه قتل ، وكان يشرب فقال : اليوم خمر ، وغداً أمر .

ومن مجون التلميح قول ابن حجاج [من الطويل] :

غضبت صباح وقد رأتنى قابضاً أيرى فقلت لها مقالة فاجر

بالله إلا ما لطمت جبينه حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد به قول ابن نباتة السعدى فى وصف فرس أغر محجل [من الكامل] :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينَهُ فاقتصَّ منهُ فخاض فى أحشائه

وما أحسن قول بعض شعراء المغرب فى التلميح [من الوافر] :

وعندى من لوَاحِظِهَا حديث يُخَبِّرُ أن رِيقَتَهَا مُدَامُ

وفى أعطَافها النَّشْوَى دليل وما ذقنَا ولا زعَمَ الهمَامُ

يشير إلى قول النابغة [من الكامل] :

زعَمَ الهمام بأن فاها باردٌ عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شهىٌّ المَوْرِدِ

زعمَ الهمام ولم أذقهُ أنهُ عذب إذا ما ذقتهُ قلت ازدد

وقد مر فى السرقات الشعرية طرف مما قيل فى هذا المعنى .

ومن لطائف التلميح قصة الهذلى مع المنصور ، فقد روى أنه وعده بجائزة ثم نسى ، فحجًّا معا ، ثم مرا فى المدينة ببيت عاتكة ، فقال الهذلى : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكةَ الذى يقول فيه الأحوص [من الكامل] :

يا بَيْتَ عاتكةَ الذى أتعزَّلُ حذَرَ العدى وبهِ الفؤاد موكلُ[1]

فأنكر عليه المنصور ابتداءه من غير سؤال ، ثم أمرَّ القصيدة على باله ليعلم ما أراد ، فإذا فيها :

وأراكَ تفعَلُ ماتقولُ وبعضهم مَذِقُ اللسانِ يَقُولُ مالا يَفعَلُ

فعلم أنه أشار إلى هذا البيت بتلميحه الغريب ، فتذكر ما وعده به ، فأنجزه له

ومثله ماحكى أن أبا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبي وشرح ديوانه وعمله

(١) وقع فى المطبوعتين « يابيت عاتكة التى أتغزل » محرفا عما أثبتناه

« معجز أحمد » فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى ، فجرى ذكر المتنبى فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعرى : لو لم يكن له من الشعر إلا قوله [من الكامل] :

* لكِ يا منازلُ فى القلوب منازلُ *

لكفاه ، فغضب المرتضى وأمر بسحْبه و إخراجه[1] ، وقال للحاضرين : أتدرون ماعنى هذا بذكر هذا البيت ؟ قالوا : لا ، قال: عنى به قول المتنبى [من الكامل] :

وإذا أتتْكَ مَذمتى من ناقِص فهىَ الشَّهادةُ لى بأنى فاضلُ

ومن التلميح بهذا البيت بعينه ما حكاه صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ فى كتابه المسمى بقلائد العقيان فقال فيه « رَمدعين الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، فما يتشرَّع ، ولا يأخذ فى غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل لا يتطهر من جَنَابه ، ولا يُظهِرُ مخائل إنابه » فبلغ ابنَ الصائغ انتقاصه له ، فمر يوما على الفتح وهو جالس فى جماعة ، فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح ، وقال له : شهادة يافتح ، ومضى ، فلم يَدْرِ أحدٌ ما قال إلا الفتح ، فتغير لونه ، فقيل : ماقال لك ؟ فقال : إنى وصفته بما تعلمون فى كتابى ، فما بلغت بذلك عُشْرَ ما بلغ هو منى بهذه الكلمة ، إنه يشير بها إلى قول المتنبى [من الكامل] :

وإذا أتتْكَ مذمتى من ناقص فهىَ الشهادة لى بأنى فاضلُ

ومن هذا القبيل قصةّ السَّرى الرفاء مع سيف الدولة بن حمدان بسبَب المتنبى أيضاً ، فانهما كانا من مُدَّاحه ، فجرى ذكر المتنبى يوماً فى مجلس سيف الدولة ، فبالغ فى الثناء عليه ، فقال السرى : أشتهى أن الأمير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ، و يتحقق بذلك أنه أرْكَبَه فى غير سَرْجِه ، فقال له سيف الدولة : عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها [من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « وأمر بسجنه و إخراجه » وليس بشىء ، ومن أين للمرتضى أن يأمر بالسجن ؟ !

لِعينَيْكِ ما يَلْقَى الفؤادُ وما لقى ... وللحبِّ مالم يبق منى ومابقى

قال السرى : فكتبت القصيدة واعتبرتها فلم أجدها من مختاراته ، لكن رأيته يقول فيها :

إذا شاء أن يَلهو بلِحْيَةِ أحْمَق ... أراهُ غُبَارى ثم قال لهُ الحقِ

فعلمت أن سيف الدولة إنما أشار إلى هذا البيت ، فأحجمت عن معارضته

ومن بديع التلميح قول الرئيس أبى العباس بن أبى طالب رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

وكم ليلةٍ نلتُ فيها المُـنَى ... وبات لى الحبُ فيها نجيّا

إذا ضلّ لَحْظِىَ فى جُنحها ... هدَتْ وجنَتاه الصِّرَاط السويّا

أراع فأسأل عن صبْحها ... فيرجع لى جُنْحها ثم هَنيًّا

إلى أن بَدَالىَ سِرْحانُها ... يُحاول للجدْى فيها رقيًّا

فيا لك من ليلةٍ مِثْلها ... أنادمُ بدرَ دُجاها البهيًّا

حكت ليلة السفح فى حُسنها ... فأصبَحْتُ أحكى الشريفَ الرضيًّا

يشير إلى قول الشريف الرضى رحمه الله تعالى فى قصيدته البديعة المشهورة وهو [من البسيط] :

ياليلة السّفح هلاّ عُدْتِ ثانيةً ... سقى زمانكِ هطّال من الدِّيم

وأمستِ الريح كالغيْرَى تجاذِبنا ... على الكثيبِ فضولَ الرّيطِ واللمَم

يَشِى بِنَا الطيبُ أحياناً وآونة ... يُضيئنا البرقُ مجتازاً على إضم(1)

وباتَ بارقُ ذاك الثّغر يوضحُ لى ... مَواقع اللثم فى داج من الظُّلم

وبيننا عفّة بايعتها بيدِى ... على الوفاء لها والرّعيِ للذمم

وبَلّلَ الطّلّ بُرْدَينا وقد نَسمَتْ ... رويحة الفجر بين الضال والسَّلم

(1) فى المطبوعتين « يشو بنا الطيب » وأثبتنا ما فى الديوان .

وأكتمُ الصبحَ عنها وهى غافلة ... حتى ترنَّمَ عصفورٌ على عَلَمِ
فقُمْتُ أنفُضُ برداً ما تعلَّقَهُ ... غيرُ العفافِ وراء الغَيْبِ والكرَم
وألمَسَتْني وقد جدَّ الوَدَاعُ بنا ... كفًّا يشيرُ بقضبَانٍ مِنَ العنَم
وألثمتني ثغراً ماعدلْتُ به ... أَرْىَ الجنى ببنات الوَابِلِ الرذم
ثم انثنينا وقد رَابَتْ ظواهرُنا ... وفى بواطننا بُعْدٌ عن التهم

ومن لطائف التلميح قول أبى فراس من أبيات [من الطويل]:

وقال أُصيْحَابى الفِرارُ أو الردى ... فقلتُ هما أمران أحلاهما مُرُّ
ولكننى أمضى لمالا يَعيبنى ... وحسبُكَ من أمرين خيرهما الأَسْرُ
ولا خير فى دفع الردى بمَذَلةٍ ... كما ردها يوماً بِسَوْأَتِهِ عمرو

يريد عمرو بن العاص لما ضرب به على رضى الله عنه يوم صفين ، فاتقاه بسوأته كاشفاً عنها ، فأعرض وقال : عورة المرء حمى ، وقد وقع ذلك لبشر بن أرطاة أيضا مع على رضى الله عنه كما وقع لعمرو ، وكان مع معاوية بصفين أيضا ، فأمره أن يلقى عليا ، وقال له : سمعتك تتمنى لقاءه ، فلو ظفرك الله به حصلت على دنيا وأخرى ، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رآه ، فقصده فى الحرب ، والتقيا ، فصرعه على ، فكشف عن سوأته ، فتركه ، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى ، وكان عدواً لعمرو وبشر [من الطويل]:

أفى كل يوم فارسٌ ليس ينتهى ... وعورَته وَسْطَ العَجاجةِ بادِيَهْ
يكف بها عنهُ علىٌّ سنانه ... ويضحكُ منهُ فى الخلاء مُعَاوِيَهْ
بدَتْ أمس من عمرو فقنَّعَ رأسه ... وعَوْرة بشر مثلها حذو حاذِيَهْ
فقولا لعمرو ثم بشر: ألا انظرا ... سبيلكما لاتلقيا الليث ثانيَهْ
ولا تحمدَا إلا الحيَا وخصَاكما ... هُمَا كانتا والله للنفس واقِيَهْ
فلولا هُمَا لم تنجيَا من سنانِهِ ... وتلك بما فيها عن العَوْد ناهيَهْ

متى تَلْقَيا الخيلَ المشيحةَ صُبْحَةً وفيها عليٌّ فاتركا الخيلَ ناحيهْ
وكونا بعيداً حيثُ لاتدركُ القنا نحورَكما إن التجارب كافيهْ

ومن التلميح البديع قول أبى فراس أيضاً [من الطويل] :

وقد علمت أمى بأن مَنِيَّتِى بحد سِنَانٍ أو بحدِّ قضيبِ
كما علمت من قَبْلِ أن يغرق ابنهَا بمَهْلَكِهِ فى الماء أمُّ شبيبِ

يشير إلى مارأته أم شبيب الخارجى فى منامها وهى حامل به من أن ناراً خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ، ثم وقعت فى ماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها غير مرة لم تصدق ، حتى قيل لها : إنه قد غرق ، فصدّقت ، وأقامت المَناحة عليه .

ومن بديع التلميح ماحكى أن عبدالرحمن بن الحكم قدم على معاوية رضى الله عنه الشام ، وكان قد عزل أخاه مروان عن المدينة وولى سعيد بن العاص ، فوجَّهه أخوه وقال له : القه أمامى ، فعاتِبْه لى واستصلحه ، فلما قدم دخل عليه وهو يُعشى الناس ، فأنشأ يقول [من الوافر] :

أتتكَ العيسُ تنفخ فى براها تكشف عن مَنَاكِبها القُطُوعُ
بأبيَضَ من أمية مضرحيٍّ كأن جبينَهُ سيف صنيعُ

فقال له معاوية: أزائرا جئت أم مفاخرا أم مكاثرا ؟ فقال : أىّ ذلك شئت، فقال : ما أشاء من ذلك شيئا ، وأراد معاوية رضى الله عنه أن يقطعه عن كلامه الذى عنّ له ، فقال: على أى الظهر آتيتنا ؟ قال : على فرس ، قال : ماصفته ؟ قال : أجش هزيم ، يعرض بقول النجاشى له [من الطويل] :

ونجّى ابنَ حربٍ سابحٌ ذو عُلالة أجَشُّ هزيمٌ والرماحُ دَوَانى
إذا خِلْتَ أطرافَ الرماحِ تنَاله مَرَته به الساقانِ والقَدَمانِ

فغضب معاوية رضى الله عنه ، وقال : أما إنه لا يركبه صاحبه فى الظلم إلى

الريب ، ولا هو ممن يتسوّر على جاراته . ولا يتوثّب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك فى امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ماحملك على عزل ابن عمك ؟ ألخيانة أوجبت سخطا أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحته ، قال : فلا بأس بذلك ، وخرج من عنده فلقى أخاه مَرْوَان ، فأخبره بما جرى بينه و بين معاوية فاستشاط غيظاً ، وقال لعبدالرحمن : قبحك الله ! ما أضعفك ! عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر منك أحجمت عنه ، ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية رضى الله عنه فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه : مرحباً بأبى عبد الملك ، لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك ، قال : لاها الله مازرتك لذلك ، ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بنى عبدشمس لآل أبى العاص بِصِهْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يابنى حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أَثَرَةً وسوء صنيعة وقُبح قطيعة ، فرُوَيْدًا رويداً قد بلغ بنو الحكم و بنو بنيه نيفا وعشرين ، و إنما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم أمْرُوَان يكون منهم حينئذ ، ثم هم للجزاء بالحسنى و بالسوءى بالمرصاد ، فقال له معاوية رضى الله عنه : عزلتك لثلاث لو لم تكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك : إحداها أنى أمرتك على عبدالله بن عامر و بينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زَوْجها عمرو بن عثمان رضى الله عنهما فلم تُعْدِها ، فقال له مروان : أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقفه ، وأما كراهتى أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه ، وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إنه ليأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان رضى الله عنهما أكشف لها

نوبا ، يعرض بأن رملة إنما تستعدى عليه طلباً للنكاح ، فقال له معاوية رضى الله عنه : يا ابن الوَزغ لست هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنى لأبو عشرَة وأخو عشرة وعم عشرة ، وقد كاد ولدى أن يكملوا العِدة ، يعنى أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منى ، فانخزل معاوية رضى الله عنه ، ثم قال مروان [من الوافر] :

فإنْ أكُ فى شِرَارِكم قليلاً فإنى فى خيارِكُمُ كثيرُ
بُغَاثُ الطير أكثرهَا فراخاً وأمُّ الصقرِ مقلاة نَزُورُ(١)

فما فرغ من كلامه حتى استخزى معاوية فى يده ، وخضع ، وقال : لك العتبى وأنا رَادُّك إلى عملك ، فوثب مروان وقال : كلا وعيشك لا رأيتنى عائداً إليه أبداً ، وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت قط لك سقطة مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له : ادنُ منى أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له : إن الحكم ابن أبى العاص كان أحد من قدم مع أختى أمّ حبيبة لما زفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو تولى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدُّ النظر إليه فلما خرج من عنده قيل له : يارسول الله ، لقد أحْدَدْتَ النظر إلى الحكم ، فقال : ابن المخزومية ، ذاك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدى ، فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف : لا يسمعن هذا منك أحد ، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يَقْضِ الله عز وعلا أمراً يكن ، فقال له معاوية رضى الله عنه : فاكتمها على يا أبا بحر إذا فقد لعمرى صدقت ونصحت .

ومن ظريف التلميح أن حمزة بن بيض الحنفى الشاعر قدم على بلال بن أبى بُردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفى ،

(١) فى المطبوعتين « بغاث الطير أكثرهم » وليس بشىء .

فدخل الحاجب فأخبره به ، فقال : اخرج فقل له : حمزة بن بيض بن من ؟ فقال له: ادخل فقل له: الذى جئت إليه بنيار الحمام وأنت أمْرَدُ تسأله أن يهب لك طائرا فأدخلك وناكك ووهب لك الطائر ، فشتمه الحاجب ، فقال له: ما أنت وذاك ؟ بعثك برسالة فأخبره بالجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغضَبٌ فلما رآه بلال ضحك وقال: ما قال لك قبحه الله ؟ فقال: ما كنت أخبر الأمير بما قال ، فقال: يا هذا أنت رسول فأد الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه حتى أخبره ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفنا العلامة فادخل، فأكرمه وسمع مديحه وأحسن صلته ، وأراد بلال بقوله بيض ابن مَنْ قول القائل [من البسيط]:

أنتَ ابنُ بيضٍ لَعَمْرِى لست أنكره فقدْ صدقتَ ولكن مَنْ أبو بيض

وعلى ذكره فقد ذكرت له واقعة مع أحد بنى مروان ، وكان يعبث به كثيراً فوجه إليه رسوله ليلة وقال : ائتنى به على أى حالة وجدته ، فهجم الرسول عليه فوجده داخلا إلى الخلاء ، فقال: أجب الأمير، فقال : ويحك ! أكلت كثيراً، وشربت نبيذاً حلوا وقد أخذنى بطنى ، فقال : لا سبيل إلى مفارقتك ، فأخذه وأتى به إليه ، فوجده قاعداً فى طارمة وعنده جارية عجيبة يتحظاها وهى تسجر البخور ، فجلس يحادثه وهو يعالج ماهو فيه من ذات بطنه ، فعرضت له ريح فسيبها ظناً أن البخور يسترها ، قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحها المنتن ذلك الند، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : علىّ عهدالله والمشى والهَدْى إن كنت فعلتها وما فعلها إلا الجارية ، فغضب وخجلت الجارية وما قدرت على الكلام ، ثم جاءتنى أخرى فسرحتها ، وسطع والله ريحها ، فقال : ماهذا ويلك أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق إن كنت فعلتها ، وهذه اليمين تلزمنى إن كنت فعلتها ، ماهو إلا عمل هذه الجارية ، فقال : ويلكِ ! ماقصتكِ ؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئاً ، فأطرقت ، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها مالم يكن فى الحساب ، فغضب عند ذلك حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال : ياحمزة

خذ بيد هذه الزانية فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغصت على ليلتى ، فأخذت بيدها ، وخرجت ، فلقينى خادم فقال لى : ماتريد أن تصنع ؟ فقلت: أمضى بها ، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنك بغضاً لا تنتفع به بعده ، وهذه ثلثمائة دينار فخذها ودع الجارية ، فقلت : والله لا نقصتك عن خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلا ماقلت لك ، قال : فأخذتها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعانى فلقينى الخادم وقال : هذه مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرك ولعله ينفعك ، فقلت : وماهو ؟ قال : تدعى أن تلك الفسوات الثلاث منك ، فقلت : هاتها ، ودخلت ، فلما وقفت بين يديه قلت : لى الأمان أيها الأمير ، فقال : قل ، فقلت : أرأيت تلك الليلة وما جرى من الفسوات ؟ قال : نعم ، قلت : علىّ وعلىّ إن كان فسَاهُنّ غيرى ، فضحك حتى سقط على قفاه ، قال : فلم ويلك ما أخبرتنى ؟ فقلت : أردت خصالا ، منها أن قمت وقضيت حاجتى ، ومنها أنى أخذت جاريتك ، ومنها أنى كافأتك على أذاك بمثله حيث منعنى رسولك من دفع أذاى ، قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما خرجت من دارك ، وأخبرته الخبر ، فسر به ، وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك وتركك أخذ الجارية

ومن جيد التلميح قول أبى تمام الطائى [من الطويل] :

لئن فَخَرَت يوماً تميمٌ بقوسها وزَادَتْ على ما وَطَّدَت من مَنَاقِب[1]

فأنتم بذى قار أمالَتْ سيوفُكمْ عروش الذين استرْهَنُوا قوس حاجِبِ

يشير إلى قصة حاجب بن زُرارة حين أتى كسرى فى جَدْب أصابهم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه لقومه أن يصيروا فى ناحية من بلاده حتى يحيوا فقال : إنكم معاشِرَ العرب ذوو غَدْر وحرص ، فإن أذنت لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، فقال حاجب : إنى ضامن للملك أن لا يفعلوا ، قال : ومن لى بأن تفى ؟ فقال: أرهنك قوسى، فضحك مَنْ حوله، فقال كسرى: ما كان ليسلمها

(١) فى المطبوعتين « نجارا على ما وطدت » وأثبتنا ما فى الديوان

أبداً ، فقبلها منه وأذن لهم، ثم أحيى الناس بدعوته صلى الله عليه وسلم ، وقدمات حاجب ، فارتحل ابنه عطارد رضى الله عنه إلى كسرى يطلب قوس ابيه ، فردها وكساه حلة ، فلما رجع أهداها للنبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها ، فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم .

ويشير فيه أيضاً إلى وقعة ذى قار المشهورة ، وكانت بين الفرس والعرب ، وكانت بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولما بلغه خبرها قال : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا .

وعن ابن عباس قال : ذكرت وقعة ذى قار عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا » .

ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم تمثلت له الواقعة وهو بالمدينة فرفع يديه ودعا لبنى شيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى رأى هزيمة الفرس .

ويروى أنه قال « إيهاً بنى ربيعة » فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم ، وقال قائلهم : يارسول الله وَعْدَكَ ، فاذا دعوا بذلك نصروا .

وقد لمح إلى ذلك المطرانى بقوله [من المنسرح] :

تَزْهو علينا بقَوْسِ حاجبها زَهْوَ تميم بقوس حاجبها

وقد لمح إلى ذلك الصفدى فقال مُوَرِّيا فى مليح قلندرى حلق حاجبيه [من الطويل] :

بَدَا لِىَ فى حَلْقِ الحواجِبِ فِتْنَةٌ فقلتُ بعقلٍ ذاهلٍ فيه ذاهِبِ
حَبِيبِى بحقِّ الله قل لىَ ما الَّذِى دَعاكَ إلى هذا ، فقال مُجاوِبِى:
وَعدْتُ بوَصْلِ العاشِقِينَ تَعطفاً فلم يَثِقوا واسترهَنوا قَوْسَ حاجِبِى

ومن لطيف التلميح قول الحسن بن القوطية [من الطويل] :

رأى صاحِبي عَمْراً فـكَلَّفَ وصفَهُ وحملنى من ذاكَ ما لَيسَ فى الطَّوْقِ

فقلت: له عمرٌو كعمرٍو، فقَالَ لى: صَدَقْتَ ولـكن شَبَّ عمرو عن الطوْقِ

يشير إلى قصة عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش، وكانت الجن قد استهوته صغيراً. ثم قدم وقد التحى، فى خبر طويل، فأدخلته أمه رقاشِ إلى الحمام وألبسته ثياب الملك، ووضعت فى عنقه طوقاً من ذهب كان له، وأزارته خاله. فلما رأى لحيته والطوق فى عنقه قال «شبَّ عمرٌو عن الطوق» فذهب مثلا.

و إلى ذلك لمح السراج الوراق بقوله من أبيات [من البسيط] :

بطوق سمورةٍ كادت محاسنهُ تـكونُ للوُرْق فى أفنانهنّ تمَرْ

إن شب عمرو عن الطوق الذى زعموا فقل وقد شب فى الطوق الوزير عُمَرْ

وأشار إلى ذلك بقوله أيضاً [من مجزوء الرمل] :

مثل ما قد شب عمْرٌو هـكذا شابَ عُمَرْ

ومن غريب التلميح ما حكى أن رجلا قعد على جسر بغداد، فأقبلت امرأة بارعة الجمال من ناحية الرصافة إلى الجانب الغربى، فاستقبلها شابٌّ فقال لها: رحم الله على بن الجهم! فقالت له: رحم الله أبا العلاء المعرى! وما وقفا بل سارا مشرقاً ومغربا، قال: فتبعت المرأة وقلت لها: لئن لم تخبرينى بما أراد بابن الجهم وما أردت بأبى العلاء فضحتك، فقالت: أراد به قوله [من الطويل].

عُيون المَهَا بينَ الرصافةِ والجسرِ جَلبْنَ الهوى من حيثُ أدرى ولا أدرى

وأردت أنا بأبى العلاء قوله [من الطويل] :

فيادارَها بالخيفِ إنَّ مَزارَها قريبٌ ولـكن دون ذلك أهوالُ

ومن التلميح أيضاً قوله [من الوافر] :

شقيت بكم وكنت لـكم جليساً فَلَسْتُ جليسَ قَعْقَاعِ بن شورِ

أراد به قول الآخر [من الوافر] :

وكنتُ جليسَ قعقاع بنِ شورٍ ولا يشقى لقعقاعٍ جليسُ

ومن ظريف التلميح قول ابن قلاقس [من مجزوء الخفيف] :

عسكر مِنْ جَمالِه بطلٌ ليسَ يُدفعُ
قامَ عن قوسِ حاجبَيْـــه بعينَيْه يَنْزعُ
أسهم كيفَ ماانحرفَــــنَ إلى القلب تَتْبعُ
هكذا كنتُ لحن أبي حيّةٍ قبلُ أسمعُ

يشير إلى ما حدث به أبو حية النميرى عن نفسه قال : عَنَّ لى ظبى يوماً فرميته فراغ من سهمى فعارضه السهم ثم راغ فعارضه ، فما زال والله يروغ و يعارضــه حتى صرعه ببعض الحارات .

وأبو حية هذا اسمه الهيثم بن الربيع شاعر مجيد من مخضرمى الدولتــين : الأموية والعباسية ، وكان أهوج جباناً بخيلا كذابا معروفاً بذلك أجمع ، وقيل: إنه كان يُصْرَع .

ومن أخباره أنه كان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه و بين الخشبة فرق ، قال ابن قتيبة : فحدثنى جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً فأشرفتُ عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف فى وسط الدار وهو يقول : أيها المغتر بنا ، والمجترئ علينا ، بئس والله مااخترت لنفســك، خــير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لاتخاف نَبْوته ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليــك ، إننى والله إن أدع قيساً عليك لا تقم لها ، قيس وما قيس تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا . سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ، فبينا هو كذلك إذ خرج الــكلب ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلباً، وكفانى حرباً .

وقال مسلمة بن عياش لأبى حية: أتدرى ما يقول الناس ؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنى أشعر منك ، قال: إنا لله ، ذهب والله الناس .

وحدث عبد الله بن مسلم قال: كان أبو حية النميرى من أكذب الناس، فحدث يوماً أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله ، فيأخذ منها ما شاء ، فقيل له: يا أبا حية ، أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا نصنع بك ؟ قال: أبعدها الله إذا .

وقال يوما: رميت والله ظبية فلما بعد سهمى عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لى فعدوت خلف السهم حتى قبضت على قُذَذِه قبل أن يدركها .

وقد لمح الصلاح الصفدى إلى قصة أبى حية أيضا فقال [من السريع] :

وشادنٍ إنْ هبَّ عَرْفُ الصَّبا شممْتُ منهُ عَرْفه طَيَّهْ
أميل عنهُ خوفَ عشقى لهُ وجفنه يتبعنى غيه
كأننى قدامه ظبيـةٌ وطرفهُ سهم أبى حيهْ

وقد تبع الصلاحَ الصفدى فى ذلك ابنُ نباتة على عادته المشهورة حيث قال [من الخفيف] :

وبديع الجمال لم يَرَ طَرْفى مثلَ أعطافهِ ولا طَرْفُ غيرى
كلما حدتُ عن هوَاهُ أتَانِى سهم ألحاظهِ كسَهْمِ النميرى

ومما عد من هذا النوع ، وهو بالتعريض أشبه ، قول محمد بن مغيث وقد أتى عبد المجيد بن المهذب زائراً فحجبه ، وهو [من الخفيف] :

زُرْتُ عبد المجيد زَوْرَةَ مُشْتَا قٍ إليه فصدٌ عنى صُدُودَا
فكأنى أتيتُهُ أنزعُ العمَّـ ـةَ عن رأسهِ وأخصى سَعِيدَا

وكان برأس المذكور قرع وسعيد ولده عبد يؤثره

وهذا يشبه تعريض ولادة بنت المستكفى فى قولها [من السريع] :

إنّ ابن زَيْدونَ على فضله يَغتابُنى ظلماً ولا ذَنبَ لِى
يلحَظُنِى شزْراً إذا جئتُه كأنّنى جئتُ لأخْصِى عَلِى

ومثله قول أبى الحسن بن نفادة [من المقتضب] :

إن ابن زَيْذَبَ رامٍ له مَرَامٍ بعيدة
يَرِيشُنى بسهامٍ نجىء غيرَ سديدة
والله إن لم يَدَعنى لأخصينْ عبيدة

وما أحسن قول أبى نواس [من الوافر] :

فأعرَضَ هيثمٌ لما رآنى كأنّى قد هجوتُ الأدعياء

فعرّض بكونه دعياً ، ثم تهكم به ، فقال :

فقد آليتُ لا أهجُو دَعِيًّا ولو بلَغَتْ مرُوءتُهُ السماء

ومن ظريف التلميح ما روى أن شريك بن عبد الله النميرىّ ساير يزيد ابن عمرو بن هبيرة الفزارى يوماً ، فبرَزَتْ بغلة شريك ، فقال يزيد : غض من لجامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة ، أصلح الله الأمير ! فقال له يزيد : ما ذهبتُ حيث أردت .

ويزيد أشار إلى قول جرير [من الوافر] :

فغضّ الطرفَ إنكَ من نُميرٍ فلا كعباً بلغْتَ ولا كلابَا

فعرّض له شريك بقول ابن دارة [من البسيط] :

لا تأمنَنّ فزَارِيًّا نزلتَ بهِ على قلوصكَ واكتبها بأسيارِ

وكان بنو فزارة يُرْمَوْنَ باتيان الابل .

ومثله ما حكي أن تميمياً نزل بفزاري ، فقال له : قلوصكَ يا أخا تميم لا تنفر القطا ، فقال : إنها مكتوبة .

أشار الفزاريّ إلى قول الطرماح [من الطويل] :

تميمٌ بطرْقِ اللؤم أهدَى مِنَ القطاَ

ولوْ سلَكتْ سُبْلَ المكارم ضَلّتِ

وأشار التميمى إلى بيت ابن دارة المار .

و بيت الطرماح هذا يقول بعده :

ولوْ أنّ بُرْغوثاً على ظهرِ قملةٍ يكرّ عَلىَ صَفّىْ تميم لولّتِ

وقد أخذ ابن لنكك صدر البيت الأول ، فقال [من الطويل] :

تعستمْ جميعاً مِنْ وجوهٍ لبلدةٍ تكنفكمْ لؤمٌ وجهْلٌ فأفرَطاَ

أرَاكمْ تعيبونَ اللئامَ و إننى أرَاكم بطرقِ اللؤم أهدى من القطاَ

ومثله ما حكى أن تميما قال لشريك النميرى : مافى الجوارح أحبُّ إلى من البازى ، فقال النميريّ : خاصة إذا كان يصيدُ القطا

أشار التميمى إلى قول جرير [من الوافر] :

أنَا البازِى المطلّ على نميرٍ أُتيحَ من السماء له انصباباَ

وأشار النميرى إلى بيت الطرماح المارّ قبله .

ومن ذلك ما روى أن رجلا من بنى مُحارب دخل على عبد الله بن يزيد الهلالىّ ، فقال عبدالله: ماذا لقينا البارحة من شيوخ بنى محارب، ما تركونا ننام، فقال المحاربى : أصلحك الله ! أضلوا البارحة برقعاً فكانوا فى طلبه .

أراد الهلالى قول الأخطل [من الطويل] :

تَرِيشُ بِلاَ شىء شيوخ مُحاربٍ وما خِلتُهَا كانتْ تَرِيشُ ولاتبرِى

تَفَرَّدَ فى ظُلْمَةِ لَيْلٍ تَجَوَّبَتْ ... فَدَلَّ عليها صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وزاد اغرق فى قول الآخر [من الطويل]:

لكل هلالٍ من الثوم بُرْقُعٌ ... ولابن هلالٍ بُرْقُعٌ وجِلَالُ

ومنه ما ذكره صاحب التبيان ، قال : دخل عبد الحميد بن سعيد بن سلم الباهلى ومعه ابنه الأقوه ، وكان مبغضاً ، فتخطى الناس حتى بلغ إلى عمر بن فرج الرخجى ، فما قرب منه قال له : من هذا ؟ قال : ابنى ، أصحلك الله ! وهل يخفى القمر ، فقال : إن كان كذلك فرفع عنه حاشية الإزار .

أراد قول بشار بن برد [من الوافر] :

إذا أعطاك نسبةَ باهليٍّ ... فرفّع عنه حاشية الإزارِ

على أستاهِ سادَتِهِمْ كتابٌ ... مَوَالِى عامرٍ وَسْماً بِنارِ

ومن ظريف التلميح : ما حكى أن الحيص بيص حضر ليلةً عند الوزير فى شهر رمضان على السماط ، فأخذ أبو القاسم بن القطان قطاة مشوية ، وقدمها إلى الحيص بيص ، فقال الحيص بيص للوزير : يا مولانا هذا الرجل يؤذينى ، قال الوزير : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه يشير إلى قول الشاعر :

تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهدى مِنَ القطا

ولو سلكتْ سُبْلَ المكارمِ ضلّتِ

وكان الحيص بيص تميمياً ، وقد سبق له ذكر فى شواهد الهزل الذى يراد به الجد ، وكان ابنه يلقب هَرْجَ مَرْجَ ، وابنته : دَخَلَ خَرَجَ .

ومما يستظرف لأبى القاسم المذكور ، وهو مما نحن فيه : أنه لما ولى الزينبى الوزارة دخل عليه والمجلس حافل بالرؤساء والأعيان ، فوقف بين يديه ودعا له ، وأظهر الفرح والسرور ، ورقص ، فقال الوزير لبعض من يفضى إليه

بمرة : قبح الله هذا الشيخ ! فإنه يشير برقصه في قفصه : ارقص للقرد في دولته .

وقد نظم أبو القاسم المذكور هذا المعنى ، وكتبه في بعض أروقته [من مجزوء الخفيف] :

يا لكِل الكِتَبِ التي　هو شخصٌ مشخَّصْ
والرئيسُ الذي بهِ　ذنبُ دهري يمحَّصْ
كم قلتُ قد تبدّدَ　قومي تمحصْ
وغواشٍ على الرؤو　س عيب مقرَّصَ
والرؤوسـ ـين وخَـ　ضر وخيرٌ تقمَّصَ
وأنا القردُ كلِّ يو　مٍ لكسب أُبصبصُ
كلّ من صفقَ الزما　نُ له قمتُ أرقصُ
محنٌ لا يفيدُ ذا الـ　ـونِ منهَ التربصُ
فتى تجمعُ الـ　ـداء وقدْ جاء مخلصُ

وفي معناه قول ابن عتبة الأشبيلي ، وكان قد فارق الأندلس وهي مضطربة بدولة ابن هُودٍ ، وقدم مصر ، فلما سئل عن حاله أنشد [من مخلع البسيط] :

أصبحتُ في مصرَ مستضاماً　أرقصُ في دولة القرودِ
واضيعةَ العمرِ في أخيرٍ　من النصارى أو اليهودِ
بلبلةَ رزقُ الثم فيهم　لا بنوكت ولا جدودِ
لا تبصرُ المعرِّ براعى　معنى قصيد ولا قصودِ
أودّ من لومهم رجوعاً　للترب في دولة ابن هُودِ

وعلى ذكر الرقص للقرود فبديع قول أبى الحسن الأهوازى [من مخلع البسيط] :

قلتُ لمَنْ لامَ لا تلمنى كل امرىء عالم بشانه

لا ذَنب فيما فعلتُ إنى رقصتُ للقرد فى زمانه

من كرم النفس أن تراها تحتملُ الذلّ فى أوانه

ومنه قول على بن بسام [من مخلع البسيط] :

لا بدّ يانفسُ من سجود فى زمن القرْد للقرودِ

وقوله أيضاً [من الوافر] :

سَجدنا للقرودِ رَجاء دُنيا حوَتْها دوننا أيدى القرودِ

فما آلت أناملنا بشىء علمناه سوى ذل السُّجُودِ

وكان أبو القاسم بن القطان صاحب نوادر ، منها أنه دخل يوما على الوزير ابن هُبيْرَةَ وعنده نقيب الأشراف ، وكان ينسب إلى البخل ، وكان فى شهر رمضان والحر شديد ، فقال له : أين كنت ؟ قال : فى مطبخ سيدى النقيب ، فقال الوزير : ويلك فى شهر رمضان فى المطبخ ، قال : وحياة مولانا كسرت فيه الحر ، فتبسم الوزير ، وضحك الحاضرون ، وخجل النقيب

وهجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبى بقصيدة كافية أولها [من مجزوء الخفيف] :

يا أخى ، الشَرْطُ أملَكُ لستُ للثلب أترُكُ

وهى تزيد على مائة بيت ، فسير إليه أحد الغلمان ، فأحضره ، وصفعه ، وحبسه فكتب إلى مجد الدين استادار الخليفة [من الوافر] :

إليك أَجَلّ مَجْدَ الدين أشكو بلاءً حلّ لستُ له مطيقا

وقوماً بلغوا عنى مُحالاً إلى قاضى القُضاة النذل سيقا

فأحضرنى بباب الحكم شخصٌ غَليظٌ جرَّنى كما وزيقا
وأخفقَ نعلُه بالصفْع رأسى إلى أن أوجسَ القلبُ الخفوقا
على الخَصْم الأداء وقد صُفِعْنا إلى أن ما تَهَدَّيْنا الطريقا
فيا مولاى هب ذا الافك حقاً أنُحْبَسُ بعد ما اسْتَوْفى الحقوقا

فشفع فيه فأطلقه من الحبس ، فقال [من السريع] :

عند الذى طرق بى أنه قد غضَّ من قدْرى وآذانى
والحبس ما غيَّر لى خاطراً والصفع مالين آذانى

ويضارع هذا ما حكى أنه كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير ، وكان قد بلغ سناء الملك أنه قد هجاه ، فأدبه بالصفع وشتمه ، فكتب إليه ابن المنجم الشاعر [من البسيط] :

قل للسعيد أدام الله دولته صديقنا ابن وزيرٍ كيف تظلمه
صفعته إذ غدا يهجوك منتقماً منه ، ومن بعد هذا ظَلْتَ تشتمه
هجو بهجو ، وهذ الصفع فيه رِبًا والشرع ما يقتضيه بل يُحَرِّمه
فان تقل ما لهجو عنده أثر فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وما أظرف قول القائل [من الطويل] :

حباها باكرام وقام مبادراً إلى وتد البيقار علق خفها
وكان إذا ماراَبهُ سوء فعلها يبل قفاه ثم يصفع كفها

وقد كان أبو الفرج بن السوادى الشاعر الواسطى مدح قاضى القضاة الزينبى لما قدم من واسط ، فتأخرت عنه جائزته فاجتمع بابن القطان وشرح له حاله ، فكتب إلى صديق لقاضى القضاة [من المديد] :

يا أبا الفضل الهجاء إذا ضاق صَدْرٌ منه يتسع

وقوافي الشعر واثبةٌ ولها الشيطان متبع
فاحذرُوا كافات منحدر مالكم في صفعه طمعُ

فاتصلت الأبيات بالزينبي ، فأجاز ابن السوادي وأرضاه .

ومن نوادر ابن القطان أنه قصد دار بعض الأكابر في بعض الأيام ، فلم يؤذن له ، فعز عليه ، فأخرجوا من الدار طعاماً لكلاب الصيد ، وهو يبصره ، فقال : مولانا يعمل بقول الناس « لعن الله شجرة لا تظل أهلها ».

ومن ظريف التلميح ما حكاه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل إلى الجامع الأزهر يوماً ، فوجد أبا الحسين الجزار جالسا وإلى جانبه مليح ، ففرق بينهما وَصلى ركعتين، فلما فرغ قال لأبي الحسين: ما أردت إلا قول ابن سناء الملك . وقال أبو الحسين : وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق

أراد ابن النحاس بقول ابن سناء الملك [من مجزوء الرمل]:

أنا في مقعد صدقٍ بين قوّاد وعلق

وأراد الجزار بقول السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ راَض الأبيّ فقاده سلس القياد
لما توسط بيننا جرت الأمور على السداد

ومحاسن ما أتينا به من التلميح تغتفر الاطالة . والله تعالى أعلم .

***

شاهد حسن الابتداء

٢١٧ — قِفاَ نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ
بسقط اللوَى بينَ الدَّخُولِ فحوْملِ

البيت من الطويل، وهو مطلع قصيدة امرىء القيس السابقة في شواهد المقدمة

والسقط : حيث انقطع معظم الرمل ودق ، واللوى : ما التوى من الرمل أو مُسْتَرَقُّه ، والدَّخُول وحَوْمل : موضعان .

والشاهد فيه: حسن الابتداء ، ويسمى براعة المطلع ، وبراعة الاستهلال ، فبيت امرىء القيس هذا أبدع فيه، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ، عذب اللفظ، سهل السبك ، وانتقد عليه عدم المناسبة فى الشطر الثانى .

وأحسن منه فى التناسب ــ وإن كان مطلع امرىء القيس أكثر معان ــ قول النابغة [من الطويل] :

كِليني لهمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ وليلٍ أقاسيهِ بطىءِ الكواكِبِ

فان قسميه متناسبان وألفاظه متلائمة .

وما سمع أشد مباينة من قسمى بيت جميل فى قوله [من الطويل] :

ألاَ أيها النُّوَّام وَيْحكُمُ هُبُّوا أسائلكم هل يَقتُلُ الرجلَ الحبُّ

وهذا البيت هو الذى قال فيه الرشيد إما للمفضل الضبى أو غيره: هل تعرف بيتاً نصفه بدوى فى شملة وباقيه مخنث فى بِذْلَةٍ ، فأنشده البيت ، فاستحسن فكره.

* * *

شاهد حسن الابتداء

٢١٨ ــ قَصْرٌ عليْهِ تحيةٌ وسَلاَم خَلَعَتْ عليه جمالها الأيامُ

البيت لأشجع السلمى ، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد ، والرواية « نثرت» بدل « خلعت » ، وبعده :

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والْتَقَى للمُلْكِ فيه سلامَةٌ وسلامُ

قصرٌ سُقُوفُ المزن دون سقوفِهِ فيه لأعلام الهدَى أعلامُ

نَشَرت عليه الأرض كسوتها التى نسجَ الربيعُ وزخرفَ الإرهامُ
أدنتكَ من ظل النبي وَصِيةٌ وقرابة وشجَتْ بها الأرحامُ
بَرَقَتْ سماؤك فى العدوّ فأمطرَتْ هاماً لها ظلُّ السيوف غمامُ
وإذا سُيُوفكَ صافحَتْ هامَ العدا طارَت لهن عن الرؤوس الهامُ
يُثْنى على أيامك الاسلامُ والشاهِدَان الحلُّ والاحرَامُ
وعلى عدوِّكَ ياابنَ عمّ محمد رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ
فاذا تنبه رُعْتَهُ وإذا غفَا سَلّتْ عليه سُيُوفَكَ الأحلامُ

حدث عبد الله بن العباس الربيعى أن أول من أدخل أشجع إلى الرشيد الفضل بن الربيع ، فانه مدحه ، فوصفه للرشيد ، وقال : هو أشعر شعراء هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة ، فأمر باحضاره وإيصاله مع الشعراء ، فلما وصل إليه أنشده هذه القصيدة ، فاستحسنها ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدح الفضل ابن الربيع وشكر له إيصاله إلى الخليفة ، فقال فيه قصيدته التى أولها [من الكامل] :

غَلبَ الرقادُ على جفُونِ المسعدِ وغرقْتُ فى سهَر وليلٍ سَرْمَدِ
قد جدَّ بى سهرٌ فلم أرقُدْ له والنوْمُ يلعبُ فى جفون الرقَّدِ
ولطالما سَهِرَتْ بحبى أعينٌ أهدى السهاد لها ولما أسْهَدِ

ويقول فيها :

أأقيم مُحتملا لضَيْمِ حوادثٍ معَ هِمةٍ موْصولة بالفرْقدِ
وأرَى مخايلَ ليس يَخلف نوءها للفضل إن رَعدت وإن لم ترعَدِ
للفضل أموال أطاف بها الندى حتى جَهَدْن وجودُه لم يجهَدِ
يا ابن الربيع حسرت شكرى بالذى أوليتنى فى عوْدِ أمركَ والبَدِ

أوصلتنى ورفدتنى وكلاهما شرف فقأت به عيون الحسد
وكفيتنى منن الرجال بنائل أغنى يدى عن أن تمد إلى يد

والشاهد فى البيت : حسن الابتداء .

وقد ضمنه الصلاح الصفدى فى مرثية فقال [من الكامل] :

صلى وراءك كل من عاصرته علماً بأنك فى البيان إمام
وكأن قبرك للعيون إذا بدا (قصر عليه تحية وسلام)

ومن محاسن الابتداء قول أبى نواس [من الطويل] :

خليلى هذا موقف من متيم فعوجا قليلا وانظراه يسلم

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقول البحترى [من الطويل] :

يودى لو يهوى العذول و يعشق ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

وقول أبى تمام [من الكامل] :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتقضت الأوطار

وقول المتنبى [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقوله [من الطويل] :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا فلم أدر أى الظاعنين أشيع

وقول ابن المعتز مع تناسب القسمين [من الخفيف] :

أخذت من شبابى الأيام وتولى الصبا عليه السلام

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

يا ساهرَ البرق أيقِظْ راقدَ السَّمُرِ لعلَّ بالجِزْعِ أعواناً على السَّهَرِ

وقول ابن هانى ، مع بديع الاستعارة [من الكامل] :

بَسَم الصبَّاحُ لأعين النُّدَماءِ وانْشقَّ جَيْبُ غُلالة الظَّلْماءِ

وقول الشريف أبى جعفر البياضى مشيرا إلى الرفق بالابل عند السُّرى [من الكامل] :

رفقاً بهنَّ فما خُلقْنَ حديدَا أوَما تَراها أعظُماً وجُلودَا

وقول ابن قاضى ميلة [من الطويل] :

يذيل الهَوَى دَمْعِي وقلبي المعنَّفُ ويَجْني جفُوني الوجْدَ وهو المكَلَّفُ

وقول التهامى [من الخفيف] :

حازَكِ البينُ حين أصبحتِ بَدْرًا إنَّ للبدر فى التَّنقُّل عذْرَا

وما أرشق قوله بعده :

فارْحلي إن أرَدت أو فأقيمي أعظَمَ الله للهَوَى فيَّ أجْرَا

لا تقولى لقاؤنا بعدَ عشْرٍ لستُ ممن يعيشُ بعدك عشْرًا

وقول عليّ الشطرنجيّ الحلبيّ من قصيدة نظامية [من الكامل] :

أمَّا عُلاك فدونها الجوزاء قَدْراً فماذا يَنْظِمُ الشعراء

وما أبدع ما قال بعده:

يرْتدُّ عنك الفكرُ وهوَ مُهنَّدٌ ويضيق فيك القولُ وهو فضاء

شرفٌ أناف على السِّماك وهمةٌ ضاقَتْ بمسرح عزمها الدهناء

وفضائلٌ جاءتْ أخيرَ زمانها فحثت على ما سَطَّرَ القدماء

وقول سعيد بن على من نظامية [من الطويل] :

أبى الضيمَ قلبٌ بين جنبَيَّ قُلَّبُ وعزمٌ من الشهبِ الثواقب أثقَبُ

و بديع قوله بعده :

وكلفنى خوْضَ الدجى طلبُ العلا ولولا المعالى ما طَبَانِيَ مركبُ

فما لى وللاّحى يُطيل ملامتى   كأنى لغير المجد أسعى وأدأبُ

وقول ابن العواذلى من نظامية [من البسيط] :

لوكان للدّهرِ حِسٌ أو له كَلِمٌ   أثنى عليكَ بما يُثنى به الخَدَمُ

***

شاهد
قبح الابتداء

٢١٩ — * مَوْعِدُ أحبابك بالفرقةِ غَدْ *

قائله ابن مقاتل الضرير، أحد شعراء الجبال، فى مطلع قصيدة من الرجز أنشدها للداعى إلى الحق العلوى الثائر بطبرستان، فقال له : بل موعد أحبابك ولك المثل السوء .

والشاهد فيه : قبح الابتداء

وروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مِهْرَجان وأنشده [من المديد] :

لا تَقُلْ بُشْرى ولـكن بُشْرَيَان   غُرّة الداعى ويَوْمُ المِهْرَجان

فتطير منه الداعى ، وقال : أعمى يبتدىء بهذا يوم المهرجان ، وأمر ببَطْحِه وضربه خمسين عَصاً ، وقال : إصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه

ومن الابتداآت القبيحة قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان [من الوافر] :

* أتَصْحُو أم فؤادك غير صاح *

فانه لمـا أنشده قال له عبد الملك : بل فؤادك ياابن الفاعلة

ومثله قول ذى الرمة لمـا دخل على عبد الملك وأنشده قصيدته التى أوّلها [من البسيط] :

* ما بالُ عينِكَ منها الماء ينسكبُ *

وكانت عين عبد الملك تَدمع دائما ، فتوهم أنه خاطبه وعرض به ، فقال له :

ما سؤالك عن هذا ياابن الفاعلة ؟! ومقته وأمر باخراجه .

ومثله قول أبى النجم حين دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته فى وصف الشمس [من الرجز] :

صَفْراء قد كادَتْ ولما تفْعَلِ كأنها فى الأفق عينُ الأحْوَلِ

فأمر بوجءِ عنقه وإخراجه من الرصافة

ومن قبيح الابتداء قول البحترى ، وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها [من الطويل] :

* لك الوَيلُ من لعلٍ تقاصَرَ آخِرُهْ *

فقال له : بل لك الويل والحَرَبُ .

ومنه ما حكى أن أبا نواس مدح الفضل بن يحيي البرمكى بقصيدة أولها [من الطويل] :

أرَبْعَ البِلَى إن الخشوعَ لبادِ عليك ، وإنى لم أخُنْكَ ودادِى

فتطير الفضل من هذا الابتداء ، فلما انتهى إلى قوله فيها :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقِدتمُ بنى بَرْمكٍ من رائحين وغادِ

استحكم تطيره ، فلم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة .

ومنه قصة إسحاق بن إبراهيم الموصلى مع المعتصم ، فانه دخل عليه وقد فرغ من بناء قصره بالميدان ، فشرع فى إنشاد قصيدة أولها [من الكامل] :

يادار غَيَّرَكِ البلَى ومَحَاكِ ياليْتَ شعرِى ما الَّذى أبْلاكِ

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر على الفَوْر ، وهذا مع يقظة إسحاق وشهرته بحسن المحاضرة ، وطول خدمته للخلفاء ، ولكن قد يَخبو الزِّناد ، ويكبو الجواد ، مع أنه قيل : أحسنُ ابتداء ابتدأ به مولد قول إسحاق الموصلىّ [من الخفيف] :

هل إلى أن تَنَامَ عَيْنِي سَبِيلُ ... إنَّ عهدى بالنوم عهدٌ طويلُ

ولقد عيب على أبى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه حيث قال [من الطويل]:

كفى بك داء أن تَرَى الموتَ شافيًا ... وحَسْبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

ومما يتعجب منه فى هذا الباب قول مهيار [من الطويل] :

وإنك مَذْخورٌ لأحياء دولةٍ ... إذا هى ماتت كان فى يدك النَّشْرُ

كيف تفاءل لممدوحه بنشر يده ، وكذلك قوله يتغزل [من الكامل] :

فى صَدْرِها حَجَرٌ وتحت صدارها ... ماء يشف وبانَةٌ تَتَعَطَّفُ

فقوله « فى صدرها حجر » أبشع لفظ ، لما فيه من إيهام الدعاء .

وكذلك ابن قلاقس فى قوله [من الكامل] :

بطلاقة أبدَتْ بصفحةِ وجههِ ... وضَحَ الصباحُ لمن له عَينانِ

حيث جعل الوضحَ بوجهه

ولا يخفى ما فى كثير مما ذكر من المشاحة والتعنت .

ومنه ما قاله الناصر بن العزيز للحاجرى حين أنشده [من الطويل]:

وما اخضرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتًا وإنما ... لكثرة ما شُقَّتْ عليهِ المَرَائِرُ

عسى هذا الخدُّ كان مسلخًا

وهذا أمر يطول استقصاؤه ، وفيما أوردناه مقنع ، إن شاء الله تعالى .

***

٢٢٠ — بُشْرَاكَ قدْ أنجزَ الاقبالُ ما وعَدَا

شاهد براعة الاستهلال

هو من البسيط ، وقائله أبو محمد الخازن ، من قصيدة يهنىء بها الصاحب ابن عباد بسِبْطه الشريف أبى الحسن عباد بن على الحسنىّ(١) ، وتمام المطلع :

(١) اقرأها فى يتيمة الدهر (٣ — ٢٣٦ بتحقيقنا)

* وكوكبُ المجدِ فى أفقِ العلاَ صَعدَا *

و بعده :

وَقدْ تفرّعَ فى رَوض الوزارَةِ عَنْ
دَوْحِ الرسالة غُصنٌ مُورِقٌ رَشَدَا

لِلهِ آيَة شمس للعلاَ ولَدَتْ ... نجماً وغابَةَ عزٍ أطلَعتْ أسدَا
وعنصُر منْ رسول الله واشجة ... كريم عنصر إسماعيـل فاتحدَا
وَبضعة من أمير المؤمنين زكَتْ ... أصلاً وفرعاً وصحت لحمة وسدَى
ومثل هذى السعادات القوية لاَ ... يحُوزُها غيرهُ دَامت لهُ أبَدَا
يا دَهرَه حقٌ أن تزهى بمولدِهِ ... فمثلُهُ منذ كانَ الدهر ما وُلدَا
تعجبوا من هلال العيدِ يطلعُ فى ... شعبانَ، أمرٌ عجيبٌ قَطُّ ماعُهِدَا
فَمَنْ مُوَال يوالى الحمدَ مبتهلا ... ومخلصٌ يستديمُ الشكر مجتهدَا
وكادت الغادة الهيفاء مِنْ طرَبٍ ... تعطى مُبشرَها الأهياف والغيَدَا
فلاَ رَعىَ الله نفساً لا تسرُّ به ... ولا وقاها وغشّاهَا رداَء رَدَى
وذى ضَغائنٍ طارَتْ رُوحهُ شفَقاً ... منهُ وطاحَتْ شظايا نفسه قِدَدَا
علماً بأنّ الحسام الصاحبىّ غدَا ... مُجرَّداً والشهابَ الفاطمىّ بَدَا
وأنه انسدّ شعبٌ كانَ منصدِعاً ... بهِ وأمرَعَ شعبٌ كان مختضدَا
وأرفعُ المجـدِ أعناناً وأسمقـهُ ... مجدٌ يناسب فيـهِ الوالدُ الولدَا
فليهنىء الصاحبَ المولودُ ولترد الـ ... ـسعود تجلو عليه الفارسَ النجُدَا
لم يتخـد وَلداً إلا مبالغـة ... فى صدق توحيد مَنْ لم يتخذ وَلدَا

ما أشرف معنى هذا البيت ، وأبدعه وأبرعه ! ومنها :

وَخذْ إليكَ عَرُوساً بنْتَ ليلتها ... منْ خادِمٍ مخلص وُداً ومعتقدَا

أهديتها عفوَ طبعي وانتحيتُ لها سحراً وإن كنتُ لم أنفث لها عُقَدَا

وازنتُ ما قلته شكراً لربكَ إذْ جاء المبَشرُ بَيْنَاً سارَ واطردَا

(الحمدُ لله شكراً دائماً أبداً إذ صارَ سِبطُ رسول الله لى ولدَا)

وكان الصاحب بن عباد قد قال هذا البيت حين جاءته البشارة ، وقال أيضا [من مجزوء الرمل] :

أحمدُ الله لبشرَى أقبلتْ عندَ العشىّ

إذ حبانى الله سِبطًا هُوَ سِبطٌ للنبىّ

مرْحباً ثُمَّتَ أهْلاً بغلام هاشمىّ

نبوىّ علوىّ حَسَنِىّ صَاحِبىّ

وَكان ابن عباد إذا تذكر عبادا هذا يقول [من البسيط] :

يا ربّ لا تُخْلِنِي من صنعكَ الحسَنِ يا رب حُطْنِيَ فى عباد الحسنى

ولما فطم عباد قال فيه ابن عباد [من الطويل] :

فُطمْتَ أبا عباد يا ابْنَ الفواطمِ

فقالَ لكَ الساداتُ من آل هاشم

لئنْ فَطموهُ عن رِضاعِ لَبَانهِ

لماَ فَطَمُوهُ عَنْ رِضَاعِ المكارم

وفيه يقول عبد الصمد بن بابك ، من قصيدة [من الوافر] :

كساكَ الصوم أعمار الليالى وأعقبَكَ الغنيمةَ فى المآبِ

ولاَ زَالتْ سعُودُكَ فى خلودٍ تُبارِى بالمدَى يومَ الحسابِ

أتاكَ العز يسحَبُ بردتيه على ميثاء حاليـة التراب

ببدرٍ من بنى الزهراء سارٍ تعرى عنه جلبابَ السحاب

تفرّع فى النبوة ثم ألقى ... بضبعيه إلى خير الصحاب

تلاقت لابن عباد فروع السنبوّة والوزارة فى نصاب

فلا تغرز برقدته الليالى ... ولا تسمد له الهمم النوابى

فمن خضعت له الأسد الضوارى ... ترفّع عن مغاورة الذئاب

ولما أملك عباد هذا بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة ، قال إسماعيل الشاشى قصيدة ، أولها [من البسيط] :

المجدُ ما حرست أولاهُ أخراهُ ... والفخرُ ما التفّ أقصاه بأدناهُ

والسعىُ أجلبهُ للحمد أصعبهُ ... والذكرُ أعلاه فى الأسماع أغلاهُ

والفرعُ أذهبهُ فى الجوّ أنضرُهُ ... والأصل أرسخهُ فى الأرض أنقاهُ

اليومَ أنجزتِ الآمالُ ماوعدتْ ... وأدركَ المجدَ أقصى ما تمنّاهُ

يقول فيها :

اليومَ أسفرَ وجهُ المُلْكِ مُبتسماً ... وأقبلتْ بـبَريدِ السعد بشراهُ

يقول فيها أيضا :

قدْ زُفَّ مَنْ جدُّه كافى الكفاةِ إلى

مَنْ خالُهُ ملكُ الدنيا شهنشاهُ

والشاهد فى البيت : براعة الاستهلال ، وهو : أن يكون فى الابتداء إشارة إلى ماسيق الكلام لأجله .

فمن ذلك ، وهو مما يشعر بالتهنئة بزوال المرض ، قول أبى الطيب المتنبى [من البسيط] :

المجدُ عُوفىَ إذ عُوفيتَ والكرَمُ

وزَالَ منكَ إلى أعدائكَ السَّقَمُ

وقول لسان الدين الخطيب ، المشعر بالتهنئة ، والنصر على الأعداء ، [من الكامل] :

الحقُّ يعلو والأباطلُ تسفلُ   والله عن أحكامهِ لا يُسألُ

وقول مهيار الديلمي المشعر بالاعتذار [من الطويل] :

أما وهوَاهَا عِذرةً وتنَصُّلاَ   لقدْ نقـل الواشي إليها وأمحلاَ

سعَى جهدهُ لكنْ تجاوز حدّهُ   وكَثّرَ فارتابَتْ ولوْ شاء قللاَ

وقول الباخرزى المشعر بالتهنئة [من الكامل] :

وفَتِ السعودُ بوعدها المضْمونِ   وترَادَفت بِالطائرِ الميمونِ

وعلاَ لواء المسلمين وشافَهُوا   تحقيقَ آمالٍ لهم وظنُونِ

وقول أبي نصر أحمد بن إبراهيم الكاتب في التهنئة ببناء دار [من المنسرح]:

أهلا بدار أبان بانيها   دلائلَ المجد في مَغانيها

دارٌ حكَتْ صدْرَ رَبِّها سَعَةً   تُسافر العينُ في نواحيها

وقول محمد بن أبي العباس المسكاني في التهنئة بالوزارة [من الوافر] :

يبشرني علوّك بالوزارهْ   وذاك الملك أولى بالبشارهْ

وقول أبي محمد المطراني ، المشعر بذم المشيب ومدح الشباب [من المتقارب]:

ألمّ المشيبُ برأسي نذيرًا   وولّى الشباب بعهدي نضيرًا

وأصبحَ ضوْءُ صباح المشيب   لغرْبان ليل شبابي مَطيرًا

كذاك إذا لاح نور البكورِ   لسود الطيور هَجرْنَ الوكُورَا

ترجمة أبي محمد الخازن

وأبو محمد الخازن : هو عبد الله بن أحمد الخازن ، قال فيه صاحب اليتيمة[1] : هو من حسنات إصبهان وأعيان أهلها في الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر

---

(١) اقرأ ترجمته في يتيمة الدهر (٣ ـ ٣٢١ بتحقيقنا)

ومن خواص الصاحب، ومشاهير صنائعه، وذوى السبق فى قديم خدمته (١) .

وكان فى اقتبال شبابه وريعان عمره يتولى خزانة كتبه، وينخرط فى سلك ندمائه، ويقتبس من نور آدابه، ويستضيء بشعاع سعادته، فتصرف من الخدمة فيما قصَّرَ أثره فيه، عن الحد الذى يحمده الصاحب ويرتضيه، كالعادات فى هفوات الشبيبة، وسقطات الحداثة، فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله، ذهب مغضباً أو هارباً، وترامت به بلدان العراق، والشام، والحجاز فى بضع سنين، ثم أفضت حاله فى معاودة حضرة الصاحب بجرجاز إلى مايقصه ويحكيه فى كتاب كتبه إلى صديقه أبى بكر الخوارزمى، وذكر فيه عُجَرَه وبُجَرَه، وقد ذكرته تنبيها على بلاغته وبراعته، واختصارا للطريق إلى معرفة قصته .

وهذه نسخته — كتابى، أطال الله بقاء الأستاذ، سيدى ومولاى ! من الحضرة التى نرحل عنها اختياراً، ونرجع إليها اضطراراً، ونسير عن فنائها إذا أبطرتنا النعمة، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة . ومن لم تهذبه الاقالة هذبه العثار، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن فى هذا، ولكن الشأن فى عشر سنين فاتت بين علم ينسى، وغم لا يحصى . وإنفاق بلا ارتفاق وأسفار لم تسفر عن طائل، ولم تغن عنى بريش طائر، وبُعدٍ عن الوطن على غير بلوغ الوطر، ورجعت — يشهد الله — صفرَ اليدين من البيض والصفر، أتلو «والعصر إنّ الإنسان لفى خُسْر» وأنا بين الرجاء فى أن أُقال العثار، والخوف من أن يقال : زأر الليثُ فلا قرَار، ولكننى قد كنت قدّمت تطهير نفسى، فلججت حتى حججت، وعدت بغبار الاحرام، وبركة الشهر الحرام .

وحين خيمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس — أدام الله تمكينه ! — خبرى إلى الحضرة، حرَسَ الله بهاها وسَناها، والناسُ ينظرون هل أقبل، فيتلقونى بأكرم الرتب، أم أسخط، فينتحاونى كالبعير الأجْرب،

---

(١) فى اليتيمة «وذوى السابقة فى مداخلته وخدمته»

وَوَرَدَ توقيعُ مولانا الصاحب كافى الكفاة ـ أطالَ الله مدته ، وكبت أعداءه ، وحسدته ! ـ بهالى خطه ، وقد نسخته على لفظه ، ايعلم مولانا الأستاذ ـ أدام الله عزه ! ـ أن الكرم صاحبىّ لا برمكىّ ، وعبّادى لا حاتمى ، وأنا نتجرم ، ثم نتندم ونميل على جانب الادلال ، ثم لا نروى إلا من الماء الزلال ، والتوقيع » ذكر مولاى ، أدام الله عزه عَوْدَ أبى محمد عبدالله الخازن ـ أيده الله ! ـ للفناء الذى فيه دَرَج ، والوكر الذى منه خرَج ، وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى إيابه ، لم يكن بأقل منه عند اغترابه [(١)] ، فإن أحبّ أن يقيم مُدَيْدَة ، يقضى فيها وطر الغائب ، و يضع معها أوزار الآئب ، فليكن فى ظلّ من مولانا ظليل ، ورأى منه جميل ، وَبِرِ من ديواننا جزيل ، وإن حفزه الشوق فمرحباً بمن قربته التربية لدينا ، فأفسدته العزة [(٢)] علينا ، وردته التجربة إلينا ، وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعينه على كل قبـمل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى ، لا جرم أنى أخذت مالا ، وأغنيت عيالا ، وقلت : ليس إلا الجمازة ، والمفازة ، وصبحت جرجان[مُشَىّ] عاشرة أهدى من القطا الكُدْرى، كأنى دعيميص الرمل، أستاف أخلافَ الطرق ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عنى حلماً ، ولا أقدّر ما جنيت يعقب حلما ، وكأنى ما خطوت إلا فى التماس قربة ، ولا أخطأت إلا لتأثيل حرمة ، وكأنى لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فىّ بقول الله تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » ، وقد ورد فى التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب فى المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر. وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا إلى دورنا بفضلات الخير ، وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم ، وراجع الطبع شىء كان يُدْعى الشعر ، كذلك آدم عليه السلام : أسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج منها بما كان من جُرْمه ، وهو عائد إليها بعفو الله وطَوْله ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

---

(١) فى اليتيمة «وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه» (٢) فى اليتيمه « الغرة » .

قال الثعالبى : فهذا الكلام كما تراه يجمع بين السهولة والحلاوة ، وحسن التصرف فى لطائف الصنعة ، ويملك رق الاتقان ، والابداع والاحسان ، ويعبر عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة .

وأما شعره فجار مجرى عُقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وهو من نظراء الخوارزمى والرستمى ، وما أصدق قوله [من البسيط] :

لا يحسن الشعرُ ما لم يسترق له حرُّ الكلام وتستخدم له الفِكَرُ
انظرْ تَجد صور الأشعار واحدةً وَإنما لمعانٍ تُعْشَقُ الصورُ
والمدعون من الابداع قد كثروا وهم قليلون إن عُدُّوا وَإن حصرُوا
قومٌ لوانهمُ ارتاضوا لما قرَضوا أوأنهم شعروا بالنقص ماشعرُوا

قال : وكان أبو بكر الخوارزمى أنشدنى لمعاً من شعره ، كقوله فى وصف الغبار وذكر أنه لم يسمع فى معناه أملح منه [من الخفيف] :

إنَّ هذا الغبارَ ألبسَ عِطْفَىَّ سواداً ، ودينىَ التوحيدُ
وكسا عارضىَّ ثوب مشيبٍ ورداء الشباب غضٌّ جديدُ

وقوله ، أوهو لأبيه أحمد(١) [من الكامل] :

منْ يستقمْ يحرمْ مناه ومن يزغْ يختص بالاسعاف والتمكين
انظر إلى الألف استقام ففاته نقطٌ وفاز به اعوجاجُ النون

وعكس هذا المعنى أبو طالب يحيي بن زياد ، فقال [من الكامل] :

إن كنتَ تَسْمَى للزيادة فاسْتَقِمْ تَنَلِ المراد ولو سَمَوْتَ إلى السما
ألفُ الكتابةِ وَهوَ بعضُ حروفها لما استقام على الجميع تَقَدَّمَا

---

(١) نسبه ابن خلكان لأبيه أحمد فى ترجمته (انظر الترجمة رقم ٦١ في وفيات الأعيان ١/١٣١ بتحقيقنا)

رجع إلى شعر الخازن

وله أيضاً فى الغزل [من الكامل] :

حُثَّ المطىَّ فهذه نَجْدُ بَلَغَ المَدَى وتزايد الوَجْدُ
ياحبذا نجد وساكنها لو كان ينفع « حبذا نجد »
وبِمُنْحَنَى الوادى لنا رشأٌ قد ضل حيث الضال والرَّنْدُ
هند ترى بسيوف مقلتها مالاَ تَرى بسيوفها الهندُ

وله أيضاً من قصيدة يعتذر فيها إلى الصاحب [من الوافر] :

لنار الهم فى قلبى لهيبُ فَعَفوا أيها الملك المهيبُ
فقد جاز العقابُ عقابَ ذنبي وضج الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرةً مهجُ القوافى وغصصها التذلل والنحيب
وقد فصمت عراها واعتراها لسخطك بعد نَضْرتها شحوب
وقالت مالعفوك ليس يندى لنا وسماء مجدك لاتصُوبُ
ومن يك شوط همته بعيداً فمثنى عطفه سهل قريب
تجاوزَتِ العقوبةُ منتهاها فهَبْ ذنبي لعفوك ياوَهُوبُ
وأحْسِنْ إننى أحسنت ظنى وأرجو أنَّ ظَنِّى لايخيب
أترضى أن أكون لَقًى مقيما على خَسْفٍ أذوب ولاتثوب
أبيت ومقلتى أبقْ كَرَاها وفى ألحاظها صَابٌ صَبيب
وقيذًا لايلائمنى طعامى ولاينساغ لى الماء الشروب
صببت على سوطا من عذاب يذل لبأسه الدهر الغلوب
وأرهقنى نكيرك لى صَعُودا من الأشجان ليس له صَبُوب
وماعونى على بَلْوَاى إلا رجائى فيك والدمع السكوب

فإن تعطف على رجل غريب فإنى ذلك الرجلُ الغريبُ
عليك أنيخ آمالى فرحِّبْ بها ، وإليك من ذنبى أتوب
وأخطو مايريب إذا دهتنى غوامضه إلى مالا يريب
فأية طَرْبة للعفو إن الـ ـكريم ـ وأنت معناه ـ طروب
فإنى نَشْءُ دارك والمغذَّى بسَيْبك والصنيعةُ والرَّبيبُ
وأُبْتُ إليك من عفوٍ مدِلا بما يقضى علاك لمن يؤب
ولذت ببابك المعمور علما بأن ذراك لى مَرْعًى خصيب
وأن شعابه أندى شعاب إليها يلجأ الرجل الأديب
وسُقْتُ بناتِ آمالى إليها وقد حفيت وأنضاها الدءوب
فبوَّئْنى اختصاصك حيث تُجْنَى ثمار العز والعيشُ الرطيب
ولكن كادنى خب حقود لعقرب كيده نحوى دبيب
ومالجموح ألفته جنيب ولاالشَّمال فرقته جَنوبُ
ولايشفيه منى لو رآنى وقد أخذت بحلقومى شعُوبُ
بلوت الناس من ناء ودان وخالطنى القبائلُ والشُّعُوبُ
فكل عند مغمزه ركيك وكل عند مشربه مَشُوبُ
فجُذْلِى بالرضا واقبل متابى وعذرى ، إننى أسِفٌ كئيب

وله من قصيدة صاحبية طويلة [من الكامل] :

مازلت أعتسفُ المَهامه والفَلا وأواصل الإغوار بالإنجاد
حتى نأيت عن الحَواضِرِ ملقيا رَحْلِى بواد فى تخوم بوادى(١)
فإذا بسعدى وهى بدر طالع من فوق غصن فى نَقًى مُنْهاد(٢)
وطرقتها وعداؤها رقباؤها فى صورة المرتاب لاالمرتاد

(١) فى المطبوعتين « حتى نأيت عن الخواطر » وأثبتنا ما فى اليتيمة وهو الذى يتسق مع عجز البيت (٢) هكذا فى اليتيمة وفى المطبوعتين « نقى مهاد »

فحللت منها حيث كان وشاحها | درعى وساعدها الوثير وسادى
وخمارها حصنى وساحر طرفها | سيفى وفاحمها الأثيث نجادى
وعقاصها المرصول زهرة روضتى | ورضابها المعسول صوب عهادى
حيث الصباء بقى الحواشى مونق | يزهى بناعم غصنه المياد
والروض أحوى والحمائم هتف | والظل ألمى والقيان شوادى

ومحاسنه كثيرة، وفيما أوردناه كفاية

* * *

من شواهد براعة الاستهلال

٢٢١ — هى الدُّنْيا تقولُ بملء فِيهَا | حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطشى وفَتكى

البيت لأبى الفرج الساوى، من قصيدة من الوافر، يرثى بها فخر الدولة ابن بُوَيْه

وكان من خبر وفاته — كما حكاه العُتْبى — أنه لما فرغ من القلعة التى استحدثها على جبل طبرك نزل بها مرتاحا، فاشتهى طرائح من لحم البقر، فنُحِرت بين يديه واحدة، وطفق أصحابه يَطْهُونَ له من أطايبها، وهو ينال منها، وأتبعها بعناقيد كرْم، ودارت عليه الكئوس ملأى ولاء، فلم يلبث أن لوى عليه جوفه، واتصل على الألم صوته، إلى أن جثّم عليه موته، فرثاه الساوى بهذه القصيدة، وبعد البيت:

ولا يغرركم حُسْنُ ابتسامى | فقولى مُضْحك والفعلُ مُبكى
بفخر الدولة اعتبرُوا فانى | أخذتُ الملكَ منه بسيف ملكى
وقد كان استطال على البَرَايَا | ونظَّمَ جمعهم فى سِلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما | لقال لها عتُوًّا أُفٍّ منك
ولو زُهْرُ النجوم أتت رضاه | تأبَّى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ماقرَعَ البرايا | أسير القبر فى ضيق وضَنْك

أقدر أنه لو عاد يوماً إلى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يانفس فكرك فى ملوك مضوا بك فى انقراض وابك فابكى
فلا يغنى هلاك الليث شيئاً عن الظبى السليب قميص نسك
هى الدنيا أشبهها بشهد يسم ، وجيفة طليت بمسك
هى الدنيا كمثل الطفل ، بينا يقهقه إذ بكى من بعد ضحك
ألا ياقومنا انتبهوا فانا نحاسب فى القيامة دون شك

والشاهد فيه : براعة الاستهلال أيضاً ، فانه يشعر بابتدائه بأنه فى الرثاء

ومن ذلك قول التهامى فى مرثية ولده ، وهى من غرر القصائد [من الكامل] :

حكم المنية فى البرية جارى ماهذه الدنيا بدار قرار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار
بينا يرى الانسان فيها مخبراً حتى يرى خبراً من الأخبار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فانما تبنى الرجاء على شفير هار
العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا مآربكم عجالاً إنما أعماركم سفر من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا أن تسترد فانهن عوارى

ومنها :

ليس الزمان وإن حرصت مسالما خلق الزمان عداوة الأحرار
ولد المعزى بعضه ، فاذا مضى بعض الفتى فالكل فى الآثار
أبكيه ثم أقول معتذراً له وفقت حين تركت ألأم دار

جاورت أعدائى وجاور ربَّهُ شتان بين جواره وجوارى

أشكو بعادك لى وأنت بموضع لولا الردى لسمعتَ فيه سِرارى

والشرق نحو الغرب أقرب شُقَّةً من بُعْدِ تلك الخمسة الأشبار

ومنها :

وَطَرِى من الدنيا الشبابُ وروقه فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى

قصرت مسافته وماحسناته عندى ولا آلاؤه بقصار

نزداد هَمًّا كلما ازددنا غِنًى فالفقر كل الفقر فى الاكثار

مازاد فوق الزاد خلف ضائع فى حادث أو وارث أو عار

إنى لأرحم حاسِدِىَّ لحرّما ضمنت صدورهُمُ من الأوغار

نظروا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار

لاذنب لى،قد رمْتُ كَتْمَ فضائلى فكأنما برقعت وجه نهار

وسترتها بتواضعى فتطلعت أعناقُهَا تعلو على الأستار

ومن الرجال مجاهل ومعالم ومن النجوم غوامض ودرارى

والناس مشتبهون فى إيرادهم وتفاوت الأقوام فى الإصدار

وهى طويلة ، وإنما أثبت منها ماأثبت ليكون غرة لهذا الكتاب ، وتذكرة لأولى الألباب

ومن القصائد المشعرة بالرثاء قولُ الشريف الموسوى يرثى أبامنصور الشيرازى الكاتب [من المنسرح] :

أى دُمُوعٍ عَلَيْكَ لم تَصِبِ وأى قلب عليك لم يَجِبِ

مالى وما للزمان يَسْلُبُنِى فى كل يوم غرائب السلب

أما فتى ناضرُ الصِّبا كأخى عندىَ أو زائدُ المدَى كأبى

وإننى للشقاء أحسبنى ألعب بالدهر وهو يلعب بى

وقول ابن نُبَاتة يهنىء الملك الأفضل صاحب حماة ويعزيه بوالده الملك المؤيد وهى من غرر القصائد [من الطويل] :

هَنَاء محا ذاك العزاء المقدَّما فما عبس المحزونُ حتى تبسَّما

ثغورُ ابتسام فى ثغورُ مدامع شبيهان لا يمتاز ذو السَّبق منهما

ترد مجارى الدمع والبشرُ واضحٌ كوابل غيثٍ فى ضحى الشمس قد همى

والفاتح لهذا الباب أبو نُوَاس ، وقيل : أبو الشيص ، حيث قال يهنىء الأمين بالخلافة ويعزيه بالرشيد [من المنسرح] :

جرتْ جوارٍ بالسَّعْدِ والنحس فالناسُ فى وحشةٍ وفى أنس

والعينُ تبكى والسِّنُّ ضاحكةٌ فنحنُ فى مأتم وفى عُرْس

يضحكها القائم الأمين ويبكيها وفاة الرشيد بالأمس

بدران بدرٌ أضحى ببغداد فى الخلد وبدرٌ بطوس فى الرَّمس

ومنه قول صالح بن عبد الله القدوس [من المديد] :

رب مغروسٍ بلذته فقدتهُ كفُّ مغترسهْ

وكذاك الدهر مأتمه أقربُ الأشياء منْ عُرُسهْ

وقول يعقوب بن الربيع [من الكامل] :

أتتِ البشارةُ والنعىُّ معاً ياقربَ مأتمها من العُرْس

ولأبى دُلامة يعزّى بالمنصور ويهنىء بالمهدى [من الكامل] :

عيناى واحدة ترى مسرورة بأميرها جذلاً وأخرى تذرف

تبكى وتضحك تارة ويسوءها ما أنكرت ويسرها ماتعرف

فيسوءها موت الخليفة محرماً ويسرها أن قام هذا الأرأف

ماإن رأيتُ كما رأيتُ ولاأرى شعراً أرجّلُه وآخر ينتف

هلك الخليفة يا لأمة أحمدٍ وأتاكم منْ بعده من يخلفُ

أهدى لهذا الله فضل خلافةٍ ولذاك جنات النعيم تزخرف

ولمروان بن أبي الجنوب يرثي المعتصم ويهنيء الواثق [من الوافر] :

أبو إسحاق مات ضُحى فَهِمْنَا وأمسينا بهارون حُبِينَا

لئن جاء الخميس بما كرهنا فقد جاء الخميس بما هَوِينَا

وبديع قول ابن قلاقس [من الكامل] :

خلف السعيد به الشهيد فأدمعٌ مُنْهَلّةٌ في أوْجهٍ تتهلل

ملكان هذا راحلٌ وثناؤه باقٍ ، وذا باقٍ ثناه يرْحلُ

ولنذكر هنا من مطالع المتأخرين مايُزْرِي بمطالع البدور ، ويبهر نظمه محاسن الدر المنثور

فمن ذلك قول القاضي الفاضل [من الكامل] :

زار الصباحُ فكيف حالُكَ يادجى قم فاستنم بفرعه أو فالنَّجا

وقوله أيضاً يخاطب العاذل [من البسيط] :

أخرِج حديثكَ من سمعي فمادخلاَ لاتَرْمِ بالقول سهْماً رُبَّمَا قتلا

وما ألطف ماقال بعده :

ولايخفْ على قلبي حديثُك لي لا والذي خلقَ الانسان والجبلا

وقوله [من المتقارب] :

سمِعتُك والقلبُ لم يَسمَعِ فكم ذا تقولُ وكم لا يعي

يقول وماعندَه أنني بغير فؤاد ولا أضلع

أما معَ هذا الفتى قلبُهُ فقلتُ نعم يافتى مامعِي

وقول ابن النبيه [من البسيط] :

يا ساكنى السفح كم عين بكم سفحت نزحتم فهى بعد البعد قد نزحت

وقوله [من الطويل] :

ونا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى

وقول ابن قلاقس [من البسيط] :

كم مُقلة للشقيق الغض رمداء إنسانها سابحٌ فى دمع أنداء

وقوله [من الطويل] :

قِفَا فالأسى منى زفيرا وأدمعا أكانا لهُمْ إلا مصيفاً ومربعا

وقول الظهير البارزى [من الطويل] :

يذكرنى وجدى الحَمَامُ إذا غنَّى لأنا كلانا فى الهَوَى نعشَقُ الغُصْنَا

وقول ابن العفيف [من الوافر] :

أعزَّ الله أنصار العيون وخلَّدَ مُلكَ هاتيك الجفون

وما أظرف ماقال بعده :

وضَاعفَ بالفتور لها اقتِدَاراً وجدَّدَ نعمة الحُسن المصُون

وصانَ حجابَ هاتيكَ الثنايا وإن ثنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجون

وأسبَغَ ظل ذاكَ الشعر يوماً على قدٍّ به هَيَفُ الغصون

وخلَّد دولة الأعطافِ فينا وإن جارتْ على القلب الطعين

وقوله أيضاً [من الوفر] :

أدام الله أيام الوصال وخلد عُمْرَ هاتيك الليالى

وأسبغ ظل أعطاف التدانى وزادقدُودهاحسنَاعتدَال

ولازالت ثمارُ الوَصل فيها تزيدُ لطافَةً فى كل حال

ولا بَرِحَتْ لنا فيها عُيُونٌ   تغازل مُقلتى خَشْفِ الغزال

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل] :

حُرُوف غرامى كلّها حرفُ إغراء   على أن سقمى بعضُ أفعال أسماء

وقوله [من مجزوء الكامل] :

أهلاً بطيفكم وَسهْلاً   لو كنتُ للإغفاء أهـلاَ

لـكنّهُ وافى وقد   حلَفَ السُّهادُ علىَّ أن لا

وقوله [من مخلع البسيط] :

ويلاه من نَوْمىَ المشَرَّدْ   وآه من شمـلىَ المُبَدَّدْ(١)

وقول ابن عنين [من الـكامل] :

ماذا على طيفِ الأحبةِ لوسَرَى   وعليهمُ لوسامحُونى بالـكرى

وقول ابن نباتة المصرى [من البسيط] :

فى الريق سكر وفى الأصداغ تجعيدُ   هذِى المدام وهاتيكَ العنَاقيدُ

وقوله [من الوافر] :

بدَا ورنَتْ لوَاحظُهُ دلالا   فما أبهى الغزَالةَ والغزَالا

وقوله أيضاً [من البسيط] :

سلبْتَ عقلى بأحداق وأقداح   ياساجىَ الطّرفِ أو ياساقى الرّاح

وما ألطف ما قال بعده [من البسيط] :

سَكرَانُ من مُقلَة الساقى وقهوتِهِ   فاترُك مَلاَمك فى السُّكرين ياصاح

وقوله [من البسيط] :

إنسان عينى بتَعجيل السُّهادِ ملى   عَمرِى لقد خُلقَ الإنسانُ من عجل

وقوله [من الخفيف] :

---

(١) سيأتى هذا المطلع مع جملة أبيات من القصيدة فى (ص ٢٥٩)

قوم برنو بمقلة كحلاء علمتني الجنون بالسوداء

وقوله [من البسيط] :

نفس عن الحب ماحادت وماغفلت بأى ذنب ـ وقاك الله ! ـ قد قتلت

وقوله [من البسيط] :

لام العذار أطالت فيك تسهيدى كأنها لغرامى حرف توكيد

وقول الصفى الحلى [من الطويل] :

قفى ودعينا قبل وشك التفرق فما أنا من يحيا إلى حين نلتقى

وقول الوداعى [من المنسرح] :

بدر إذا ما بدا محياه أقول ربى وربك الله

وقول ابن نباتة معارضاً له [من المنسرح] :

له إذا غازلتك عيناه سهم لحاظ أجارك الله

وقول الحاجرى [من الكامل] :

لك أن تشوقنى إلى الأوطان وعلى أن أبكى بدمع قانى

وقول ابن النقيب [من الكامل] :

قلدت يوم البين جيد مودعى دررا نظمت عقودها من أدمعى

ولنحبس لسان القلم عن بث أسرار هذه المطالع ، وعنان البيان عن الركض مع فرسان هذه المعامع

* * *

شاهد حسن التخلص ٢٢٢ — يقول فى قومس قومى وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

البيتان من البسيط ، وقائلهما أبو تمام ، فى عبدالله بن طاهر ، ولهما خبر يذكر

حدث محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني علي الفضل قال : لما شخص أبو تمام إلى عبدالله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلد ، وقد كان عبدالله وجد عليه وأبطأ بجائزته لأنه نثر عليه ألف دينار فلم تمسها بيده ترفعاً عنها ، فأغضبه ، وقال : يحتقر فعلي . ويترفع علي ، فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمام [من البسيط] :

لم يَبْقَ للضيف لا رسمٌ ولا طللُ ولا قثيبٌ فَنَسْتَكْبِي ولا سَمَل

عدلٌ مِنَ الدَّمع أن يبكي المضيف كما يُبْكَى الشبابُ ويبكى اللهوُ والغزل

يمنى لزمان انقضى معروفُها وغدَت يُسْرَاه وَهْيَ لنا من بعدِهِ بَدَل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبدالله بن طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبدالله ابن طاهر وعاتبه على ماعتب عليه من أجله ، وضمن له مايحبه ، ثم دخل إلى عبد الله بن طاهر فقال : أيها الأمير ، أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن له من النباهة في قدره والاحسان في شعره والشائع من ذكره مله لكان الخوف من شره والتوقي من ذمه يجب به على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف له بنزوعه إليك عن الوطن ، وفراقه للسكن ، عاقداً بك أمله ، معملا إليك ركابه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك مايلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ماسمع إلا قوله « وأنشد البيتين » المستشهد بهما ، فقال له عبدالله : لقد نبهْتَ فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ، ولك ولأبي تمام العتبى ، ادعُهُ ياغلام ، فدعا به ، فنادمه يومه ، وأمر له بألفي دينار ، ومايحمله من الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه ، وأمر بينرقته إلى آخر عمره

وقد أخذ أبو تمام البيتين بلفظهما من مسلم بن الوليد حيث يقول [من البسيط] :

يقول صحبي وقد جدُّوا على عجل والخيل تستنُّ بالركبان في اللُّجم

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقد أخذ ذلك بعدهما أبو إسحاق الغزى فقال [من الوافر] :

تقول إذا حثثناها فظلَّتْ تناجينا بألسنةِ الكلالِ

إلى أفُقِ الهلالِ مَسيرُ ركبي فقلنا بل إلى أفق النوال

وقومس ـ بضم القاف وآخرها سين مهملة ـ صقع كبير بين خراسان و بلاد الجبل ، والمهرية ـ بفتح الميم ـ الابل المنسوبة إلى مَهْرَة بن حيدان ، والقود : الطوال الظهور والأعناق ، واحدها أقود

والشاهد فيهما : حسن التخلص، وهو الخروج مما ابتدىء به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود، مع رعاية الملاءمة بينهما ، وهو قليل فى كلام المتقدمين

وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبى سلمى [من البسيط] :

إن البخيل مَلوم حيث كان ولـكنّ الجَوَادعلى عِلاَّتِهِ هَرِمُ

ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم لها تِرَةً من جذبها بالعصائب

سَرَوْا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا آنسُوا ناراً يقولون ليتها وقدخَصِرَتْ أيديهمُ نار غالب

وقول أبى نواس يمدح الخصيب صاحب مصر [من الطويل] :

تقول التى من بيتها خف محملى يعز علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى مُتَطلَّبٌ بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى فى إثرهن عَبيرُ

دعينى أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير

إذا لم تطأ أرض الخصيب ركابنا فأى فتى بعد الخصيب تزور

فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير(١)

وقوله [من الكامل] :

وإذا جلست إلى المدام وشربها فاجعل حديثك كله فى الكاس
وإذا انتزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس
وإذا أردت مديح قوم لم تَمِنْ فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أجدك هل تدرين كم رب ليلة كأن دُجاها من قُرونك تُنْشَرُ
لهوتُ بها حتى تجلَّتْ بغرة كغرة يحيى حين يمدح جعفر

وقول أبى تمام من قصيدة [من الكامل] :

فالأرض معروف السماء قِرى لها وبنو الرجاء لهم بنو عباس

وقوله [من الكامل] :

لا والذى هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

وقد عيب عليه هذا التخلص كما عيب على المتنبي قوله [من الوافر] :

غدا بك كلُّ خلوٍ مستهاما وأصبح كل مستور خليعا
أحبك أو يقولوا جرَّ نملٌ ثبيرًا وابن إبراهيم ريعا

وما أحسن قول البحترى [من الطويل] :

رياض تردت بالنبات مَجُودَة بكل جَديد الماء عذب الموارد
إذا راوحتها مُزْنَةٌ بكرت لها شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت عليها بتلك البارقات الرواعد

---

(١) الذى فى ديوانه وفى الموازنة ، وهو المحفوظ :
* ولكن يسير الجود حيث يسير *
ووقع فى وفيات الأعيان (١ — ١٢٠ بتحقيقنا) كما هنا

وقول المتنبي يمدح أحمد بن عمران من قصيدة [من الكامل] :

ومَطَالِبٍ فيها الهلاكُ أتيتها ثبْتَ الجنان كأنني لم آتها

ومَقَانِبٍ بمقانب غادرتها أقواتَ وحشٍ كنّ من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدى بنى عمران فى جبهاتها

وقوله يمدح ابن عامر ، ويعرض بذكر أبيه بعد وفاته ، من قصيدة [من الطويل] :

ويوم وصلناه بليل كأنما على أفقه من برقه حُلَلٌ حُمرُ

وليلٍ وصلناه بيوم كأنما على متنه من دَجنِهِ حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامراً علاَ لم يمت أو فى السحاب له قبر

وقوله يمدح سيف الدولة [من الطويل] :

خليلىّ مالى لا أرى غير شاعر فَلِمْ منهم الدعوى وَمنى القصائد[1]

فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكنّ سيف الدولة اليوم واحد

وقول أبى العلاء من قصيدة [من الوافر] :

ولو أن المطى لها عقول وحقك لم نَشُدُّ لها عِقَالاَ

مواصلة بها رحلى كأنى من الدنيا أريد بها انفصالا

سألن فقلن مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهنّ فالا

وقول النامى [من الطويل] :

وليل له نجم كَليلٌ عن السُّرَى تحيَّر لا يُهْدَى لقصد ولا يَهْدَى

كأنِّىَ وَابن الغمد والطرف أنجم على قصدها والنجم ليس على قصد

إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضب جناحيه وَرْساً عُلَّ بالعنبر الوردى

وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهى مقطوعة العقد

فقلت أخيل التغلبى مغيرة أم الفجر يرمى الليل سداً على سد

(١) يروى « فكم منهم الدعوى »

ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله من قصيدة [من الوافر] :

ألا ياماء دجلة لست تدرى بأنى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكراً عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء قال لى كل هذا بمَ استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لأنك كل يوم تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شىء يضيق عن احتمالك فيه صدرى

ومن مخالصه على طريقته المشهورة فى السخف والمجون قوله [من الوافر] :

وقد بادلتها فمبالها لى بمشورة استبا ولها قذالى
كما لابن العميد جميع مدحى ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص البديعة قول مهيار الديلمى يمدح سيف الدولة بن مزيد [من البسيط] :

تسعى السقاة علينا بين منتظر بلوغ كأس ووثاب فمنتلب
كأنما قولنا للبابلىّ أدرْ سُلَافةً قولُنا للمزيدى هَبِ

وقوله يمدح فخر الملك [من الوافر] :

أرى كبدى وقد بردت قليلا أمات الهمُّ أم عاش السرور
أم الأيام خافتنى لأنى بفخر الملك منها أستجير

وقوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها [من الكامل] :

لو كان يرفق ظاعن بمشيع ردّوا فؤادى يوم كاظمة معى
إن شاء بعدهم الحيا فلينسكبْ أو شاء ظل غمامة فلْيُقْلِعِ

يقول فيها :

فمقيل جسمى فى ظلال ربوعهم كاف ، وشربى من فواضل أدمعى
لزمت جفونى فى الديار فأخصبت فنَنيت أن أرِدَ المياه وأرتعى
فكأن دمعى مدّ من أيدى بنى عبد الرحيم وماؤها المتنبع
وكأن ليلى من تفاوت طوله أسيافهم موصولة بالأذرع

وقول الأرجانى يمدح ولىّ الدين الكاتب من قصيدة [من الخفيف] :

تركتنى معانيا لمعانٍ وأعادت أعاديا أصدقائى
كدرت مشربى وقدكان عين الـ شمس والماء دونه فى الصفاءِ
بعد عهدى بعيشتى وهى خضرا تتثنى كالبانة الغنّاء
وأمورى كأنها ألفاتٌ خطهن الولىُّ فى الاستواء

وقوله يمدح سديد الدولة الأنبارى مترسل الخلافة من قصيدة [من البسيط] :

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل ولا فؤادى على ما سمتِ صبّارُ
إلا لأنك منّى اليومَ نازلةٌ بالقلب حيث سديد الدولة الجار

وقوله يمدح شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائى من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

إذا لم يخن صب ففيمَ عتابُ وإن لم يكن ذنب فمِمَّ يُتابُ
أجل مالنا إلا هواكم جناية فهل عندكم غيرَ الصدود عقابُ

يقول فى مخلصها :

فلا تكثرن شكوى الزمان فانما لكل مسلم جيئة وذهاب
وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا إلى أن بدا للناظرين شهاب

وقول أبى نصر محمد الأصفهانى [من الكامل] :

جئنا نظن الليل ما اكتسب الدجى حتى نماه صباحه بظلام

ودنا الثريا للمغيب كأنها بدرُ اللآلى نُضِّدَتْ لنِظام
والصبح قد صَدَعَ الظلامَ كراية بيضاء فى سود من الأعلام
أو رأى مولانا الوزير إذا احتبى يمحو ظلامَ الشك فى الأحكام

وقال بعده مع الزيادة فى الغلوّ :

ودّ الهلال لو أنه لجواده نعل وحافره أوان تمام
تا لله لو أصغى هواه مشرك لأقيم عند الله خير مقام

أستغفر الله من ذلك ! ! :

ومن المخالص البديعة الفائقة قول أبى القاسم بن هانى الأندلسى فى قصيدته البديعة التى منها [من الطويل]

بعيشك نبه كأسه وجفونه فقد نبه الابريق من بعد ماأغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها وقدقام جيشُ الليل للصبح واصطفّا
وولَّتْ نجومٌ للثريا كأنها خواتيم تبدو فى بنان يدٍ تَخْفَى
ومَرَّ على آثارها دبرانها كصاحب رِدء كُمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور ملية بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل بوَجْرَةَ قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سُهَيلا فى مَطَالع أفقه مُفَارِقُ إلفٍ لم يجد بعده إلفا
كأن سُهَاها عاشق بين عُوَّدٍ فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن المزيع الآبنوسى وَهْنَةً سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل إذ مال ميلة صريعُ مدام بات يشربها صرفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا على كتديه ضامنان له الحتفا
كأن معلى قطبها فارس له لوا آن مركوزان قد كَرِهَ الزَّحفا

كأن قُدَامَى النسرِ والنسرُ واقعٌ قصصن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دَوَّم طائراً أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن رقيب الصبح أجدلُ مرقب يفتش تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن عمود الصبح خاقان عسكر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرّة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

ومثلها فى الحسن والوزن والقافية قول الخفاجى [من الطويل] :

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خِشْفَا فانا لمحنـا فى مراتعها ظِلْفَـا
وقولا لخوط البان فاتمسك الصبا علينا فانا قد عرفنا بها عَرْفا
سرت من هضاب الشأم وهى مريضة فما ظهرت إلا وقد كاد أن يخفى
عليلة أنفاس نداوى بها الجوى وضعفا ولكنا نرجى بها ضعفاً
وهاتفة فى البان تملى غرامها علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجو قلوب العاشقين حنينها وما فهموا مما تغنّتْ به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبست طوقا ولا خَضَبَتْ كفا
أجارتَنَـا أذكرْتِ من كان ناسياً وأضرمْتِ نارا للصبابة لا تُطْفَى
وفى جانب الماء الذى تردينَهُ مواعيدُ ما يُنكرن ليًّا ولا خُلْفَا
ومهزوزة للبان فيهـا شمـائل جعلن له فى كل قافية وصفا
لبتنا عليها بالثنية ليـلة من السود لم يطو الصباح لها سجفا
لعمرى إن طالت علينا فاننا بكم الثريا قد قطعنا لها كَفًّـا
رمينا بها فى الغرب وهى رميمة ولم نبق للجوزاء عِقْدًا ولا شنْفَـا
كأن الدجى لما تولّتْ نجومه مدبِّرُ حربٍ قد هزمنا له صفا

كأن عليه المجرة روضة مفتحة الأنوار أو نثرة زغفا

كأنا وقد ألقى إلينا هلاله سلبناه جاما أو قصمنا له وقفا

كأن السها إنسان عين غريقة من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفا

كأن سهيلا فارس عاين الوغى ففرّ ولم يشهد طرادا ولا زحفا

كأن سنا المريخ شعلة قابس تخطفها عجلان يقذفها قذفا

كأن أفول النسر طرف تعلقت به سِنَةٌ ماهبٌ منها ولا أغفى

كأن نصير الملك سلَّ حسامه على الليل فانصاعت كواكبه كسفا

ولحازم صاحب المقصورة قصيدة طائية حذا فيها هذا الحذو، وهى بديعة فأحببت أن أعزز هاتين القصيدتين بها، ومطلعها [من الطويل] :

أمن بارق أورَى بجنح الدجى سِقْطَا تذكرت مَنْ حلَّ الأبارق فالسقطا

يقول فيها بعد أبيات :

وكم ليلة قاسيتها نابغيّة إلى أن بدت شيباً ذوائبها شُمْطَا

و بت أظن الشهب مثلى لها هوى وأغبطها فى طول أُلفتها غبطا

على أنها مثلى عزيزة مطلب ومن ذا الذى ما شاء من دهره يُعْطَى

كأن الثريا كاعب أزمعَتْ نوى وأمت بأقصى الغرب منزلة شحطا

كأن نجوم الهقعة الزهر هَوْدَجٌ لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطا

كأن رشاء الدلو رشوة خاطب لها جعل الأشراط فى مهرها شرطا

كأن السُّهَا قد دقَّ من فرط شوقه إليها كما قد دقّقَ الكاتب النقطا

كأن سهيلا إذ تناءت وأنجدت غدا يائسا منها فأتهم وانحطا

كأن خفوق البرق قلبُ متيمٍ تعدى عليه الدهر فى البين واشتطا

كأن كلا النسرين قد ريع إذ رأى هلال الدجى يهوى له مخلبا ملطا

كأن الذى ضم القوادم منهما هوى واقعا للأرض أوقص أوقطا
كأن أخاه رام فوتا أمامه فلم يَعْدُ أن مَدَّ الجناحين وارتطا

ومثلها فى الحسن قول على بن محمد الكوفى من قصيدة [من الطويل] :

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا إذا كان جانيه علىَّ طبيبى
ولى عائدات شقّتهن لجنٌ فى لباسِ سوادٍ فى الظلام قشيبِ
نجوم أراعى طولَ ليلىَ برجها وهن لبعد السير ذات لغوب
خوافق فى جنح الظلام كأنها فؤاد مُعنّاة بطول وجيب
ترى حوتها فى الشرق ذات سباحة وعقربها فى الغرب ذات دبيب
إذا ماهوى الإكليل منها حسبته تهدل غصن فى الرياض رطيب
كأن التى حول المجرة أوردت لتكرع فى ماء هناك صبيبَ
كأن رسول الصبح يخلط فى الدجى شجاعة مقدام بجبن هيُوبِ
كأن اخضرار الفجر صَرْحٌ ممرّد وفيه لآلٍ لم تُشَنْ بثقوب
كان سواد الليل فى ضوء صبحه سواد شباب فى بياض مشيب
كأن نذير الشمس يحكى ببشره علىّ بن داود أخى ونسيبى
ولولا اتقائى عَتْبَهُ قلت سيدى ولكن يراها من أجلّ ذنوبى
نسيب إخاء وهو غير مناسب قريب صفاه وهو غير قريب

ومن المخالص البديعة قول القاضى الفاضل ، من قصيدة يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها [من الطويل] :

ترى لحنينى أو حنين الحمائم جرَتْ فحكت دمعى دموعُ الغمائم

وما أحلى قوله بعده :

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا فكل أراها دارساتِ المعالم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا و إن كان يَهْفُو بالغصون النواعم
تأخَّرْتُ فى حمل السلام عليكم لديها لما قد حمات من سمائم
فلا تسمعوا إلا حديثاً لناظرى يعاد بألفاظ الدموع السواجم
فان فؤادى بعدكم قد فطمته عن الشعر إلا مدحة لابن فاطم

ومنها قول شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية نبوية مطلعها [من مخلع البسيط]:

وَيْلاَهُ من نومىَ المشرد وآه من شَمْلِيَ المبدد

ولم يزل يدبر على خصور هذه الألفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة إلى أن قال:

أكسبنى نشوةً بطَرْفٍ سكرتُ من خمرهِ فعربد
غصن تقاحلَ عقْد صبرى بلين خصرٍ يكاد يُعْقَدْ
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف من قصيدة مطلعها [من الوافر]:

لنا من رَبَّةِ الخالين جارَهْ تُوَاصِلُ تارةً وتَصُدُّ تارَهْ
تُمَاملنى بما يحلى سُلُوًى ولكن ليس فى جوفى مرَارَهْ

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازل إلى أن قال:

وقالوا قد خسرت الروح فيها فقلت الربح فى تلك الخساره
بأيسر نظرة أسرت فؤادى كما نشأ اللهيب من الشراره
ويفتك طرفها فيقول قلبى أشَنٌّ ترى صلاحُ الدين غاره

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك الأمجد [من الرمل]:

ظبية حكم ظُبَا مقلتها عزة الظبى وذل الأسد
كنت فى ذاك الهوى مجتهدا وهى كانت زلة المجتهد
كملت حسناً فلولا بخلها لحلتها بعض خلال الأمجد

ومنها قول ابن قلاقس من قصيدة يمدح بها أبا المنصور نور الدين محموداً عين الأمراء بالديار المصرية [من البسيط]:

ماذا على العيس لو عادت بربتها ... بقدر ما نتقاضاها المواعيدا
ردّ الركاب لأمرٍ عنّ في خلدي ... وسمّه في بديع الحسن ترديدا
وقف أبثك مالان الحديد له ... فان صدقت فقل لي كنت داودا
حلت عرى النوم من أجفان ساهرة ... ردالهوى هدبها بالحسن معقودا
تفجرت وعصا الجوزاء تضربها ... فأذكرتني موسى والجلاميدا
يا ثعلب الهجر يا سرحان أوله ... كُل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر درر هذا النظم إلى أن قال :

مالي وما للقوافي لا أسيّرها ... إلا وأقعد محروماً ومحسودا
أسكرتهم بكؤوس النظم مترعة ... ولم أنل منهم إلا العرابيدا
هممت بالجود مفقوداً ونائله ... يقول لي قد وجدت الجود موجودا
الحمد لله لا والله ما نظرت ... عيناي بعد أبي المنصور محمودا

وقوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصري [من الوافر] :

سقى مصرا وساكنها بوبل ... صليل البرق صخاب الرعود
موارد من له ظمأ شديد ... ولكن لاسبيل إلى الورود
هل الرأي السديد البعد عنها ... نعم إن كان للشيخ السديد

وقول القاضي سعيد بن سناء الملك يمدح القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني [من الكامل] :

ضنت بطرف ظل يعدي سقمه ... أرأيتم من ضن حتى بالضنا
ياعاذلين جهلتم قدر الهوى ... فعذلتم فيه ولكني أنا

إنى رأيت الشمس ثم رأيتها ... ماذا علىّ إذا هويت الأحسنا
وسألت من أى المعادن ثغرها ... فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
أبصرت جوهر ثغرها وكلامه ... فعلمت حقاً أن هذا من هنا

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم عيسى مطلعها [من الطويل] :

تقنعت لكن بالحبيب المعمم ... وفارقت لكن كل عيش منمم
و باتت يدى فى طاعة الحب والهوى ... وشاحاً لخصر أو سواراً لمعصم
سعدت ببدر خدُّه بُرْجُ عقرب ... فكذب عندى قول كل منجمٌ
وأقسم ما وجه الصباح إذا بدا ... بأوضح منه حجة عند لوّمى
ولا سيما لما مررت بمنزل ... كفضلة صبر فى فؤاد متيم
وما بان لى إلا بعود أراكة ... تعلق فى أطرافه ضوء مبسم
وقفت بها أعتاض عن لثم مبسم ... شهى لقلبى لثم آثار منسم
ولم ير طرفى قط شملا مبدداً ... بقابله إلاً بدمع منظّم
ولم يسل قلبى أوفى عن غزالة ... وعن غزل إلا مديح المعظم

وقول البهاء زهير من قصيدة يمدح بها الأمير ناصر الدين الملطى مطلعها [من الطويل]:

لها خَفَرٌ يوم اللقاء خفيرُها ... فما بالها ضنت بما لا يضيرها
أعادتها أن لا يعاد مريضها ... وسيرتها أن لا يفك أسيرها

يقول فيها :

وها أنا ذا كالطيف فيها صبابةً ... لعلى إذا نامت بليل أزورها
من الغيد لم توقد مع الليل نارها ... ولكنها بين الضلوع تثيرها
تقاضى غريم الشوق منى حشاشة ... مُرَوَّعة لم يبق إلا يسيرها

وإن الذى أبقته منها يدُ الهوى فداء بشيرٍ يوم وافى نصيرها

وقوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز من قصيدة مطلعها [من الكامل] :

عرف الحبيبُ مكانه فتدللا وقنعت منه بزورة فتعللا

وافى الرسول ولم أجد فى وجهه بشراً كما قد كنت أعهد أولا

ولم يزل هائماً فى طريقته الغرامية إلى أن قال :

آها لقلب ما خلا من لوعة أبدا يحن إلى زمان قد خَلاَ

ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى لو لم تبادره الدموع لأشعلا

ولقد كتمت حديثه وحفظته فوجدت دمعى قد رواه مسلسلا

أهوى التذلل فى الغرام وإنما يأبى صلاح الدين أن أتذللا

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه وأردت قبل الفرض أن أتنفلا

وقول ابن النبيه من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها [من البسيط] :

باكر صَبُوحكَ أهنى العيش باكرُهُ فقد ترنم فوق الأيك طائرُه

والليل تجرى الدرارى فى مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره

يقول فيها :

واجسر على فُرَصِ اللذات محتقرا عظيم ذنبك إن الله غافره

فليس يخذل فى يوم الحساب فتى والناصر ابن رسول الله ناصره

ومن مخالصه الموسوية من قصيدة مطلعها [من السريع] :

يا نار أشواقىَ لا تخمدى لعل ضيف الطيف أن يهتدى

إلى أن قال :

غازلنا من نرجس ذابل وافتر عن نَوْرِ أقاح ندى

وقام يَلْوى صُدْغه قائلا لا تغترر بى فكذا موعدى
فقلت بالله أمات الوفا فقال موسى لم يمت خذ يدى

وقوله فيه [من البسيط] :

ياطالب الرزق قد سدت مذاهبه قل يا أبا الفتح ياموسى وقد فتحت

وقوله فيه [من الكامل]

بتنا وقد لف العناق جسومنا فى بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح كجحفل راياته رنك الأمير الأشرف(١)

وقوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

يذود شَبَا القنا عن وجنتيها كمنع الشوك للورد الجنى
إذا مارمتُ أقطفه بعينى يقول حذار من مرعى وَبِىٍّ
لسان السيف من أدنى وُشَاتى ومن رقباى طرف السمهرىّ
كأنّ بجفنها فى كل قلب فعال المشرفى الأشرفى

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر مطلعها [من البسيط] :

روح يمينك مما أنت معتقل أمضى الأسنة ما فولاذه الكَحَلُ
يامن يرينا المنايا واسمها نَظَر من السيوف المواضى واسمها مُقَلُ
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كثب من دونها حرس من دونها قُضُبٌ من دونها أَسَلُ
ومعشر لم تزل فى الحرب بيضهم حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى أعطافهم طربا كأن ذِكْرَ المنايا بينهم غَزَلُ
من كل ذى طُرَّةٍ سوداء يلبسها وشَيْبُهَا من غبار الحرب منتصل

(١) كذا

ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدُّوَلُ

وقول أبي الحسين الجزار يمدح موسى بن يغمور من قصيدة [من الطويل]:

وهيفاء تحكي الظبي جيداً ومقلةً رَنَتْ وانثنت فارتَمَتْ بالبيض والسُّمر

جسرتُ على لثم الشقيق بخدها ورشف رُضَابٍ لم أزل منه في سكر

ولست أخاف السحر من لحظاتها لأني بموسى قد أمِنْتُ من السحر

فتىً إن سطا فرعونُ فقرٍ وجِدتَه يفرقه من جود كفيه في بحر

له باليد البيضاء أعظم آية إذا اسودت الأيام من نُوَبِ الدهر

وقوله يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة [من الطويل]:

وكم ليلة قد بتها مُعْسِراً ولي بزُخرف آمالي كنوز من اليسر

أقول لقلبي كلما اشتقت للغنى إذا جاء نصر الله تبت يدا الفقر

وقول شيخ الاسلام ابن دقيق العيد وهو غاية هنا، وهو [من السريع]:

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرفُ الغمض ولا نستريح

واختلف الأصحاب ماذا الذى يزيل من شكواهم أو يريح

فقيل في تعريسهم ساعة وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وهو مأخوذ من قول ذي الرمة [من الطويل]:

ونشوان من طول النعاس كأنه بحبلين من مشطونة يترجح

إذا مات فوق الرحل أحييت روحه بذكرك والعيس المراسيل جُنَّحُ

وقد أجاب ابن نباتة عن أبيات شيخ الاسلام بقوله [من السريع]:

في ذمةِ الله وفي حفظهِ مسراك والعَوْدُ بعزم نجيح

لو جاز أنْ تسلك أجفاننا إذن فرَشْنَا كل جفن قريح

لكنها بالبعدِ مُعتلة وأنت لا تسلكُ إلا الصحيح

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

صدقوا قد نظروا لورد مسبج هل رأوه فى عذار من بنفسج
عشق الناس ولا مثل الذى هِمْتُ وجداً فيه فانظر وتفرّج
من رأى بدراً وغصنا وقنا قد تجلّى وتثنّى وترجرج
وجهه نسخة حسنٍ حرِّرت ولها من عارض سطر مخرج
ذو وشاح مثل قلبى قلق وإزار مثل صدرى منه محرج
وأصمّ فتحتْ أسماعه بقواف كم بها يُفْتَحُ مُرْتَج
قال : شعر لك ، أم درّ ؟ على أنه أبهى من الدرّ وأبهج
قلت : تاج الدين فيه وصفه قال : هذا ملك الشعر المتوّج

وقول ابن نباتة ، يمدح قاضى القضاة ، تاج الدين السبكى ، من قصيدة [من البسيط] :

قد أسرج الحسن خدّيه فدونك ذا سراج خد على الأكباد وهّاج
وألجم العذل فاركب فى محبته طِرْفَ الهوى بعدَ إلجام وإسراج
وقسم الشعر فاجعلْ فى محاسنهِ شَنْرَ القلائد واهْدِ الدرّ للتاج

وقول القيراطى ، يمدح سيف الدين الكريمى من قصيدة [من الوافر] :

فموعده وناظره وجسمى سقيمٌ فى سقيم فى سقيم
كَرِيمٌ مال بخلاً عن ودادى فَمِلْتُ لنحو مخدوم كريم

وقول ابن حجة[1] فى ممدوحه صدقة [من المنسرح] :

طرقت باب الحبيب والرقبا عليه من خيفة القفا حنقه
قالوا فما تبتغى فقلت لهم حتى تخلصت أبتغى صدقه

وقول الفاضل على بن مليك من قصيدة نبوية [من الخفيف] :

(١) فى نسخة « ابن حجلة »

حاولتْ زورتى فنمَّ عليها قُرْطها فى الدجى ومسك الغُلاَلَهْ
ثم لما أن سلَّمَتْ أذكرتنى مدح من سلمت عليه الغزاله

وقد آن أن نتخلص من سرد هذه المخالص البديعة إلى غيرها ، فالشرح قد طال ، وربما يحدث منه الملال .

* * *

شاهد الاقتضاب

٢٢٣ — لوْ رأى الله أنَّ فى الشيب خيراً جاوَرَتهُ الأبرَارُ فى الخلدِ شيبا
كل يوْمٍ تُبدِى صروفُ الليالى خلقاً من أبى سعيد رَغيبا(١)

البيتان لأبى تمام ، من قصيدة من الخفيف يمدح بها محمد بن يوسف أولها :

من سجَايا الطلول أن لا تجيبا فصوابٌ من مُقلتى أن تَصُوبَا
اسألنها واجعل بكاك جوابا تجد الشوْق سائلا ومجيبا
قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ للصبا تزدهيك حسنا وطيبا
أكثر الأرض زائراً ومزورا وصعوداً مِنَ الهوَى وصبوبَا
وَكعاباً كأنما ألبستها غفَلاَتُ الشبَابِ برداً قشيبا
بينَ البين فقدها قلما تعرف فقداً للشمس حتى تغيبا
لعبَ الشيب بالمفارق بل جدَّ فأبكى تماضراً ولعوبا
خضبت خدَّها إلى لؤلؤ العقد دَما أن رأت شوَاتى خضيبا
كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيم الثُغَام ذنبُكَ أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبا

(١) المحفوظ * خلقا من أبى سعيد غريباً *

وإن عِبْنَ ما رَأَينَ لقد أنـــكرن مستنكراً وعِبْنَ معيبا

أو تصدَّ عن قلى فكفى بالـــشيب بينى وبينهنّ حسيبا

وبعده البيتان، والرواية فى الديوان «فضلا» بدل «خيراً»، والقصيدة طويلة.

والشيب — بكسر الشين المعجمة — جمع شائب[1]، والرغيب: الواسع.

والشاهد فيه: الاقتضاب، ويسمى: الاقتطاع، والارتجال، وهو: أن ينتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى ما لا يلائمه، وهذا مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام، مثل: لبيد، وحسان، والشعراء الاسلاميون قد يتبعونهم فى ذلك ويجرون على مذهبهم، كأبى تمام هنا، والبحترى بقوله من غير ارتباط بما قبله [من الطويل]:

وَرَدْنا إلى الفتح بن خاقان إنه أعمُّ ندًى منكمْ وأيْسرُ مطلبا

وهو كثير فى شعره، حتى إنّ السليمانى الشاعر عرّض به فى قوله [من مجزوء الكامل]:

يغتابنى فاذا التفـــت أبان عن محض صحيح

وَثْبًا كوثب البحترى من النسيب إلى المديح

وكأبى نواس، وهو الغالب على شعره، كقوله يمدح الأمين بن الرشيد [من المديد]:

يا كثير النوح فى الدمن لا عليها بل على السَّكَنِ

سنة العشاق واحـــدة فاذا أحببتَ فاستكن

ظن بى من قد كلفت به فهو يجفونى علىَ الظنن

قَامَ لاَ يعنيه ماَ لقيت عين ممنوع من الوسن

(١) صوابه جمع أشيب كبيض من جمع أبيض

رَشأٌ لولاَ ملاحتهُ خلَتِ الدنيا من الفِتَنِ
ما بدا إلا استرَق له حسنُهُ عبداً بلا ثمن
فاسقنى كأساً على عذَلٍ كرهَتْ مسموعَه أذنى
من كميت اللون صافية خير ما سلسلت فى بدنى
ما استقرت فى فؤاد فتى فَدَرَى ما لوعة الحزن
مزجت من صوب غادية حلبته الريح من مَزن
تضحك الدنيا إلى ملك قامَ بالآثار والسنن

فهو كما تراه انتقل من الغزل إلى المديح من غير تخلص .

* * *

شاهد حسن المقطع

٢٢٤ — وإنى جديرٌ إذْ بلغتك بالمنى وأنتَ لما أملتُ منكَ جديرُ
فانْ تُولِنِي منكَ الجميلَ فأهله وإلا فانى عاذرٌ وشكُورُ

البيتان لأبى نواس ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها الخصيب صاحب مصر ، أولها :

أجارَةَ بيتينا أبوكِ غيُور وميْسُورُ مايرُجَى لديكِ عسير
فان كنت لاخلمًا ولاأنت زوجة فلا بَرِحَتْ دونى عليك ستور
وجاورت قوما لاتجاور بينهم ولاوصلَ إلا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربَةَ لازبٍ ولا كل سلطان على قدير
وإنى لطرف العين بالعين زاجر فقد كدت لايخفى على ضمير

وهى طويلة ، وتقدم ذكر شىء منها فى حسن التخلص ، وقد عارضها أحمد

ابن دَرّاج القَسْطَلِّيّ بقصيدة طنانة ، منها (١) [من الطويل] :

ألم تعلمى أن الثواء هو التَّوَى ... وأن بُيُوت العاجزين قُبُورُ

تخوفنى طولَ السفار وإنه ... لتقبيل كف العامرى سفير

دعينى أرد ماء المفاوز آجنا ... إلى حيث ماء المكرمات نمير

فان خطيرات المهالك ضُمّن ... لراكبها أن الجزاء خطير

ولما تدانت للوداع وقد هفا ... بصبرىَ منها أنة وزفير

تناشدنى عهد المودة والهوى ... وفى المهد مبغوم النداء صغير

عَيِىٌّ بمرجوع الخطاب ولحظُه ... بموقع أهواء النفوس خبيرُ

فكل مفَداة الترائب مرضع ... وكل مُحَيَّاة المحاسن ظِيرُ

عصيت شفيع النفس فيه فقادنى ... رَوَاحٌ لتدآب السُّرَى وبكور

وطار جناح البين بى وهَفَتْ بها ... جوانح من ذعر الفراق تطير

لئن ودعت منى غيوراً فاننى ... على عزمتى من شجوها لغيور

ولو شاهدتنى والهواجر تلتظى ... على ورقراق السراب يمور

أسلط حرَّ الهاجرات إذا سطا ... على حُرِّ وجهى والأصيل هجير

وأستنشق النكباء وهى لواقح ... واستوطىء الرمضاء وهى تفور

وللموت فى عين الجبان تلون ... وللذعر فى سمع الجرىء صفير

لبان لها أنى من الضيم جازع ... وأنى على مض الخطوب صبور

ولو أبصرت بى والسرى جل عزمتى ... وجرسى لجنان الفلات سمير

وأعتسف الموماة فى غسق الدجى ... وللأسد فى غيل الغياض زئير

---

(١) ذكر الكثير منها القاضى ابن خلكان فى وفيات الأعيان فانظره (١٢٠/١ بتحقيقنا)

وقد حومت زهر النجوم كأنها كواعب فى خضر الحدائق حُورُ
ودارت نجومُ القُطْب حتى كأنها كؤوس مَهاً والى بهن مُديرُ
وقد خُيِّلَتْ طرق المجرة أنها على مفرق الليل البهيم قتير
وثاقب عزمى والظلام مروع وقد غض أجفان النجوم فتور
لقد أيقنت أن المنى طوع همتى وأنى بعَطْفِ العامرى جدير

قال ابن فضل الله : ومَنْ وقف على هذه القصيدة وقصيدة أبى نواس عرف فضل قائلها على من تقدم ، وشهد له بأنه سبَق و إن تأخر ، وجزم بأن الرجال معادن ، وأن لكل زمان محاسن ، ولم يشك أن الخواطر موارد لاتنزح ، وأن الأفكار مصابيح لاتطفى ، وأن الأفهام مرَاءٍ [1] لاتتناهى صورها، وأن العقول سحائب لاينفد مطرها ، وعلم أن المعانى غير متناهية ، والفضائل غير متوارية ، و إن أم الليالى لوَلُودُ ، و إن الفضل فى كل حين لمشهود ، و إن هذا الشاعر فى قصيدته هذه التى عارض بها أبا نواس لم يدع له عارضا يستمطر ، ولا عارضة تذكر ، و إنه لحقيق أن ينشد [من الطويل]

وإنى وإن كنت الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

يروى أن أبا نواس لما قدم على الخصيب صادف فى مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح لهم فيه ، فلما فرغوا قال الخصيب : ألا تنشدنا ياأبا على ، فقال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تَلْقَفُ مايأفكون ، فأنشده هذه القصيدة ، فاهتزَّ لها وأمر له بجائزة سنية

وفى كتاب آداب الغرباء أن أبا نُوَاس كان عائداً من الشام إلى بغداد، قال : فانى على ظهر فرسى إذ ترنَّمت بهذه الأبيات * تقول التى من بيتها خف محملى * الأبيات المارة فى حسن التخلص ، قال: فسمعت ورائى شهْقَة ، فالتفت، فاذا شيخ

(١) الصواب أن يقول « مرايا» مثل وخطايا .

عليه أطمار رثة يقود فرساً أعجف ، وهو متنجد سيفه ، فقال لى : أعد ياأبانواس هذه الأبيات ، فأعدتها ، فقال : لمن هذه ؟ قلت : لى ، امتدحت بهـا الخصيب أمير مصر ، قال : ما أرفدك ؟ قلت : إنه ملأ فيّ جوهراً بعته بمـائة ألف درهم ، قال : أتعرفه ؟ قلت : نعم ، قال : أنا والله الخصيب ، فلما عرفته نزلت عن دابتى وقبلت يده ورجله ، فقال : لاتفعل ، ثم سألته عن حاله وسبب تغير أمره ، فقال لى : قولك الدائرات تدور ، قال : فدفعت إليه جميع ما كان معى من مركوب ونفقة وثياب ، وسألته قبول ذلك ، فأبى وقال : والله لاأخذت من يد أرفدتها ، ثم ركب دابته وتركنى ومضى

وحدث معاوية بن صالح الطبرانى قال : ماج الناس فى مصر بسبب السعر ، فبلغ الخصيبَ وهو يشرب مع أبى نواس ، فقال : دعنى أيها الأمير أسكنهم ، فقال : ذلك إليك ، فخرج أبو نواس حتى وافى المسجد الجامع فصعد على المنبر ، واعتمد على عضادتيه ، وحول وجهه للناس ، وعليه ثياب مشهرات ، فقال [من الطويل]:

منحتكمُ ياأهل مصر نصيحتى ... ألا فخذُوا من ناصح بنصيب
ولاتَثبُوا وثب السّفاه فتركبُوا ... على ظهر عارى الظهر غير ركوب
فان يك باقى إفك فرعون فيكم ... فان عصا موسى بكف خصيب

قال : فتفرق الناس ولم يجتمعوا بعده

وحدث مطيعٌ خادمُ البرامكة قال : كنت واقفاً على رأس الرشيد إذ دخل أبو نواس ، فقال : أنشدنى قولك فى الخصيب :

فان يك باقى إفك فرعون فيكم ... فان عصا موسى بكف خصيب

فأنشده ، فقال الرشيد : ألاقلت « فباقى عصا موسى بكف خصيب » فقال أبونواس : هذا أحسن والله ، ولـكنه لم يقع لى

وحكى إسماعيل بن أسباط قال لما قال أبو نواس * منحتكم يا أهل مصر نصيحتى * رأى الخصيبُ فى المنام قائلا يقول : يا خصيب ، مافوق هذا المدح مدحٌ ، قال : فما جزاؤه ؟ قال : نبحة كلب ، قال : وما نبحة كلب ؟ قال : ألف ، قال : من أى الحجرين ؟ قال : من الصفر ، فلما أصبح صبح أبانواس بألف دينار ، فقال أبو نواس [من الكامل] :

أنت الخصيبُ وهذه مصر فَتَدَفّقَا فكلاكما بحر

وقال ابن قتيبة : لما قال أبو نواس *فان يك باق إفك فرعون فيكم* و بلغ الرشيد نقال : يا ابن اللخناء ، أنت المستخف بنبي الله موسى عليه السلام ، وقال لابراهيم بن نهيك : لايأوين أبو نواس عسكرى من ليلته ، فقال له : ياسيدى ، فأجل ثمود ، فضحك وقال : أجله ثلاثا ، فبعث الأمين إلى إبراهيم فقال : والله لئن مسست منه شعرة لأقتلنك ، فأقام عند إبراهيم حتى مات الرّشيد ، وأخرجه محمد الأمين سنة تسع وتسعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة

قال أبوعبدالله حمزة : قد غلط ابن قتيبة فى التاريخ لأن الأمين تولى الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة فى جمادى الآخرة

والجدير : الخليق بالشيء

والشاهد فيهما : الانتهاء ، و يسمى حسن المقطع، وحسن الخاتمة ، وهو أن يختم الناظم أو الناثر كلامه بأحسن خاتمة ، لأنه آخر ما يعيه السامع و يرتسم فى النفس

ومثل البيت الأول قول بعضهم [من الطويل] :

و إنى خليق من نداك بمثلها وأنتَ بما أمّلتُ منكَ خليقُ

وقول الآخر [من الرمل] :

لجَدِيرٌ أنا بالشُّكر كما أنتَ بالطّول و بالحسنى جديرُ

وقول ابن شداد [من الخفيف] :

لجدير بالشكر أنت ، فشكرى لك ، والحمد دائماً والثناء

* * *

٢٢٥ – بَقيتَ بَقَاء الدَّهْرِ يا كهف أهله وهَذَا دُعَاء للبرية شَامِلُ

شاهد حسن الانتهاء

البيت من الطويل ، ونسب لأبى العلاء المعرى ، ونَسَبه ابن فضل الله لأبى الطيب المتنبي ، ولم أره فى ديوان واحد منهما

والشاهد فيه : حسن الانتهاء

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة [من الطويل] :

فان يك ذنبٌ عَنَّ أوتَكُ هفوة على خطإٍ منى فعُذْرى على عَمْدِ

وقول أبى الطيب فى ختام قصيدة [من الوافر] :

فلاحطَّت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فِراقا

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

ولا تزال لك الأيام ممتعة بالآل والحال والعلياء والعُمُر

وقول الأرجانى [من الطويل] :

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحاً فانكَ فى هذا الزمان فَريدُ

عُلاَكَ سِوَار والممالك مِعْصَم وجودك طَوْقٌ والبرية جِيدُ

وقول إبراهيم الغزى [من الطويل] :

بقيت بقاء الدهر ماذرَّ شارق وغار جديد المكرمات وأنجدا

وقول الخوارزمى [من الوافر]

بقيت لنا تجود مَدَى الليالى فانك مابقيت لنا بقينا

وقول الرستمى [من الطويل] :

بقيت مدى الدنيا وملكُكَ راسخٌ وظلُّكَ ممدود وبابكَ عامرُ

يود سناك البدرُ والبدرُ زاهرٌ ويَقْفُو نداك البحرُ والبحرُ زاخر
وهنئت أياما أتتك سعودُها كما تتوالى فى العقود الجواهر

وقول ابن النبيه [من السريع] :

دمتم بنى أيوب فى نعمة تجوز فى التخليد حدّ الزمانْ
والله لا زلتم ملوكَ الورَى شرقاً وغرباً وعلىّ الضمانْ

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل] :

فلا زلت فى مُلكٍ جديد مؤيد تدينُ لكَ الدُّنيا وتصفُو لك الأخرى
ولا زال للأيام طَوْلٌ على الورى وما الطول إلا أن تطيل لك العمرا

وقول ابن سناء الملك [من البسيط] :

بقيت حتى يقول الناس قاطبة هذا أبو الياس أوهذا أبو الخضر

وقول ابن نباتة [من الخفيف] :

فابق عالى المقام دانى العطايا قاهرَ البأس ظاهرَ الأنباء
يتمنى عدوكَ العيشَ حتى أتمنى له امتداد البقاء

وقول مؤلفه مترجياً حسن الختام لمن سطر باسمه بديع هذا النظام [من السريع] :

لازال مَنْ سُطِّرَ ذا باسمه يبقى بقاء الفَلَكِ الدائر
ومن يناويه يعش بائساً يسحب ذيل الخاسىء الخاسر

* * *

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وكان الفراغ من تأليفه ، وتوشيته وتفويفه ، بالقاهرة المعزية ، عام واحد وتسعمائة ، ومن زَبْرِه وتحريره يوم الأربعاء المبارك الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته ، عام أربعة وثلاثين وتسعمائة ، وذلك على يد مؤلفه الفقير الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ، ستره الله عيوبه ، وغفر ذنوبه ، ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والرحمة ! وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ! !

قال أبو رجاء محمد محيي الدين عبد الحميد :

قد تم - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - كتاب « معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص » للشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد إمام الهدى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين





١ — فهرست بالموضوعات البلاغية

التي وردت الشواهد لإيضاحها

أولا — في الجزء الأول

ثانيا — فى الجزء الثانى

ثالثا — فى الجزء الثالث

رابعا — في الجزء الرابع

تمت فهرس الموضوعات البلاغية التي جيء بالشواهد لبيانها ، وشرحت هذه الشواهد في كتاب « معاهد التنصيص على شواهد التلخيص » والحمد لله أولا وآخرا

٢ – فهرس الشواهد

المشروحة فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »
مرتبة على حروف الهجاء بحسب قوافيها

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٦٠	١/٣٢٣	ولا فضل فيها للشجاعة والندى	وصبر الفتى لولا لقاء شعوب
٦٥	١/٣٥٥	كأن عيون الوحش حول خبائنا	وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
٦٦	١/٣٥٨	ولست بمستبق أخا لا تلمه	على شعث أى الرجال المهذب
٧٧	٢/٢٨	كأن مثار النقع فوق رءوسنا	وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
٨٥	٢/٩٥	تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى	فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
		فوالله ما أدرى أبالخمر أسبلت	جفونى أم من عبرتى كنت أشرب
٩١	٢/٩٠	صدفت عنه ولم تصدف مواهبه	عنى ، وعاوده ظنى فلم يخب
		كالغيث إن جئته وافاك ريقه	وإن ترحلت عنه لج فى الطلب
١٠١	٢/١٣١	وصاعقة من نصله تنكفى بها	على أرؤس الأقران خمس سحائب
١٢٢	٢/٢٦٠	إذا نزل السماء بأرض قوم	رعيناه وإن كانوا غضابا
١٢٣	٢/٢٦٩	فسقى الغضا والساكنيه وإن هم	شبوه بين جوانح وقلوب
١٤١	٣/٤٦	أسكر بالأمس إن عزمت على ال	شرب غداً ، إن ذا من العجب
١٤٢	٣/٤٨	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
		لئن كنت قد بلغت عنى وشاية	لمبلغك الواشى أغش وأكذب
		ولكننى كنت امرأ لى جانب	من الأرض فيه مستراد ومذهب
		كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم	فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا
١٤٤	٣/٥٣	ما به قتل أعاديه ولكن	يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب
١٤٨	٣/٨٨	أحلامكم لسقام الجهل شافية	كما دماؤكم تشفى من الكلب
١٤٩	٣/١٠٧	ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	بهن فلول من قراع الكتائب
١٥٢	٣/١٣٤	أقلب فيه أجفانى كأنى	أعد بها على الدهر الذنوبا
١٥٤	٣/١٥٦	إذا ما تميمى أتاك مفاخرا	فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب
١٦٠	٣/٢٠١	إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم	بعتيبة بن الحارث بن شهاب
١٦٢	٣/٢١٠	إذا ملك لم يكن ذا هبه	فدعه فدولته ذاهبه
١٦٤	٣/٢٢٥	يمدون من أيد عواص عواصم	[تصول بأسياف قواض قواضب]

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٧٣	٢٧٨/٣	ضرائب أبدعتهـا في السماح	فلسنا نرى لك فيهـا ضريبا
١٧٩	٢٩١/٣	تدبير معتصم ، بالله منتقم	لله مرتقب ، فى الله مرتغب
١٩٣	٥٨/٤	وإذا تألق فى الندى كلامه الـ	ـمصقول خلت لسانه من عضبه
١٩٨	٧٦/٤	ومن فى كفه منهم قناة	كمن فى كفه منهم خضاب
١٩٩	٧٨/٤	سلبوا وأشرقت الدماء عليهم	محمرة ، فكأنهم لم يسلبوا
٢٠١	٨٠/٤	إذا غضبت عليك بنو تميم	رأيت الناس كلهم غضابا
٢١٦	٢٠١/٤	لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى	أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب
٢٢٣	٢٦٦/٤	لو رأى الله أن فى الشيب خيرا	جاورته الأبرار فى الخلد شيبا
		كل يوم تبدى صروف الليالى	خلقا من أبى سعيد رغيبا

حرف التاء المثناة

٨١	٥١/٢	كما أبرقت قوما عطاشا غمامة	فلما رأوها أقشعت وتجلت
٨٣	٥٦/٢	ولازوردية تزهو بزرقتها	وسط الرياض على حمر اليواقيت
		كأنها وضعاف القضب تحملها	أوائل النار فى أطراف كبريت

حرف الجيم

٢	١٤/١	وفاحما ومرسنا مسرجا	[وكفلا وعثا إذا ترجرجا]
١١٣	١٧٣/٢	إن السماحة والمروءة والندى	فى قبة ضربت على ابن الحشرج
١٨٥	٢٦/٤	من راقب الناس لم يظفر بحاجته	وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

حرف الحاء المهملة

١١	٧٢/١	جاء شقيق عارضا رمحه	إن بنى عمك فيهم رماح
٣٦	٢٠٢/١	ليبك يزيد ضارع لخصومة	[ومختبط مما تطيح الطوائح]
٧٩	٣٤/٢	وكأن البرق مصحف قار	فانطباقا مرة وانفتاحا
٨٤	٥٧/٢	وبدا الصباح كأن غرته	وجه الخليفة حين يمتدح

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٠	٨٨/٢	كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد	أو أقاح
١٠٣	١٣٤/٢	[أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا]	وسالت بأعناق المطى الأباطح
١٠٤	١٤٧/٢	[جمع الحق لنا فى إمام]	قتل البخل وأحيا السماحا
١٥٦	١٦٤/٣	ألمع برق سرى أم ضوء مصباح	أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى
١٦٥	٢٣٠/٣	إن البكاء هو الشفا	ء من الجوى بين الجوانح
١٧٢	٢٧٧/٣	أملتهم ثم تأملتهم	فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

حرف الدال المهملة

٦	٢٥/١	كريم متى أمدحه أمدحه والورى	معى ، وإذا مالمته لمته وحدى
٨	٥١/١	سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا	وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
٩	٥٨/١	[وتسعدني فى غمرة بعد غمرة]	سبوح لها منها عليها شواهد
٢٣	١٣٥/١	والذى حارت البرية فيــه	حيوان مستحدث من جماد
٢٩	١٧٠/١	تطاول ليلك بالإثمد	[ونام الخلى ولم ترقــد]
٥٥	٢٨٧/١	[إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها]	خرجت مع البازى على سواد
٥٦	٣٠٤/١	فقلت عسى أن تبصرينى كأنمــا	بنى حوالى الأسود الحوارد
٥٨	٣٠٨/١	والعيش خير فى ظلا	ل النوك ممن عاش كدا
٧٠	٣٧٧/١	يصد عن الدنيا إذا عن سؤدد	[ولو برزت فى زى عذراء ناهد]
٧٣	٤/٢	وكأن محمر الشقيــــق إذا تصوب أو تصعد أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد	
١٠٥	١٤٨/٢	تقريهم لهذميات [نقد بها	ماكان خاط عليهم كل زراد]
١٢٥	٢٨٣/٢	إن الشباب والفراغ والجده	مفسـدة للمرء أي مفسـده
١٢٧	٣٠٦/٢	ولا يقيم على ضيم يراد به هذا على الخسف مربوط برمته	إلا الأذلان عير الحي والوتد وذا يشج فلا يرثى له أحد
١٣١	٨/٣	ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا	كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا
١٥١	١٣٢/٣	نهبت من الأعمار مالو حويته	لهنئت الدنيـا بأنك خالد

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٥٩	٣/١٨٠	قلت ثقلت إذ أتيت مرارا	قال ثقلت كاهلي بالأيادي
١٧٨	٣/٢٨٩	تجلى به رشدى، وأثرت به يدى	وفاض به ثمدى، وأورى به زندى

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٢٠٠	٤/٧٨	يبس النجيع عليه وهو مجرد	من غمده فكأنما هو مغمد
٢٠٢	٤/٨٠	وليس لله بمستنكر	أن يجمع العالم فى واحد
٢١٩	٤/٢٢٩	. . . .	موعد أحبابك بالفرقة غد
٢٢٠	٤/٢٣١	بشراك قد أنجز الإقبال ما وعدا	[وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا]
٢٢٢	٤/٢٤٨	يقول فى قومس قومى وقد أخذت أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا	منا السرى وخطا المهرية القود فقلت كلا ولكن مطلع الجود

حرف الراء المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٥	١/٣٤	وقبر حرب بمكان قفر	وليس قرب قبر حرب قبر
١٤	١/٧٨	يزيدك وجهه حسنا	إذا ما زدته نظرا
٣٩	١/٢٠٨	له همم لا منتهى لكبارها	وهمته الصغرى أجل من الدهر
٤٠	١/٢١٥	ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها	شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر (١)
٤٣	١/٢٥٤	ولم يبق منى الشوق غير تفكر	فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا
٤٨	١/٢٧١	وقال رائدهم أرسوا نزاولها	[وكل حتف امرىء يجرى بمقدار]
٥٠	١/٢٧٩	أقسم بالله أبو حفص عمر	[ما مسها من نقب ولا دبر]
٦٤	١/٣٤٦	وإن صخرا لتأتم الهداة به	كأنه علم فى رأسه نار
٦٩	١/٣٧٧	واعلم فعلم المرء ينفعه	أن سوف يأتى كل ما قدرا
٧١	١/٣٧٩	ولست بميال إلى جانب الغنى	إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٧٦	٢/١٧	وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى	كعنقود ملاحية حين نورا
٨٦	٢/٧٨	يا صاحبى تقصيا نظريكما تريا نهارا مشمسا قد شابه	تريا وجوه الأرض كيف تصور زهر الربى فكأنما هو مقمر

---

(١) وانظره أيضا فى (٢٨٤١١)

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٩	٢/١٢٩	لا تعجبوا من بلى غلالته	قد زر أزراره علي القمر
١٠٢	٢/١٣٢	وإذا احتبي قربوسه بعنانه	[علك الشكيم إلى انصراف الزائر]
١١٤	٢/١٧٨	تردى ثياب الموت حمراً فما أتي	لها الليل إلا وهي من سندس خضر
١١٧	٢/٢٢٧	كالقسى المعطفات بل الأسـ	ـهم مبرية بل الأوتار
١٢٠	٢/٢٥٥	إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى	أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٢٨	٣/٤	فوجهك كالنار في ضوئها	وقلبي كالنار في حرها
١٥٨	٣/١٦٧	بالله ياظبيات القاع قلن لا	ليلاى منكن أم ليلى من البشر
١٦٦	٣/٢٥٠	تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
١٧٥	٣/٢٨٥	لو اختصرتم من الإحسان زرتكم	والعذب يهجر للافراط في الخصر
١٧٦	٣/٢٨٨	فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى	أطنين أجنحة الذباب يضير
١٧٧	٣/٢٨٩	وقد كانت البيض القواضب في الوغي	بواتر فهي الآن من بعده بتر
١٨٢	٣/٢٩٩	ياخاطب الدنيا الدنيـة إنها	شرك الردى وقرارة الأقدار

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨٦	٤/٢٦	من راقب الناس مات غما	وفاز باللذة الجسور
١٩٧	٤/٧٦	فلم يمنعك من أرب لحاهم	سواء ذو العمامة والخمار
٢٠٥	٤/٩٥	وترى الطير على آثارنا	رأى عين ثقة أن ستمار
٢٠٨	٤/١١٠	قال لى إن رقيبي سيء الخلق فداره قلت دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره	
٢١٣	٤/١٨٢	مابال من أوله نطفة	وجيفة آخره يفخر
٢٢٤	٤/٢٦٨	وإنى جدير إذ بلغتك بالمنى وأنت لما أملت منك جدير فإن تولني منك الجميل فأهله وإلا فإني عاذر وشكور	

حرف السين المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٨	٢/١١٣	قامت تظللني من الشمس نفس أعز على من نفسي قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس	

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	

حرف العين المهملة

١٩١	٤/٥٦	هو الصنع إن يعجل فخير وإن يرث	فللريث فى بعض المواضع أنفع
١٩٥	٤/٥٩	ولم يك أكثر الفتيان مالا	ولكن كان أرحبهم ذراعا
١٩٦	٤/٥٩	وليس بأوسعهم فى الغنى	ولكن معروفه أوسع
٢٠٩	٤/١٣٧	لئن أخطأت فى مدحيـ	ـك ما أخطأت فى منعى
		لقد أنزلت حاجاتى	بواد غير ذى زرع
٢١١	٤/١٥٢	على أنى سأنشد عند بيعى	أضاعونى وأى فتى أضاعوا
٢١٥	٤/١٩٤	فوالله ما أدرى أأحلام نائم	ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

حرف الفاء

٣٤	١/١٨٩	نحن بما عندنا وأنت بما	عندك راض ، والرأى مختلف
٥٣	١/٢٨٢	زعمتم أن إخوتكم قريش	لهم إلف وليس لكم إلاف

١٢٤	٢/٢٧٣	كيف أسلو وأنت حقف وغصن	وغزال لحظا وقدا وردفا

١٥٥	٣/١٥٩	أيا شجر الخابور مالك مورقا	كأنك لم تجزع على ابن طريف

حرف القاف

٢٠	١/١٢٠	هواى مع الركب اليمانين مصعد	جنيب ، وجثمانى بمكة موثق
٢٦	١/١٤٧	كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه	وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
		هذا الذى ترك الأوهام حائرة	وصير العالم النحرير زنديقا
٣٨	١/٢٠٧	لا يألف الدرهم المضروب صرتنا	لكن يمر عليها وهو منطلق

١١٠	٢/١٧٠	ولئن نطقت بشكر برك مفصحا	فلسان حالى بالشكاية أنطق

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٣٨	٣/٢٧	وأخفت أهل الشرك حتى إنه	لتخافك النطف التى لم تخلق
١٤٥	٣/٥٤	ياواشيا حسنت فينا إساءته	نجى حذارك إنسانى من الغرق
١٤٦	٣/٦٧	لو لم تكن نية الجوزاء خدمته	لما رأيت عليها عقد منتطق

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٢١٢	٤/١٥٤	إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها	تذكرت ما بين العذيب وبارق
		وتذكرنى من قدها ومدامعى	مجر عوالينا ومجرى السوابق

حرف الكاف

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٢٧	١/١٤٩	تعاللت كى أشجى وما بك علة	تريدين قتلى قد ظفرت بذلك
٢٨	١/١٧٠	إلهى عبدك العاصى أتاكا	مقرا بالذنوب ، وقد دعاكا
٥٤	١/٢٨٥	فلما خشيت أظافيرهم	نجوت وأرهنهم مالكا

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٢٢١	٤/٢٤١	هى الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذار من بطشى وفتكى

حرف اللام

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١	١/٨	غدائره مستشزرات إلى العلا	(تضل العقاص فى مثنى ومرسل)
٣	١/١٨	الحمد لله العلى الأجلل	الواهب الفضل الوجوب المجزل
١٥	١/١٠٩	قال لى كيف أنت قلت عليل	سهر دائم وحزن طويل
١٧	١/١٠١	إن الذى سمك السماء بنى لنا	بيتا دعائمه أعز وأطول
٣٥	١/١٩٤	إن محلا وإن مرتبعا	(وإن فى السفر إذ مضوا مثلا)
٤٥	١/٢٥٦	قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ	دد والمجد والمكارم مثلا
٤٦	١/٢٦٠	أنا الذائد الحامى الذمار وإنما	يدافع عن أحسابهم أنا أومثلى
٤٧	١/٢٦٤	ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي	بصبح وما الإصباح منك بأمثل
٥٢	١/٢٨١	زعم العواذل أننى فى غمرة	صدقوا ،ولكن غمرتى لاتنجلي

حرف الميم

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٧	١١٢/٢	لدى أسد شاكى السلاح مقذف	(له لبد أظفاره لم تقلم)(١)
١٢١	٢٥٧/٢	قف بالديار التى يعفها القدم	بلى وغيرها الأرواح والديم
١٣٣	١٤/٣	ولئن بقيت لأرحلن بغزوة	تحوى الغنائم أو يموت كريم
١٦٧	٢٠٧/٣	ومن كان بالبيض الكواعب مغرما	فمازلت بالبيض القواضب مغرما
١٨١	٢٩٥/٣	مودته تدوم لـكل هـول	وهل كل مـودته تدوم
١٩٢	٥٦/٤	ومن الخير بطء سيبك عنى	أسرع السحب فى المسير الجهام
٢٠٣	٨٥/٤	أجد الملامة فى هواك لذيذة	حبا لذكرك ، فليلمنى اللوم
٢١٤	١٩٠/٤	إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه	وصدق مايعتاده من توهم
٢١٨	٢٢٥/٤	قصر عليه تحيـة وسـلام	خلعت عليه جمالها الأيام

حرف النون

٢٤	١٤٥/١	ما كل ما يتمنى المـرء يدركه	(تأتى الرياح بمالا تشتهي السفن)
٥٩	٣١٠/١	(وقددت الأديم لراهشيـه)	وألفى قولها كذبا ومينـا
٦٣	٣٣٩/١	أنا ابن جلا (وطلاع الثـنايا	متى أضع العمامة تعـرفوني)
٦٨	٣٦٩/١	إن الثمـانين وبلغتهـا	قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
٩٣	٩٢/٢	حملت ردينيا كأن سنانه	سنا لهب لم يتصل بدخان
١٠٠	١٣١/٢	فإن تعـافوا العدل والإيمانا	فان فى أيمـاننـا نيرانا
١١٢	١٧٢/٢	(الضاربين بكل أبيض مخذم)	والطاعنين مجـامع الأضغان
١٣٩	٣٤/٣	عقدت سنابكها عليهـا عثيرا	لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا
١٤٠	٣٦/٣	يخيل لى أن سمر الشهب بالدجى	وشدت بأهدابى إليهن أجفانى

(١) وانظره أيضا فى (١٥١/٢)

حرف الهاء

حرف الياء المثناة التحتية

حرف الألف اللينة

تمت فهرست الشواهد المشروحة

فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

والحمد لله رب العالمين ، أولا وآخرا

٣ — فهرست بأسماء الشعراء أصحاب الشواهد المشروحة فى « معاهد التنصيص » سواء أكانت لهم تراجم مفصلة أم لم تكن ، وقد رتبت هذه الفهرس على حروف الهجاء باعتبار أوائل الأسماء غير منظور فيها إلى حرف التعريف ، ولا إلى صدر الكنية ، وطولنا بذكر مباحث التراجم المفصلة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

وقد تم ما وفقنا الله تعالى إلى صنعه من أنواع الفهارس التى قصدنا بها تقريب البحث فى كتاب « معاهد التنصيص » على من أراده وقد ألجأتنا عجلة الناشر إلى الاقتصار على هذه الأنواع ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته وسلامه على رسوله وآله وصحبه

رابعا — في الجزء الرابع

تم فهرس الموضوعات البلاغية التى جىء بالشواهد لبيانها ، وشرحت هذه الشواهد فى كتاب «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» والحمد لله أولا وآخرا